

أدب الرحلات الحجازية في العصر الحديث؛ دراسة تحليلية بتركيز على كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل

أطروحة مقدمة إلى جامعة كاليكوت
لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
(نسخة منقحة)

قدمها
عاشق شاه جهان

تحت إشراف
د/منصور أمين ك.
أستاذ مساعد ومشرف البحث، قسم اللغة العربية وآدابها،
كلية أم. إي. أس. ممباد، ملايرم كيرالا، الهند.



قسم اللغة العربية وآدابها
كلية أم. إي. أس. ممباد (حكم ذاتي)
جامعة كاليكوت

2025

المحتويات

| العنوان | رقم الصفحة |
|---|------------|
| المقدمة | 4 |
| • تحليل العنوان | 5 |
| • الدراسات السابقة | 6 |
| • مشكلة البحث | 7 |
| • فرضية البحث | 7 |
| • منهج البحث | 8 |
| • أهداف البحث | 8 |
| • تبويب البحث | 8 |
| • كلمة الشكر | 9 |
| الباب الأول: الرحلة وأدبها في اللغة العربية | |
| الفصل الأول: مفهوم الرحلة | 12 |
| الفصل الثاني: مفهوم أدب الرحلة | 17 |
| الفصل الثالث: أدب الرحلة في اللغة العربية | 27 |
| الباب الثاني: الحجاز: أهمية تاريخية وجغرافية ودينية | |
| الفصل الأول: تعرف على الحجاز | 35 |
| الفصل الثاني: الجغرافية المادية والثقافية للحجاز | 39 |
| الفصل الثالث: الحجاز في العصور القديمة والإسلامية | 49 |

| | | |
|-----|--|---------------|
| 65 | الباب الثالث: الحجاز في أدب الرحلة العربي | |
| 66 | مفهوم أدب الرحلة الحجازية | الفصل الأول: |
| 70 | أدب الرحلة الحجازية في اللغة العربية | الفصل الثاني: |
| 75 | أهم الرحالة إلى أراضي الحجاز | الفصل الثالث: |
| 96 | أسلوب أدب الرحلات الحجازية | الفصل الرابع: |
| 105 | الباب الرابع: محمد حسين هيكل؛ الرحال البارز | |
| 106 | حياة محمد حسين هيكل | الفصل الأول: |
| 110 | محمد حسين هيكل في دور الأديب | الفصل الثاني: |
| 121 | مؤلفات هيكل في أدب الرحلات | الفصل الثالث: |
| 129 | الباب الخامس: دراسة تحليلية كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل | |
| 130 | تقنيات السرد في كتاب 'في منزل الوحي' | الفصل الأول: |
| 202 | الخصائص الفنية في كتاب 'في منزل الوحي' | الفصل الثاني: |
| 222 | خاتمة البحث | |
| 224 | المصادر والمراجع | |

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾

[الحج: 27-28]

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد.

لطالما كانت الطبيعة البشرية تسافر كمصدر أسامي وحيوي للإثراء منذ القدم، حيث تشير السجلات التاريخية والأنثروبولوجية إلى أن ميل الإنسان للحركة استمر حتى بعد ظهور الزراعة والاستيطان في المجتمعات، مدفوعًا بوعي متطور. تجذب تجارب وملاحظات الرحلات انتباه الجميع في شكل قصص، مما يحول كتب الرحلات إلى نوع من أنواع الأدب مع مرور الوقت، وخاصةً في اللغة العربية التي تتميز بغناها بسرد قصص الرحلات.

كان لأدب الرحلات تأثير عميق في الأدب العربي، وأصبحت دراسات الرحلات ذات أهمية كبيرة في المجالات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، حيث كانت الرحلة داعمةً للمؤرخ والجغرافي على حد سواء، حيث سجل معظم الجغرافيين المسلمين رحلاتهم ومراقباتهم للمناطق المختلفة التي زاروها. مع مرور الزمن، اعتبرت الرحلة لونها من ألوان الأدبية الرفيعة، تميزه عن غيرها من الألوان الأدبية النثرية. يتشارك 'أدب الرحلة' ببعض الجوانب مع الرواية، حيث يستفيد من المعطيات الفنية ويشاكلها في السرد والوصف.

كانت رحلات بعض الرحالة تستند إلى أساس علمي وديني، حيث سعوا لتزويد أنفسهم بالعلم والتلاقي بالعلماء في مراكز الحضارة الإسلامية. تبرز رحلات الباحثين عن العلم وأداء فريضة الحج كإحدى العوامل الرئيسية التي دفعت الرحالة نحو الحجاز، حيث زاروا البيت الحرام والمسجد النبوي. ونتيجة لذلك، أصبحت الحجاز واحدة من أكثر الوجهات زيارةً في العالم. بالإضافة إلى ذلك، يعد الحجاز مركزًا للمعرفة والتجارة، حيث تمت كتابة العديد من روايات الرحلات حول هذه المنطقة باللغة العربية.

لو اقتراض كلام محمد واضح رشيد الحسيني الندوي من المقدمة كتابه 'الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث' عن الأهمية الأدبية لأدب الرحلات الحج وجودتها، هي؛ "إن هذه الرحلات التي سرد أحداثها وسجل ارتساماتها عدد كبير من الأدباء، كلها حب وهيام، شوق وحنان، تجد فيها القلب ينبض، والعين تدمع، والقرائح تتفتق، والقلم يجري كالفرس، والخواطر تفيض كالسيل".

يعتبر محمد حسين هيكل أحد رواد الأدباء في مصر في بدايات القرن العشرين، حيث برع كروائي بارع وكتّاب قصص ناجح، وقد كان صحفياً ذو إنتاجية فعّالة. كان له دور مهم ككاتب إسلامي بارز وناقد أدبي. كما كان محامياً مشهوراً وشخصية سياسية وفكرية، حيث خدم الأمة المصرية بصفته عضواً في مجلس الشيوخ.

وقد زار الدكتور حسين هيكل كثيراً من بلاد العالم في أفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا، وإن لم يكتب عنها كلها، فيما نعرف أن حسين هيكل كتب أربعة كتب رحلات كاملة هي: 'عشرة أيام في السودان' في عام 1927 م، و'ولدي' في عام 1931 م، و'في منزل الوحي' في عام 1935 م، و'شرق وغرب' في عام 1994 م.

كان حسين هيكل دون مشاهداته وأحاسيسه عن الحرمين الشريفين وسماه رحلته 'في منزل الوحي' ويعد كتابه في أدب الرحلة إضافة رائعة. وقد ذكر في كتابه معلومات عن تاريخ المملكة العربية وحاضرها وتطلعاتها للمستقبل، وبخاصة الحجاز وما حولها. وصدر هذا الكتاب أولاً في عام 1937 م، وطبعه إلى ثمانية مرات وآخر المرة طبعه الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة في عام 2010 م.

تحليل العنوان

إن عنوان هذه الأطروحة - أدب الرحلات الحجازية في العصر الحديث: دراسة تحليلية بالتركيز على كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل

- أدب الرحلات الحجازية في العصر الحديث: دراسة تحليلية بالتركيز على كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل.
- أدب الرحلة - أدب الرحلة هو نوع أدبي يركز على وصف وتوثيق تجارب الرحلات والاستكشاف.

- أدب الرحلات الحجازية - أدب الرحلات الحجازية يشير إلى الأدب الذي يستعرض تجارب الرحالة في زيارتهم إلى الحجاز، مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويتنوع بين الوصف الجغرافي والتأملات الثقافية والدينية.
- العصر الحديث - العصر الحديث في الأدب العربي يشير إلى الفترة الزمنية من أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الحالي، حيث شهد تحولات وتطورات هامة في أساليب الكتابة والمواضيع بفعل التأثيرات الغربية والتحول الاجتماعي والتكنولوجية.
- دراسة تحليلية - دراسة تحليلية هي عملية تحليل مفصلة ومنهجية لعناصر معينة أو موضوع معين، يهدف فهمها بشكل أعمق واستنتاج أفضل فهم للمعلومات.
- في منزل الوحي - في منزل الوحي كتاب للكاتب المصري محمد حسين هيكل، يصور فيه مشاهداته وأحاسيسه عن الحرمين الشريفين أثناء رحلة الحج
- محمد حسين هيكل - شاعرٌ وأديبٌ وسياسي مصري.

الدراسات السابقة

1. حافظ محمد باد شاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة، تحت الإشراف د. كفاية الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، 2013
 2. محمد واضح رشيد الحسيني الندوي، الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، لكاناؤ، 2016
 3. شيرين قطيط، فاطمة بن سعدية، تقنيات السرد في رحلة ابن جبير، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير تحت إشراف الدكتورة، عليوات سامية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة، الجزائر، 2020
- الدراسة الأولى ليست دراسة دقيقة لأي كتاب من فئة الرحلات الحجازية، ولكنها دراسة واسعة للعديد من الرحلات الحجازية وتفتقر إلى العمق في تحليل الجودة الأدبية. لكن هذه الدراسة يمكن أن تعطي

فكرة عن كيفية تناول موضوع بحثي يتعلق برحلات الحجازية. أما الدراسة الثانية فهي عبارة عن مجموعة من فقرات رحلات الحجاز في العصر الحديث. يهدف المؤلف فقط إلى تقديم منهجية مثل هذه الكتابات. لكن هذه الدراسة تساعد على فهم الاتجاهات الحديثة في كتابات الرحلات الحجازية. الدراسة الثالثة هي دقيقة للغاية وتعطي فكرة صحيحة وطريقاً لإجراء تحليل متعمق لكتب الأدب الرحلة.

مشكلة البحث

1. كيف يمكن دراسة الرحلات العربية التاريخية لفهم أهميتها الثقافية والاجتماعية والتاريخية؟
2. كيف تطور أدب الرحلات باللغة العربية عبر التاريخ، وما هي الموضوعات والأنواع والعناصر الأسلوبية الرئيسية فيه؟
3. ما هي أهمية الحجاز التاريخية والجغرافية والدينية كوجهة للمسافرين، وكيف يتم تحليل أبعادها الثقافية والروحية؟
4. كيف يؤثر سرد قصص رحلات الحج على تطوير أدب الرحلات باللغة العربية، مع التركيز على عناصرها الموضوعية والأساليب السردية؟
5. كيف يمكن تقدير القيمة الأدبية الشاملة لأعمال حسين هيكل في مجال أدب الرحلات؟
6. ما هي التقنيات الأدبية والموضوعات والهيكل السردية المميزة في كتاب 'منزل الوحي' لحسين هيكل، وكيف يمكن إجراء تحليل متعمق لها؟

فرضية البحث

لقد كان الحج، باعتباره رحلة عميقة وذات أهمية روحية، مصدرًا رئيسيًا للإلهام لتطوير أدب الرحلات. علاوة على ذلك، تُظهر أدب الرحلات الحج، باعتبارها مجموعة فرعية من هذا النوع، قيمًا أدبية عالية، مما يعكس العمق الثقافي والعاطفي المرتبط بتجربة الحج. كما سيتناول البحث كتاب 'منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل، الذي يبرز كنماذج نموذجية لأدب الرحلات الحجازية، ويساهم بشكل كبير في التراث الأدبي لروايات الحج باللغة العربية.

منهج البحث

والتزم الباحث في هذه الأطروحة بمنهج تحليلي في أكثره لمعرفة القيمة الأدبية لكتاب البحث. كما يعتمد الباحث على مناهج الوصفي والتاريخي والنقدي مناسباً للمقام. وقد جمع الباحث المعلومات من المصادر مثل كتب حسين هيكل والمراجع من كتب ودراسات حول البحث، وقام بقراءة جيدة.

أهداف البحث

1. دراسة الرحلات العربية التاريخية وتحليل أهميتها الثقافية والاجتماعية والتاريخية
2. اكتشاف كيف يتم النظر إلى السفر وتقديره في المجتمعات العربية، مع الأخذ في الاعتبار المواقف والدوافع الثقافية
3. تتبع التطور التاريخي لأدب الرحلات باللغة العربية، وتحديد الموضوعات الرئيسية والأنواع والعناصر الأسلوبية
4. دراسة أهمية الحجاز التاريخية والجغرافية والدينية كوجهة للمسافرين، بالنظر إلى أبعادها الثقافية والروحية
5. دراسة أثر قصص رحلات الحج في تطور أدب الرحلات باللغة العربية، مع الأخذ في الاعتبار عناصرها الموضوعية وأساليبها السردية
6. تقييم القيمة الأدبية الشاملة لأعمال حسين هيكل، مع التركيز على مساهماته في أدب الرحلات
7. إجراء تحليل متعمق لأعمال مختارة لحسين هيكل، مع التركيز بشكل خاص على التقنيات الأدبية والموضوعات والهياكل السردية

تبويب البحث

يتناول الباب الأول مفهوم الرحلة اللغوي والاصطلاحي، ويقدم دوافع الرحلة ويسلط الضوء على أهميتها في تطور الأدب. ويتناول العلاقة بين العرب والرحلة، سواء في العصر الجاهلي أو في الإسلام. يستعرض هذا الباب مفهوم أدب الرحلة ويبرز موضوعاته وأهميته من الناحية العلمية والتعليمية بالإضافة إلى

التركيب الأدبي للرحلات. ونشأة أدب الرحلة في اللغة العربية وتطوره عبر العصور، مركزاً على العصر الحديث.

يتناول الباب الثاني الأهمية التاريخية والجغرافية والدينية للحجاز، حيث يستعرض مسمى الحجاز لغة واصطلاحاً ويوضح موقعه وحدوده. يقدم هذا الباب تفصيلاً عن الجغرافيا المادية والثقافية للحجاز، مع التركيز على عصوره القديمة والإسلامية وأهميتها الدينية.

يستعرض الباب الثالث أهمية أدب الرحلة الحجازية، بتحديد مفهومه وموضوعاته وأهميته، حيث يلقي الضوء على نشأته في اللغة العربية وتطوره في العصر الحديث. أما الباب الرابع فيناقش حياة الرحال البارز محمد حسين هيكل، بداية من ولادته ونسبه وحتى مشاركته في السياسة، كونه مؤلف كتاب 'منزل الوحي' موضوع الدراسة.

وأخيراً، يتمحور الباب الخامس حول دراسة تحليلية لكتاب 'منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل، يبرز من خلالها التقنيات السردية والخصائص الفنية في الكتاب، مثل تصوير المكان، وأنواع الزمن، والشخصيات، والوصف، والتناسل، والصور البلاغية.

كلمة الشكر

يعبر الباحث عن خالص امتنانه وشكره العميق أولاً إلى الدكتور منصور أمين ك.، الأستاذ المساعد ومشرف البحوث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية أم. إي أس ممباد (حكم ذاتي)، ممباد ملابرم. فقد كان له دور كبير في توجيه الباحث وإرشاده خلال مسيرته البحثية، وكان لعلمه وحكمته الأثر الكبير في إتمام هذا العمل.

كما يتقدم الباحث بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور سابق أم ك، رئيس قسم اللغة العربية ومشرف البحوث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية أم. إي أس ممباد (حكم ذاتي)، ممباد، على دعمه المستمر وإرشاداته الفعالة التي كان لها دور كبير في إثراء هذا البحث. كما لا يمكن للباحث أن ينسى فضل الأستاذ أحمد كوطي المدني، الذي ساهم بشكل كبير في تقديم المعرفة والإرشادات التي ساعدت في إتمام هذا العمل على أكمل وجه.

ويتوجه الباحث أيضاً بالشكر والتقدير لزملائه في البحث الذين شاركوه في تبادل الأفكار والنقاشات البناءة، وكان لتعاونهم دور مهم في تطوير هذا البحث. شكراً للجميع على جهودهم القيمة وتعاونهم المثمر.

وأخيرًا، يتوجه الباحث بالشكر إلى أسرته الكريمة على دعمهم اللامحدود وتشجيعهم المستمر، الذي كان له أكبر الأثر في إتمام هذا العمل.

ويأمل الباحث أن يكون هذا البحث نافعًا للطلاب والباحثين ومحبي اللغة العربية، وأن يتقبله الله ويبارك في عمله. والله الموفق والمستعان.

الباحث،

عاشق شاه جهان

الباب الأول: الرحلة وأدبها في اللغة العربية

الفصل الأول: مفهوم الرحلة

- الرحلة لغة واصطلاحاً
- دوافع الرحلة في حياة الإنسان
- أهمية الرحلات في تطور الأدب

الفصل الثاني: مفهوم أدب الرحلة

- مفهوم أدب الرحلة
- موضوع أدب الرحلة
- أهمية أدب الرحلة من الناحية العلمية والتعليمية
- الملامح الأدبية للرحلات
- أدب الرحلة والموروث الثقافي

الفصل الثالث: أدب الرحلة في اللغة العربية

- نشأة أدب الرحلة وتطوره في اللغة العربية
- أدب الرحلة في العصر الحديث

الفصل الأول

مفهوم الرحلة

الرحلة لغة واصطلاحاً

الرحلة لغةً: يعرّف عبد الحكيم عبد اللطيف السعدي الرحلة في كتابه 'الرحلة في الإسلام؛ أنواعها وآدابها' قائلاً: "الرحلة مشتقة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق هدف معين، مادياً كان ذلك الهدف أو معنوياً".¹

أصل كلمة الرحلة في المعاجم من مادة رحل بمعنى سار وانتقل، وقد جاء في لسان العرب: الترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رَحَلَ الرجل إذا سار ورحل رَحُولاً، وقوم رُحَل أي يرتحلون كثيراً، ورجل رَحَال: عالم بذلك مُجيد له. والراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال. وناقاة رحيلة: أي شديدة قوية على السير. وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق، حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً، ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رُحَل: انتقل.

والترحل والارتحال: الانتقال، وهو: الرِّحْلَة والرُّحْلَة. الرِّحْلَة اسم للارتحال للمسير.

والرحيل: القوي على الارتحال والسير، والأنثى رحيلة.

والمرحلة: المنزلّة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة.²

الرحلة اصطلاحاً: للرحلة تعريفات متعددة بألفاظ مختلفة عند العلماء والأدباء، عرف القدماء الرحلة اصطلاحاً بأنها الانتقال وارتبط مصطلح الرحلة لديهم بالحركة والفائدة فقد عرفها بطرس البستاني بأنها: "انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعددة".³

وعرّف الإمام الغزالي الرحلة والسفر بأنه: "نوع حركة ومخالطة، فيه فوائد، وله آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة، والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب"، فأوضحه بقوله "أن السفر

¹ السعدي، عبد الحكيم عبد اللطيف، الرحلة في الإسلام؛ أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996م. ص/15.

² جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، ج/1، دار صادر، 1955م، ص/276-280.

³ بطرس، البستاني، دائرة المعارف، ج/8، لبنان، دار المعرفة، 1875م. ص/564.

وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب والمرغوب فيه وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب والمرغوب فيه.⁴

في حين يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله: "إن الرحلة تظل إنجازاً أو فعلاً أو مباشرة لما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه و المكان الذي تنتهي إليه".⁵ و بذلك يتبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيراً، فيشتركان في الحركة التي يحققها الشخص ولقد أشار إلى ذلك المسعودي بقوله: "ليس من لزم جهة وطنه و قنع بما نهي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه و إنارة كل نفيس من مكمته".⁶

دوافع الرحلة في حياة الإنسان

قام الناس برحلات مختلفة لعدة أسباب عبر التاريخ. تطورت أهداف الرحلة بمرور الزمن وتأثرت بعوامل مثل التجارة والاستكشاف والغزو والحج واكتساب العلم والدبلوماسية والاستعمار والترفيه.

كان أحد الدوافع الأولى للرحلة هو الحاجة إلى ممارسة التجارة. مارست الحضارات القديمة الرحلة لمسافات طويلة لتبادل البضائع والسلع، وتعزيز النمو الاقتصادي والتبادل الثقافي بين المناطق. من خلال هذا يمكنهم فتح أسواق جديدة للمنتجات المحلية وجلب البضائع المتوفرة في البلدان الأخرى والندرة في بلد المسافر. مرتبطاً بهذه الرحلات التجارية، غامر العديد من المستكشفين بالذهاب إلى مناطق غير معروفة لاكتشاف أراضي وموارد وطرق جديدة للتجارة والاستعمار.

أما الرحلة لأغراض دينية يشمل أنواعاً متعددة. فمنها الهجرة، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار السلام، للامتثال الشريعة وأداء الشعائر الدينية. كما يشمل الرحلة لأداء فريضة الحج لمن استطاع السبيل إليها، حيث يعد الحج مناسبة للمسلمين لأداء هذه الفريضة. يمكن أن تكون الرحلة للجهاد أو الرباط في سبيل الله، وذلك للدفاع عن المبادئ الدينية والمجتمع. أما بالنسبة للأغراض التعليمية، فيمكن للمسلمين

⁴ الإمام الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج 2، دار المنهاج، جدة، ص/245، 250، 260.

⁵ الشامي، صلاح الدين علي، الرحلة بين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص/11

⁶ المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجواهر، ج 1، تقديم محمد السويدي، موضع النشر، الجزائر، 1989م، ص/3

الرحلة لاكتساب العبرة والاتعاظ من التجارب الحياتية والمواقف. يُشجع المسلمون أيضًا على الرحلات لتبليغ الدعوة الإسلامية في أقاصي العالم، ولنشر الإسلام وتعاليمه بين الناس من مختلف الثقافات والأعراق.

للرحلة دوافع علمية وتعليمية، حيث سعى الناس للاستزادة من العلم في مناطق أخرى التي ازدهرت بالعالم. تمتع أبنائها بسمعة طيبة في مجالات الحديث والفقه والطب والهندسة وغيرها. وشملت الرحلات العلمية للبحث والاكتشافات الجغرافية. كانت الوفود والسفارات التي أرسلت من قبل الحكام إلى حكام الدول الأخرى لتعزيز العلاقات وتبادل الآراء. ويمكن اعتبار هذه من الأنواع الرحلة من دوافع سياسية.

وتمثلت الدوافع السياحية والثقافية في رغبة الناس في الرحلة للتجوال والاستمتاع بالتنقل واكتشاف الجديد في الطبيعة والبشر. قد تكون هذه الرحلات لمعرفة المعالم الشهيرة والآثار التاريخية والمنارات وغيرها. يمكن أن تكون الدوافع الصحية دافعًا للرحلة، سواء للعلاج والاستشفاء، أو للاستراحة والاستجمام في المناطق الريفية للتخلص من أعباء الحياة اليومية. كما يمكن أن تكون الرحلة هروبًا من الوباء والطاعون والتلوث. بعض الأشخاص يستخدمون الرحلة أيضًا كوسيلة للهروب من الأحوال الصعبة أو للابتعاد عن العقوبة. في المجمل، تجاوزت دوافع السفر المختلفة الحدود الجغرافية والزمنية، واحتضنت تراثًا غنيًا من الأسباب والهدف في مسارها عبر التاريخ.⁷

أهمية الرحلات في تطور الأدب

دفع الفضول الفطري للإنسان إلى كشف أسرار العالم وفك رموزه المعقدة. لقد كانت الحركة والبحث والاستكشاف جوانب لا تتجزأ من الوجود الإنساني، حيث يسعى الأفراد إلى القوت والحماية والسعي وراء السعادة. ويظهر الرحلة في هذا السياق كقناة عميقة لاكتساب المعرفة والتبادل الثقافي وتسجيل جوانب الحياة المتعددة الأوجه عبر العصور.

تتجاوز الرحلة مفهوم الانتقال الجسدي البسيط، لتصبح نسيجًا معقدًا يتشابك مع خيوط لا تحصى من المعارف والعلوم. فهي رحلة استكشافية ثرية تقدم كثيرًا من الأفكار والرؤى القيّمة لعلماء الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرهم. تتحول رحلة المسافر إلى سجل تاريخي حي يوثق ملاحظاته وتجاربه

⁷ القاسمي، رضي الرحمن، الرحلة وأدبها في اللغة العربية دراسة تاريخية، 2013، Retrieved August 3, 2023, from http://darulloom-deoband.com/arabic/articles/tmp/1571542541%2013-Dirasat-6-7_1434_8.htm

الشخصية. ومع ذلك، يختلف مدى دقة وعمق هذه الملاحظات بحسب قدرات المسافر الفردية وميوله ووعيه الأدبي.

لا تتميز الرحلة بمسارها الجغرافي فقط، بل بتأثيرها على وعي المسافر. وقد اكتسبت الرحلة أهمية استثنائية في أعقاب الفتوحات الإسلامية. لقد وضع المسافرون الأوائل الأساس لهذا التقليد، على الرغم من ندرتهم في تسجيل رحلاتهم بشكل مكتوب. وجدت رواياتهم طريقها إلى الحسابات التاريخية أو التقويمات الخاصة بكل بلد. كانت هذه السجلات عبارة عن صور مؤثرة، محملة بالصور والروايات والتأملات التي أضاءت المناظر الطبيعية والثقافات والأفراد المتنوعة التي واجهوها.⁸

تصبح رواية المسافر الموثقة بدقة في كتابه الرحلة سيفسأء من الأراضي التي تم اجتيازها وتصويراً حياً للأماكن والمساجد والمكتبات والشخصيات التي تمت مواجهتها ونسيج المعلومات التي تم جمعها على طول الرحلة. تطور فن كتابة الرحلات هذا إلى نوع أدبي دقيق، حيث رسم المؤلفون بمهارة جوهر الأراضي والثقافات الأجنبية. لقد نسجوا تجاربهم في روايات منحت القراء صوراً وتجارب ورؤى حية من آفاق بعيدة.⁹

الرحلة تتجاوز حدود الاستكشاف الجسدي فقط؛ ويصبح وسيلة لتبادل الأفكار والأدب والثقافة بين الأمم. ومن خلال مشاركة ملاحظاتهم وآرائهم وممارساتهم الثقافية، يعمل المسافرون كسفراء ثقافيين، وينشرون ثراء وطنهم ويستوعبون تأثيرات العوالم البعيدة. وتثري هذه التفاعلات الثقافة العربية بثروة من الكنوز الفكرية، وتشكل منظوراً عالمياً يتجاوز الحدود.

تلخص الدكتورة قدسية قريشي جوهر السفر كرحلة تنويرية تقدم لمحات عن مجتمعات وحضارات وعلوم وفنون متنوعة. إن لقاء المسافر بمناظر طبيعية غير مألوفة يحفز فضوله، في حين أن التفاعلات مع الشعوب المتنوعة توسع معرفتهم. وتظهر الرحلة كقناة للدبلوماسية الثقافية وسد الفجوات وتعزيز التفاهم بين المجتمعات.¹⁰

⁸ روبينه ناز والدكتور مؤيد فاضل ، أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره، ص/ 173 ، مجلة الإيضاح، عدد 34 - يونيو 2017م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة بيشاور.

⁹ عبد الله حمد بن الحقييل، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية، 2008م، ص/ 17، 16

¹⁰ روبينه ناز والدكتور مؤيد فاضل ، أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره، ص/ 173 ، مجلة الإيضاح، عدد 34 - يونيو 2017م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة بيشاور.

وفي الختام، فإن أهمية الرحلة متعددة الأبعاد، وتتجاوز الاستكشاف الجغرافي لتشمل نشر المعرفة والتبادل الثقافي والإثراء الأدبي. وبينما تتكشف رحلة المسافر، تتكشف أيضاً قصة الإنسانية، المحفورة في المناظر الطبيعية والتاريخ والثقافات التي واجهها على طول الطريق. ولذلك، يعد السفر بمثابة بوابة للاكتشاف، وسفينة للإثراء المتبادل، وشهادة على سعي البشرية الذي لا ينتهي لاستكشاف العالم، سواء في الداخل أو خارجه.

الفصل الثاني

مفهوم أدب الرحلة

مفهوم أدب الرحلة

إن هذا الفن من فنون الأدب العربي لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات، وإنما كان يظهر أحياناً تحت خانة "كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف أو أدب الاعتراف"، وهكذا فإن هذه التسمية 'أدب الرحلات' تسمية وليدة هذا العصر وما شهدته من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان المعرفة الأدبية.

أدب الرحلة عالم واسع يأخذنا في رحلات عبر الكتب، فهو يجمع بين مغامرات المستكشفين ومدونات الرحلات والقصص الخيالية الملهمة. يقدم لنا الكتاب والصحفيون من خلاله نظرة على ثقافات مختلفة بأسلوب شيق، سواء كان موضوعياً أو شخصياً أو حتى مُضحكاً. ظهر أدب الرحلة منذ القدم، بداية من الصين واليونان القديمة، وشهد ازدهاراً في الكتب العربية القديمة، ليظل جسراً ثقافياً يربطنا بالعالم عبر الكلمات.

يتعرف أدب الرحلة في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي-انكليزي-فرنسي؛ "أدب الرحلات، مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق"¹¹

ويقول تعريف آخر: "أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفاً له، ويسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"¹².

وعرف الموسوعة العربية العالمية: "أدب الرحلات ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان. وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر

¹¹ إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيجاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي-انكليزي-فرنسي، دار العلم للملايين - لبنان، ط/1، 1997م، ص/25

¹² انجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال - مصر، العدد/7، 1975م، ص/52

الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها ممتعة مسلية".¹³

موضوع أدب الرحلة

يُعدّ أدب الرحلات من الفنون الأدبية العريقة التي برزت عند العرب منذ القدم، حيث يتجاوز كونه مجرد سرد لأحداث رحلة قام بها الكاتب، ليرتقي إلى مرتبة تُكذب الادعاءات التي تُشير إلى افتقار الأدب العربي لفن القصة. فإنّ وصف الرحالة للمجتمعات التي يمرّ بها أو يقصدها يُشكّل لوناً من ألوان القصّ، مما يجعل من أدب الرحلات جنساً أدبياً فريداً يتميز بنمطه الخاص في الكتابة. ويصعب حصر تعريف أدب الرحلات بشكلٍ دقيقٍ مانعٍ، لكنه ينتهي بلا شكّ إلى التراث النثري العربي، باعتباره سرداً ووصفاً يعتمد على رؤية صياغية إبداعية.

يتميز أدب الرحلات بقدرته على رسم ملامح الأمكنة والسكينة بدقّة تُضاهي الواقع، مُتجاوزاً حدود الكتابة البحثية أو الإبداعية التقليدية. فمن خلال رحلة الكاتب، نُطلّ على عوالم جديدة وثقافات مختلفة، ونُشاركه تجاربه ومشاعره، مما يُثري مخزوننا المعرفي ويوسّع آفاقنا. لذا، يُعدّ أدب الرحلات نافذةً على العالم، يُتيح لنا فرصة استكشافه دون الحاجة إلى مغادرة منازلنا. إن هذا الفن من فنون الأدب العربي لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات، وإنما كان يظهر أحياناً تحت خانة كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو أدب الاعتراف، مما يعكس تعددية أبعاده ومحتوياته.

وعلى الرغم من هذا، فإن المشكلة في تعريف أدب الرحلات لا تزال قائمة من حيث عدم وجود تعريف دقيق لهذا الفن يوطر حدوده. أحد أنسب التعاريف لهذا النوع من الأدب هو أنه نوع من الأدب يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان، أو يملي أو يُحدث مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأى، ويُسطّر ذلك شخص آخر. بهذه الرؤية، يمكننا فهم أدب الرحلات كفن أدبي ثري ومتنوع يُسهّم في توسيع مدارك القارئ ونقل تجارب الكُتّاب بطريقة مبتكرة وجذابة.

¹³ الموسوعة العربية العالمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط/2، 1999م، ج/11، ص/141

الملامح الأدبية للرحلات

أدب الرحلات يتميز بأهمية لافتة حيث يقوم بذكر المؤلف لتجاربه والتعبير عن شخصيته بشكل فني. يُظهر أدب الرحلات مهارات الكتاب في التصوير الفني للعلاقات بين الأشياء، ويقدمها في لوحة فنية تحفز المتلقي للانغماس في جوها وتدعوه إلى التمتع والدهشة. الرحالة ينصح بتجنب التلاعب اللغوي السطحي والتركيز على التعبير الصادق واللغة الشخصية. يركز الرحالة على تسجيل الأحداث والمواقف التي يشهدها خلال رحلته، ويعتبر الوصف والسرد والحوار أساليب رئيسية في هذا النوع من الأدب.

" الإنصراف عن اللهو والعبث اللفظي والطلاء السطحي والإيثار لتعبير السهل المستقيم الناضج بعنى التجربة وصدق اللهجة الشخصية، مما لا نجده عند البلغاء والأدباء المحترفين، ونجده بقوة عند العلماء وفقهاء الدين وهؤلاء الكتاب الرحالين"¹⁴

أدب الرحلات يمزج بين الحقيقة والخيال، ويقدم الأحداث والمعلومات بأسلوب قصصي يجعلها جذابة للقراء. يُستخدم اللغة الشعرية في بعض الأحيان للتعبير عن المشاعر والانطباعات، ويظهر التأثير الشخصي للرحالة على القصص والمشاهد. الرحلة ترتبط بفن القصة، حيث يروي الرحالة القصص بشكل حيوي وبساطة. ويحفل كذلك بالأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي، سلس، مشرق، وهذا الذي يجعل بعش الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي.¹⁵ وكذلك من خلال تحويل غير مرئي من المعاني إلى المحسوس، وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور.¹⁶

من خلال الرحلات، يتم تحويل المعاني العقلية إلى صور حسية يمكن للقراء إدراكها، مما يجعل الأماكن البعيدة قريبة في خيال القارئ. الرحلة ليست مجرد سرد وصفي، بل تتضمن قيماً أدبية تتجلى في الوصف، والحوار، والسرد، مما يجعلها جزءاً مهماً من تراث الأدب العربي.

¹⁴ أحمد بت، فردوس، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الخامس، ج/2، كانون الأول، ص/27.

¹⁵ النساج، سيد حامد، مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، مكتبة غريب للنشر، القاهرة، 2007م، ص/8.

¹⁶ محمد صالح، بشرى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط/1، 1944م، ص/3

يبرز أدب الرحلات أيضاً أهمية وحدة البشر على الأرض، حيث تسهم الرحلات في تعزيز الفهم المتبادل والتقارب بين الثقافات المختلفة. يُستخدم الفكاهة والسخرية بين الحين والآخر لتخفيف الجو وجعل القراء يستمتعون بالقراءة. يقدم الرحالة معلومات مفيدة في مجالات مختلفة، مما يجعلها قيمة أدبية تتحدى الحدود الزمانية والمكانية.

وأدب الرحلة يقترن بفن القصة، فهناك بعض الرحالة تميل إلى السرد والحكايات، وهذا ما دفعهم لرواية تلك القصص بعفوية وحيوية.¹⁷ وبهذا فإن الرحلة قريبة من القصة فالرحال يقص كل ما وقع له من حدث بحيث تقول الباحثة نواب الرحلة عادة تحفل بالمقومات الأسس للقصة من فكرة رئيسية، وبناء وحبكة وبيئة زمانية ومكانية، وشخصيات وبطل للقصة علاوة على اللغة والأسلوب. ومجريات الرحلة هي بناءها وحبكتها، والبيئة الزمكانية المحددة، والشخصيات أدت دورها واقعيًا، وبطلها الرحالة نفسه، وكذلك اللغة والأسلوب الذي يصل إلى درجة الإبداع المستند إلى الواقع، وكثير من الخيال في الموضوعات التي يطلق فيها الرحالة العنان لخياله.¹⁸

وكثيراً ما يلجأ الرحالة إلى الاستشهاد بأدبيات شعرية، فمن، الرحالة من يستعين بالشعر لتعبير عما يدور في خاطره من مشاعر حركتها مشاهداته وملاحظاته. ومثاله على ذلك قول ابن بطوطة في بلاد المغرب العربي مقابل الشرق والتي بعدها أحسن البلدان:¹⁹

الغرب أحسن أرض ولي دليل عليه

البدر يرقب منه والشمس تسعى إليه

ويلجأ الرحالة إلى طابع الفكاهة والسخرية له تأثير على القارئ، وقد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجاً للألم والحزن وعصارة و الكلام أن الرحالة يقدم في رحلته المعلومات المفيدة، لمختلف العلوم أو المجالات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وغيرها.

¹⁷ شوابكة، نوال، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ط/1، ص/302.

¹⁸ أحمد بت، فردوس، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الخامس، ج/2، كانون الأول، ص/28.

¹⁹ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، 1987م، ج/2، ص/509.

أهمية أدب الرحلة من الناحية العلمية والتعليمية

تُعدّ كتب الرحلات كنوزًا أدبية وعلمية غنية، فهي تجمع بين سحر السرد القصصي وجمال الأبيات الشعرية وروعة الأسلوب الأدبي. ولكن أهمية كتب الرحلات لا تقف عند حدود الأدب فقط، بل تمتد لتشمل مجالات علمية واسعة، فما تحمله من معلومات قيّمة لا تُوجد في الكتب المختصة بالتاريخ والجغرافية والاجتماع والاقتصاد، تجعلها مصدرًا لا غنى عنه للمؤرخين والجغرافيين وعلم الاجتماع وغيرهم من الباحثين.

يقول أحمد أبو سعيد عن القيم العلمية لكتب الرحلات: "فأما القيمة العلمية فهي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعارف والمدونات التي تمت إلى الجغرافية والتاريخ بأوثق الصلات، ففيها عدا ذكر ما قاساه كاتبوها من ألوان المتاعب والأهوال، صور وتقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورهم من شعوب آسيا وأفريقيا وشطر من أمم أوروبا: كذكر المعالم الأثرية، ودرس العلاقات الاقتصادية، ووصف الممالك والبلدان، والأصقاع والأقطار، والمسالك والطرق وغير ذلك مما لا يزال يعتبر حتى اليوم مرجعاً أساسياً في دراسة وصف بعض البلدان الجغرافي والعمراني والاجتماعي والاقتصادي".²⁰

فأدب الرحلة بمثابة موسوعة تاريخية حية تُتيح للدارسين استكشاف عصور غابرة وحضارات متنوعة، كما يُقدم لهم رؤى ثاقبة عن العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الشعوب في مختلف بقاع الأرض. ولم تقتصر فائدة كتب الرحلات على الباحثين فقط، بل تُعدّ مصدرًا غنيًا للمتعة والمعرفة للقارئ العادي، حيث تأخذه في رحلة عبر الزمن والمكان، ليشارك الرحالة مغامراتهم ويكتشف معه عوالم جديدة وثقافات مُتنوّعة. وبذلك، تُشكّل كتب الرحلات جسراً معرفياً يربط بين الماضي والحاضر، ويُتيح لنا استكشاف العالم بكل ثرائه وتنوعه.

²⁰ أبو سعد، أحمد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد - بيروت، ط/1، 1961م، ص/5

أدب الرحلة والدراسات التاريخية

تُعدّ كتب الرحلات بمثابة نافذة نُطلّ من خلالها على حقائق تاريخية غابت عنّا في بطون الكتب المختصة. فبينما يُركّز التاريخ على وصف الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، تأتي الرحلات لتُضفي على هذه الأحداث بعدها الإنساني وتُجسّدُها على أرض الواقع. وتُقدّم لنا كتب الرحلات تحليلات عميقة لجوانب لم تُطلّها الوثائق التاريخية، ممّا يُتيح للمؤرخين فرصة استكشاف الماضي بشكلٍ أشمل وأدقّ.

ولذلك، تُعدّ كتب الرحلات مصدرًا لا غنى عنه للمؤرخين الذين يُدرسون أو يكتبون عن فترات زمنية مُحددة، فهي تزوّدُهم بمعلومات قيّمة عن الأحداث والشخصيات والأماكن التي لم يتمّ ذكرها في الكتب التاريخية المعتادة. وتُقدّم لنا الرحلة صورة حيّة عن العصر الذي عاش فيه الرحالة، من خلال القصص الواقعية والشخصيات الحقيقية التي يتناولها. فالمُسافر يُعرّفنا على واقع البيئة التي عاش فيها والمجتمع الذي اختلط به، ممّا يُتيح لنا فهمًا أعمق للحياة في تلك الحقبة. وبذلك، تُشكّل كتب الرحلات مصدرًا مهمًا للمعرفة التاريخية، فهي تُقدّم لنا شهادة عيان على الأحداث الماضية من منظور إنساني حيّ. ولكن من المهمّ الإشارة إلى أنّ كتب الرحلات ليست خالية من التحيزات الشخصية، ممّا يتطلّب من القارئ والمؤرخ على حدّ سواء قراءتها بنظرة نقدية تحليلية.²¹

وهكذا نجد أعظم رحالة المسلمين ابن بطوطة يتحدث في رحلته عن تاريخ المسجد النبوي منذ عهد النبي إلى عصره حيث يقول: "وجعل للمسجد ثلاثة أبواب ثم سد باب الجنوب حين حولت القبلة وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله، وحياة أبي بكر . فلما كانت أيام عمر بن الخطاب زاد في مسجد رسول الله". وقال: "لولا أنّي سمعت رسول الله يقول ينبغي أن نزيد في المسجد ما زدت فيه. فأنزل أساطين الخشب وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الأساس حجارة إلى القامة وجعل الأبواب ستة منها في كل جهة ماعدا القبلة بابان".²²

²¹ أحمد بت، فردوس، أهمية ادب الرحلات من الناحية العلمية والتعليمية، مجلة اللغة، المجلد الثالث، العدد/1، يناير - مارس، 2017م.

²² ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992م، ص/116.

أدب الرحلة في مجال الجغرافية

تساهم الرحلات بشكل كبير في علم الجغرافيا، حيث يقدم الرحالة روايات مباشرة عن معالم ومناظر جغرافية متنوعة. فهم من خلال وصفهم للممالك والبلدان والمدن والمسالك والطبيعة والمناخ، يُغنون المعرفة الجغرافية بشكل ملحوظ. وتعتبر هذه الروايات مراجع أساسية للباحثين الجغرافيين الذين يدرسون تلك المناطق. فهي تتيح لهم فهمًا عميقًا للجانب الجغرافي لمكان معين خلال فترة تاريخية محددة. كما تكشف الرحلات عن جوهر المكان بما في ذلك بيئته الطبيعية ومناخه وتوزيع سكانه وخصائصه الثقافية.

نحن نرى أن معظم الرحالين ذكروا الجانب الجغرافي في رحلاتهم فمثلا ابن جبير تحدث عن جبال مكة قائلا: "وعن جانبي الطريق في هذا الموضع جبال أربعة، وجبلان من هنا عليها أعلام من الحجارة، وذكر لنا أنها الجبال المباركة التي جعل إبراهيم عليه السلام عليها أجزاء الطير ثم دعاهن - حسبما حكى الله عز وجل سؤاله إياه جل وعلا أن يريه كيف يحي الموتى وحول تلك الجبال الأربعة جبال غيرها.²³

أدب الرحلة وعلم الاجتماع

ففي رحلاتهم، لم يقتصر وصف الرحالة على المعالم الجغرافية، بل حرصوا على توثيق مظاهر الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها، عن طبقات المجتمع وعاداتهم وتقاليدهم والمهن. وتُقدم كتب الرحلات لمحات لنا عن الأعياد والاحتفالات التي كانت تُقام في تلك الحقبة، بالإضافة إلى وصف الملابس والأطعمة والأشربة التي تميّزت بها ثقافات الشعوب المختلفة.

وقد أشار بعض الرحالة ومنهم ابن جبير وابن بطوطة في رحلاتهم إلى أصحاب المهن وأعمالهم كالخبازين وصناع الحلوى والنساج وغيرهم كما أشاروا إلى العادات والتقاليد لأهل مختلف البلدان ومنها ضرب الطبول في أوقات الصلاة وابتداء الموسم الحج لأهل الحجاز كما ذكره ابن جبير في رحلته.²⁴

إنّ هذه التفاصيل الدقيقة التي وثّقها الرحالة تُتيح لنا فهمًا عميقًا للحياة الاجتماعية في الماضي، وتُساعدنا على رسم صورة حية للبناء الاجتماعي والعلاقات الإنسانية التي سادت في مختلف الحضارات.

²³ دكتور محمد زينهم، رحلة ابن جبير، دار المعارف، القاهرة، 2021م، ص/ 105

²⁴ ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص/ 168.

وبذلك، تُصبح الرحلات بمثابة سجلّ تاريخيٍّ غنيٍّ يُثري دراساتنا في مجال علم الاجتماع، ويُتيح لنا فهمًا أفضل لتطور المجتمعات عبر الزمن.

أدب الرحلة و علم السياسة

في مجال علم السياسة ومما هو جدير بالإشارة إليه أن ملاحظة الرحالة للأحوال السياسية في البلاد الإسلامية التي مروا بها كشف لنا كثيرا من الأمور، فمن ذلك مثلا علاقة الممالك الإسلامية بعضها ببعض، أو بالدولة العثمانية، أو بالممالك النصرانية. فمثلا أشار ابن جبير في رحلته إلى قائد جده وحاكم مكة المكرمة حيث يقول: "كان إنفصالنا من جده بعد أن ضمن الحجاج بعضهم بعضا، وثبتت أسماؤهم في زمام عند قائد جده علي بن موفق، حسبما نفذ إليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكثر بن عيسى."²⁵

وكذلك تحدث ابن بطوطة في رحلته عن حكام المدينة المنورة قائلا: "كان أمير المدينة كبيش بن منصور بن جمار، وكان قد قتل عمه مقبلا. ويقال: إنه توضحاً بدمه ثم إن كبيشا خرج سنة سبع وعشرين إلى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه، فقتلوا كبيش بن منصور صبها ولعقوا دمه وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور الذي نفى أبا سفيان الفاسي."²⁶

أدب الرحلة والموروث الثقافي

يعد أدب الرحلات بمثابة مستودع غني للتراث الثقافي، القديم والمعاصر، مما يعكس جوهر المجتمعات التي يستكشفها المسافرون، سواء في سياق التراث العربي أو في رحلات أكثر حداثة. وتعد هذه الكتابات بالعناصر التاريخية التي ساهمت بشكل كبير في تشكيل الهوية الثقافية، وتجسيد العادات والتقاليد والتراث المادي للشعوب المتنوعة. تشمل الأوصاف الحية بقايا المدن التراثية والمعالم الدينية والمواقع الأثرية، وتوثيق حالتها الأصلية والتغيرات اللاحقة والاختفاءات والتجديدات. لا تحمل هذه الصور أهمية أثرية كبيرة فحسب، بل تنقل أيضًا الثقافة والهوية الأصيلة للمجتمعات.²⁷

²⁵ ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص/57.

²⁶ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992م، ص/124.

²⁷ الشوابكة، نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ص/159.

علاوة على ذلك، يعد أدب الرحلات بمثابة قناة لنقل التفاصيل المعقدة لثقافة المجتمع وتراثه الفكري. غالبًا ما يوجه المسافرون العلماء إلى المخطوطات، ويعملون كحراس لآئ لا غنى عنها متأصلة في الميراث الثقافي. يتم نقل أصالة وهوية المجتمع بدقة من خلال الملاحظات الصادقة، والإخلاص لهؤلاء المسافرين الذين يتعاملون مباشرة مع السكان المحليين، وي طرحون الأسئلة وينغمسون في أسلوب حياة المجتمع.

تمتد أهمية أدب السفر إلى ما هو أبعد من التوثيق الجغرافي. يصبح المسافرون مراقبين دقيقين، ويستخدمون أساليب مشابهة للدراسات الاجتماعية المعاصرة، ويجمعون المعلومات من خلال الاستماع والملاحظة المباشرة والمشاركة والتعايش. يحول هذا النهج الشامل حساباتهم إلى سجلات قيمة لتراث الأمة، والتي غالبًا ما يتم تجاهلها من خلال الدراسات التقليدية وجهود إحياء التراث.²⁸

يتمد تركيز المسافر إلى ما هو أبعد من مجرد المواقع الجغرافية ليشمل النسيج المعقد لعادات المجتمع وتقاليد ومعتقداته وخرافاته. منذ الولادة وحتى الوفاة، وجميع المظاهر الاجتماعية المرتبطة بها، يجسد أدب الرحلات الجوانب الدقيقة للحياة اليومية. علاوة على ذلك، يولي المسافرون اهتمامًا خاصًا بالتراث الثقافي المادي، ويوثقون مختلف العجائب المعمارية والآثار والهياكل التي تحدد البصمة التاريخية للمجتمع.

هذا فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي، أما من ناحية التراث الثقافي المادي، كما قال حسين نصار: "إنه لا يوجد واحد من الرحالة العرب أهمل إهمالًا تامًا الحديث عن العمائر من آثار وأبواب وأديرة وأسوار وأضرحة وجسور وجوامع وحصون وحمامات وخوانق ودواوين ودور فنادق وقباب وقصور وقلاع وقناطر وكنائس ومبان ومتاجر ومحارس ومدارس ومساجد ومستشفيات ومشاهد ومقابر ومنارات ومنازل ونقوش."²⁹ كما عنوا عناية شديدة بالمدن الأثرية التي شهدت وقائع تاريخية "تحدثوا عن أحيائها وشوارعها ودورها والمنشآت العامة فيها وذكروا من ولد فيها أو نسب إليها من العلماء والأدباء والكبراء، وترجموا لهم أحيانًا."³⁰

عند دراسة أدب الرحلات، يصبح من الواضح أن العلاقة بين الإثنوغرافيا والفن الشعبي (الفولكلور) هي علاقة متأصلة، سواء كانت مقصودة أم لا. يقوم المسافرون باستقراء وتحليل القيم والأفكار والجوانب

²⁸ نصر، أحمد عبد الرحيم، التراث الشعبي في أدب الرحلات، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج، الدوحة، 1995م، ص/17.

²⁹ نصار، حسين، أدب الرحلة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1991م، ص/123-124.

³⁰ النفس المرجع، ص/122.

المادية والروحية، ويقدمون نظرة ثاقبة لطريقة حياة الناس ومعالمهم التراثية. وهذا الطابع الشعبي للتراث، المتجسد في لغة مشتركة للجميع، تسهل دراسة المجتمعات بأبعادها الإنسانية والتاريخية والاجتماعية والدينية والفولكلورية. تظهر الرحلات، كما تم تصويرها في أدب الرحلة، كمصدر حيوي لوصف الثقافات الإنسانية المتنوعة ولتمييز السمات والخصائص الفريدة المتأصلة في كل ثقافة. غالبًا ما يعقد المسافرون مقارنات بين الثقافة المألوفة لوطنهم والثقافات التي يواجهونها أثناء استكشافاتهم، مما يسلط الضوء على ثراء الحضارات الإنسانية وتنوعها.

الفصل الثالث

أدب الرحلة في اللغة العربية

نشأة أدب الرحلة وتطوره في اللغة العربية

تُزخر كتابات الرحلة العربية بتاريخ غني يعود إلى حوالي اثني عشر قرناً. ونشأ هذا النوع وثيقاً الصلة بأهمية السفر في الإسلام، حيث يُظهر القرآن الكريم السفر كفرض، سواءً للحج أو كما في قوله تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"³¹. ولقد كان السفر ضرورياً أيضاً لطلب العلم، ومُتطلباً أساسياً لأي عالم محتمل، للاطلاع على الكتب ودراسة العلوم على يد المعلمين مشهورين. و'الرحلة' لفظ قرآني يُستخدم أيضاً للدلالة على رواية السفر.

تنوعت دوافع الرحلة في كتابات الرحلة العربية، فجمعت بين البواعث الدينية والسعي وراء المعرفة، وذلك ضمن إطار معرفي راسخ اقتصر في الغالب على الأراضي الإسلامية. وشكل السفر أداة أساسية لغزو المعرفة بالنسبة للعلماء، فكان جزءاً لا يتجزأ من رحلتهم العلمية الرسمية. وقد حصلوا على موافقة وتوجيه من السلطات المعترف بها من خلال إجازاتٍ رسمية خوّلت لهم تعليم علومهم. وقرّ رأس المال الثقافي المكتسب من خلال السفر والتعلم مكانة مرموقة وضمناً للاعتراف، ممّا مكّن صاحبه من تحويله إلى عمل مدفوع الأجر، كالتدريس.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العديد من الجغرافيين الرحالة كانوا مدفوعين برغبة التجوال بقدر ما كانوا مدفوعين بالعلم، كما ذكر اليعقوبي في مقدمة كتابه البلدان: "إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني، وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأنني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي"³².

³¹ سورة العنكبوت: آية/20

³² اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص/9.

مدونات تجارب التجار والحجاج والرحالة

فلم يكن غريباً إذن أن يؤلف ابن خرداذبة كتابه المسالك والممالك تقريراً عن جباية الدولة العباسية، وهو يومها متولي البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس، وحرره في سامرا بعيد عام 230 هـ. ثم كان كتاب الخراج لقدامة ابن جعفر، بين فيه الطرق والمسافات فضلاً عن قيمة جباية المملكة، وضمنه أخباراً كثيرة تتعلق بأحوال الدولة والبلاد المتاخمة لها، وبالإضافة إلى ذلك فقد اقترنت بالحاجة الإدارية حاجة دينية اقتضت وصف طرق الحج لتعيين محطات القوافل ومنازل الحجاج بين البلاد والأماكن المقدسة في الجزيرة.³³

يُعدّ كتاب 'أخبار الصين والهند' من أوائل الكتب التي تصف الأراضي غير الإسلامية، حيث يعود تاريخه إلى منتصف القرن التاسع الميلادي.³⁴ يتميز الكتاب بمزجه بين المعلومات العملية عن هذه المناطق البعيدة مع حكايات عجيبة تُشبه حكايات ألف ليلة وليلة. يركز الجزء الخاص بالصين على المعلومات العملية، مما يدل على أن قراءه كانوا من التجار الذين يحتاجون إلى معلومات واقعية وليس أساطير. يقدم الكتاب وصفاً دقيقاً للشاي والخزف والأخلاق الكونفوشيوسية، بالإضافة إلى تعليقات إثنوغرافية مفصلة حول عادات الشعوب المختلفة. تتميز هذه التعليقات بواقعيّتها وموضوعيتها، حيث يُظهر المؤلف اهتماماً واحتراماً بالثقافات الأخرى، بعيداً عن أي تحيزات.

وقد صدرت في القرن التاسع الميلادي عدة رحلات من أشهرها رحلة سليمان التاجر الذي أبحر عدة مرات إلى الهند والصين، ودون جانباً من هذه الرحلات ونقلها منه مواطن له يسمى أبو زيد السيرافي. ورحلة سلام الترجمان الذي أرسله الخليفة الواثق في بعثة إلى بلاد الصين عام 227 هـ ليشاهد السد الذي بناه الإسكندر في ديار يأجوج ومأجوج، وعادت الرحلة لتقص على الناس أخبار الصين وعجائبها.³⁵ ورحلة محمد بن موسى المنجم وقد كلفه الواثق برحلتين الأولى إلى آسيا الصغرى لفحص كهف الرقيم الذي لجأ

³³ أدب الرحلة عند العرب، حسني محمود حسين، دار الأندلس، بيروت، 1983م، الطبعة الثانية، ص/11

³⁴ Newman, Daniel (2019), 'Arabic travel writing.' in The Cambridge history of travel writing. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 143-158.

³⁵ حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص/11

إليه مجموعة من الشباب هربوا بدينهم وعرفوا باسم أهل الكهف، والثانية مع سلام الترجمان لزيادة سد
يأجوج ومأجوج.³⁶

سجلت رحلة ابن فضلان إلى فولغا بلغار³⁷ عام 921م أول كتاب الرحلة في اللغة العربية،³⁸ وتميزت
بالعديد من العناصر التي أصبحت فيما بعد سمات أساسية لأدب الرحلة العربي. جمع ابن فضلان بين
السفر والسيرة الذاتية، وقدم وصفاً شبه يومي لتقدمه، وربط الأحداث بالأماكن. بدأت رحلته بمقدمة
تضمنت الحمد لله والثناء على الحاكم وسبب الرحلة والاستعدادات لها. سافر ابن فضلان كمسلم، مما
أضفى على رحلته طابعاً دينياً مميزاً.

لتأكيد دور الرحلة في التراث الجغرافي للعرب والمسلمين، نجد عبد الله محمد أحمد المقدسي، أحد أعلام
التراث الجغرافي العربي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يُبرز أهمية رحلاته في أنحاء العالم
الإسلامي من أجل المعاينة وجمع المادة العلمية التي سجلها في كتابه الشهير 'أحسن التقاسيم في معرفة
الأقاليم'. وعند الحديث عن الرحلة والتراث الجغرافي، لا يمكننا إلا أن نذكر الأندلسي أبا عبد الله محمد
بن محمد الإدريسي، صاحب كتاب 'نزهة المشتاق في اختراق الآفاق'. إن ذكر أسماء الأعلام وعناوين
الأعمال الكثيرة ليس هدفنا هنا، ومع ذلك يمكننا الإشارة إلى أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي،
صاحب مؤلف 'مروج الذهب ومعادن الجوهر'، الذي توفي عام 346هـ / 957م. فرحلات المسعودي كانت
علمية، حيث سعى من خلالها لدعم دراساته في الجغرافيا والتاريخ.

شهدت الرحلات الجغرافية تطوراً مهماً في القرن الخامس الهجري (القرن 11 الميلادي). ومن أبرز هذه
الرحلات تلك التي قام بها الطبيب البغدادي ابن بطلان عام 404هـ إلى الشام ومصر وإنطاكية
والقسطنطينية. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر كتاب البيروني 'تحقيق ما للهند من مقولة' (توفي عام 440هـ)
خطوة مهمة في الأدب الجغرافي، إذ لم يقتصر على الجغرافيا والرحلات فحسب، بل تضمن أيضاً آراء في
الدين والفلسفة والتاريخ، مما دفع هذا المجال العلمي إلى الأمام.

³⁶ فنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2022م، ص/71

³⁷ تقع بلغاريا اليوم كدولة في جنوب البلقان، إلى الشمال من اليونان. لكن يعود أصل الشعب البلغاري إلى آسيا الوسطى. في العصور
الوسطى، وجدت دولة بلغارية تلتقي فيها نهر الفولغا وكاما، على بعد أميال عديدة إلى الشرق من العاصمة الروسية موسكو. تسمى هذه
الدولة فولغا بلغاريا.

³⁸ المرجع نفسه، ص/71

يعتبر كتاب 'معجم البلدان' لياقوت الحموي (ت 626هـ) من أهم إنجازات رحالة القرن السابع الهجري (القرن 13م) بفضل محتواه الغني والمفصل عن أقطار ومدن وقرى العالم الإسلامي. أسهم الكتاب في نشر مقتطفات مطولة من مصنفات مفقودة، مما ساعد في تصحيح المفاهيم عن بعض المؤلفين وإلقاء الضوء على آخرين غير معروفين. بالإضافة إلى ذلك، يقدم المعجم معارف جغرافية وأدبية وتاريخية وفولكلورية ممتعة، مما يجعله مرجعاً مهماً حتى لغير الباحثين.³⁹ تعتبر الموسوعات العربية في أدب الرحلة ذات قيمة كبيرة، ولكنها تتضاءل مقارنة بإنجازات ابن بطوطة، الرحالة العالمي صاحب 'تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار'. ابن بطوطة هو أبرز من كتب عن إفريقيا، وقد جال في البلاد والتقى بالعلماء والملوك، وقطع أكثر من مائة وعشرين ألف كيلومتر، مما يجعله أشهر رحالة في التاريخ العربي والعالمي.⁴⁰

حتى القرن التاسع عشر، كان تاريخ الرحلة في العالم الإسلامي يهيمن عليه المسافرون من المغرب والأندلس. كان النوع الفرعي السائد من هذه الكتابات هو 'أدب الرحلات الحج' أو 'أدب الرحلات الحجازية'، حيث كان الرحالة يسجلون تجاربهم في رحلاتهم إلى الحجاز، المنطقة التي تضم مكة والمدينة المنورة، الحرمين الشريفين للإسلام. ولكن لم تقتصر رحلات المسلمين على الحج فقط، بل سعى العديد من العلماء أيضاً إلى زيارة مراكز العلم المشهورة في المشرق مثل دمشق وبغداد والقاهرة. وقد تضمنت كتابات هؤلاء العلماء تفاصيل دقيقة عن المعلمين الذين التقوا بهم والأماكن التي زاروها، وخاصة تلك ذات الأهمية الدينية مثل المساجد وأضرحة الأولياء. اتّسمت رحلات العلماء بأنها اتّبعت مساراً محدداً يجمع بين الإيمان والمعرفة، حيث كانت رحلاتهم بمثابة طقس عبور يؤكد إيمانهم وانتماءهم للمجتمع الإسلامي ككل، أو 'الأمّة'.

يُعدّ ابن جبير (1145م-1217م) من أهم رواد أدب رحلة الحج، حيث سجل رحلته الأولى إلى الشرق الأوسط (1183م-1185م) في كتابه 'رحلة ابن جبير'.⁴¹ تميزت رواية ابن جبير بتضمينه التواريخ التقويمية المسيحية والإسلامية، وهو ما لم يتكرر حتى القرن التاسع عشر. قدم ابن جبير وصفاً دقيقاً للأماكن التي زارها، بما في ذلك معلومات إثنوغرافية غنية. تأثر أسلوب ابن جبير السردي البسيط، الذي يتخلله الشعر، بالرحالة الذين سبقوه، وظل نموذجاً للرحلات حتى يومنا هذا. على الرغم من إيمانه الديني الراسخ، أظهر ابن جبير انفتاحاً على الثقافات الأخرى، حيث أشاد بمعاملة المسلمين من قبل الحكام

³⁹ قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2022م، ص/76

⁴⁰ المرجع نفسه، ص/79

⁴¹ المرجع نفسه، ص/79

المسيحيين. ومع ذلك، انتقد ابن جبير سلوك بعض المسلمين في الأماكن المقدسة، الذين استغلوا الحجاج وابتعدوا عن قيم الإسلام.

شهد القرن السابع عشر ظهور نوع جديد من أدب الرحلة: رحلات إلى أوروبا. أتى هذا التطور نتيجة للتحويلات في ميزان القوى في البحر الأبيض المتوسط، بدءًا من القرن الخامس عشر، والتي أدت إلى زيادة الاتصالات بين الدول الأوروبية ودول شمال إفريقيا. ومن أوائل روايات الرحلات إلى أوروبا كتاب 'رحلة ابن قاسم الحجري'، الذي سافر إلى فرنسا والبلدان المنخفضة (1611م-1613م) كسفير مغربي. كما تم إرسال بعثات دبلوماسية أخرى إلى أوروبا لفدية الأسرى المسلمين، مثل بعثة الوزير الغساني إلى إسبانيا (1690م-1691م) وبعثتي المكناسي (إسبانيا، 1779م-1780م؛ مالطا ونابولي وصقلية، 1781م-1783م).⁴²

أدب الرحلة في العصر الحديث

أدب الرحلات العربي وصل إلى ذروته كجنس أدبي في القرن التاسع عشر، ولا يرجع ذلك إلى حد بعيد إلى زيادة انتشاره بسبب إدخال الطباعة إلى العالم العربي، وتوسع البنية التحتية التي سهلت الرحلة. بالإضافة إلى عدد الأعمال، نمت الواجهات أيضًا بشكل كبير؛ برزت أوروبا بشكل خاص في الوعي الجمعي باسم 'العالم الجديد'. غالبًا ما كان الاتصال بالغرب يحدث من خلال الصراع العسكري، بدءًا بحملة نابليون الفاشلة في مصر (1798م-1801م)، والتي تلتها استعمار كامل للجزائر (1830م) وتونس (1881م) ومصر (1881م). التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية المهمة في المنطقة أرست أسس الشرق الأوسط الحديث. وبما أنه جاء بعد عصر من التدهور النسبي، أصبح القرن التاسع عشر يُعرف باسم 'النهضة'، حيث احتل أدب الرحلات موقعًا فريدًا لأنه أصبح مصدرًا رئيسيًا للبحث في التقدم الغربي، وبالتالي أصبح قناة رئيسية للحدثة.

الحكام المسلمون في العالم العربي، وكذلك في تركيا وإيران، لجأوا إلى أوروبا للحصول على المساعدة في مشاريع التحديث الخاصة بهم. بالإضافة إلى استدعاء المستشارين الأجانب، تم لأول مرة إرسال المسلمين إلى بلاد غير مسلمة للدراسة. انطلقت البعثة الأكثر شهرة من مصر إلى فرنسا عام 1826م وضمت أكثر من أربعين طالبًا. وكان إمام المجموعة، رفاعة الطهطاوي (1801م-1872م)، الذي سجّل مكوته لمدة

⁴² قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2022م، ص/79

خمس سنوات في أول رحلة مطبوعة إلى أوروبا. ولا يزال هذا الكتاب من أكثر الكتب شمولاً على الإطلاق، حيث يجمع بين يوميات السفر ودليل للعلوم والتقنيات الجديدة، بالإضافة إلى الجغرافيا والإثنوغرافيا. جعل نطاق الموضوعات الواسع رحلة الطهطاوي مناسبة جداً ككتاب مدرسي، وقام الحاكم المصري محمد علي باشا بتوزيعه على موظفي الخدمة المدنية والطلاب في المدارس الجديدة.

لم تنطفئ جذوة الرحلات العربية بل عادت لتزهر من جديد في ثوبٍ مختلفٍ مع مطلع القرن التاسع عشر، لا سيما بعد الحملة الفرنسية على مصر. ففي عام 1803م، انطلق محمد عمر التونسي في رحلةٍ جابت بلاد العرب والسودان، مدوّناً مشاهداته في كتابه 'تشحيد الأذهان'. وتبعه رفاعة رافع الطهطاوي، رائد أدب الرحلة الحديث، بكتابه 'تلخيص الإبريز'، ممهّداً الطريق لجيلٍ جديدٍ من الرحالة. وسار على دربه كوكبةٌ لامعةٌ من أمثال محمد عياد الطنطاوي، صاحب كتاب 'تحفة الأذكياء باخبار بلاد روسيا'.⁴³

توجهت رحلات العرب آنذاك إلى أوربة بشكل خاص وعنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوربة الطبيعية وما شاكل ذلك. ثم أعار العرب الإهتمام برحلات نحو الولاية المتحدة الأمريكية بشطريها. علي جانب آخر ألقى بعض الرحالة العرب بالهم إلى التجوال في وسط أفريقيا وجنوبها. هذا وقد اعتدوا بتطويف في الهند والصين حتى ولم يتركوا أي منطقة إلا وقد رحلوا إليها ووصفوها. فمن أشهر الرحالة في العصر الحديث داود بركات ومحمد عبد الله عنان. هما رحلا إلى الشرق والغرب، ومحمد فريد الذي سافر إلى الجزائر وتونس وفرنسا وعنده الذي سافر إلى المغرب و أوربة وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين اللذان سافرا إلى تركيا وسورية وسلامة موسي الذي سافر إلى الجزائر وأحمد فهمي الأندلسي الذي رحل إلى المغرب وعزيز المصر الذي رحل إلى إيران وسورية والعراق و محمود رشاد الذي قام برحلة في كل سنة وعبد العزيز الثعالبي الذي رحل إلى العالم الإسلامي كله طوال ثلاثين عاما.

أدب الرحلات الحديث لم يقف عند حدود الواقع بل تعداه إلى الخيال، فنجد رواية 'حديث عيسى بن هشام' التي تعد من رواد الرواية العربية الحديثة، تحكي رحلة خيالية، كما تلقانا رحلة أمين الريحاني التي أسماها الريحانيات، وقد سجل مشاهداته في بلدان عربية ووصف عادات أهلها. تتضمن أيضاً كتب الرحلات العربية الحديثة إلى رحلات الأديب المصري حسين فوزي التي سمّاها السندباد العصري، ورحلة توفيق الحكيم المسماة زهرة العمر وفيها يتناول بحس مسرحي قصصي جوانب من الحياة في باريس.

⁴³ قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2022م، ص/81

وتعد رحلات حمد الجاسر لوناً جديداً في أدب الرحلات إذ سجل لنا رحلاته إلى مكتبات أوروبا بحثاً عن المخطوطات المتصلة بالجزيرة العربية، وسرد أسماء العديد من المخطوطات ومحتوياتها وآراءه عنها، مع سرد لبعض النوادر والمواقف، التي تدخل بهذه الرحلات مجال الأدب الشائق الطريف.

وكما شاع - من أدب الرحلات في تراثنا - أدب الرحلات الحجازية، فكذلك عرف الأدب الحديث نماذج منها: الرحلة الحجازية للبتانوني، ورحلة شكيب أرسلان: 'الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف'. وهي تمضي، بشكل عفوي، على طريقة القدماء، وفيها قابل الملك عبد العزيز، يرحمه الله، وسجل لنا صورة إعجاب بشخصيته، كما اعتبر موسم الحج فرصة لاجتماع الصف الإسلامي وتحقيق الوحدة الإسلامية.⁴⁴

في هذا المجال شدت عضدهم صحف ومجلات عربية. نقول على سبيل المثال لا الحصر 'الأهرام' و'المقطم' و'اللواء' و'المؤيد'. أما من المجلات فمنها مثلاً مجلة 'الهلال' و'المقتطف' و'المشرق' وغير ذلك.

⁴⁴ أدب الرحلات. (2023، يونيو 4). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 18:54، 27 مايو 2024 من https://ar.wikipedia.org/wiki/أدب_الرحلات

الباب الثاني: الحجاز: أهمية تاريخية وجغرافية ودينية

الفصل الأول: تعرف على الحجاز

- الحجاز لغة
- الحجاز اصطلاحاً
- موقع الحجاز وحدوده

الفصل الثاني: الجغرافية المادية والثقافية للحجاز

- مناطق الحجاز
- أكبر مدن الحجاز
- الجغرافية الثقافية للحجاز

الفصل الثالث: الحجاز في العصور القديمة والإسلامية

- الحجاز قبل الإسلام
- الحجاز قبل الإسلام كموقع مقدس ومركز ديني
- الحجاز في صدر الإسلام
- الأهمية الدينية للحجاز في الإسلام
- جغرافية الحج
- مناسك الحج

الفصل الأول

تعرف على الحجاز

الحجاز في الأصل السلسلة الجبلية الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وسمّيت بالحجاز لأنها تحجز نجد عن تهامة. الحجاز هي المنطقة بأكثر كثافة سكانية في المملكة العربية السعودية، وتضم 35٪ من سكانها. اللغة العربية هي اللغة السائدة كما هو الحال في بقية المملكة العربية السعودية، مع اللهجة الحجازية هي اللهجة الأكثر انتشاراً في المنطقة. السعوديون الحجازيون من أصول عرقية متنوعة. الحجاز منطقة جغرافية تضم معظم الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية الحديثة، وتتركز في أقدس مدينتين للمسلمين - مكة والمدينة. مكة هي المكان الذي ولد وترعرع فيه النبي محمد ﷺ وهي مكان الكعبة التي ترتبط أيضاً بالنبي إبراهيم (ع)، بينما المدينة المنورة هي موقع الدولة الإسلامية الأولى وموقع دفن رسول الله ﷺ. إن وحي الله على رسول الله ﷺ، وأصول الإسلام كدين، والعديد من المؤسسات والعادات المرتبطة بالإسلام، مثل الحج إلى مكة، كلها مرتبطة تاريخياً بالحجاز ومدينتها المقدستين. نتيجة لذلك، كان للحجاز تأثير كبير في جميع أنحاء العالم الإسلامي، لا سيما في القرن السابع ثم مرة أخرى بعد ذلك بكثير، بعد تطوير موارد النفط الهائلة في المملكة العربية السعودية في القرن العشرين.

الحجاز لغة

حجاز على وزن فِعَال، ومصدرها حجز ومعناه 'الحاجز والمانع' وفي اللغة "حجزه يحجزه إذا منعه وصدّه عن قصده".⁴⁵

ويقول ابن منظور في لسان العرب: "الحَجَز، الفصل بين الشيئين. حَجَزَ بينهما يَحْجِزُ حَجْزاً وَحِجَازَةً فَاحْتَجَزَ. واسم ما فصل بينهما: الحَاجِزُ. الأزهري.⁴⁶ : الحَجَزُ أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَ مَقَاتِلِينَ، وَالْحِجَازُ الْاسْمُ. وكذلك الحَاجِزُ. قال الله تعالى (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) أَي حِجَازًا بَيْنَ مَاءٍ مِلْحٍ وَمَاءٍ عَذْبٍ لَا يَخْتَلِطَانِ

⁴⁵ الأندلسي، أبي عبيد البكري، معجم ما استعجم، جزء الأول-ص/12، عالم الكتب - بيروت، 1983م

⁴⁶ الأزهري - أبو منصور الأزهري عالم من علماء اللغة العربية عاش في العصر العباسي ولد في خراسان وانتقل إلى بغداد نسبه إلى جده الأزهري - غني بالفقه فاشتهر به أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم.

وذلك الحجاز قدرة الله وَحَجَزَهُ يَحْجُزُهُ حَجْزاً مَنْعَهُ. وفي الحديث: ولأهل القتيل أن ينحجزوا الأدنى فالأدنى أي يكفوا عن القود، وكل من ترك شيئاً، فقد انحجز عنه.⁴⁷

ثم يقول: "والحجاز البلد المعروف سميت بذلك من الحَجَز الفصل بين الشيتين لأنه فصل بين الغور والشام والبادية وقيل لأنه حَجَز بين نجدٍ والسَّراة وقيل لأنه حَجَز بين تهامة ونجد وقيل سميت بذلك لأنها حَجَزَتْ بين نجد والغور وقال الأصمعي لأنها احتجرت بالجزار الخمس منها حرّة بني سُلَيْم وحرّة واقم، ويقال للجبال أيضاً حِجاز ومنه قوله ونحن أناس لا حِجازَ بأرضنا وأحجَرَ القومُ واحتجروا وانحجزوا أتوا الحِجازَ وتَحاجزوا وانحجزوا واحتجروا تَزايَلُوا."⁴⁸

يقول الفيروز آبادي: "حجزه: يحجزه يحجزه حجزاً وحجيزى وحجزة: منعه وكفه فانحجز و-بينهما: فصل، و-البعير: أناخه، ثم شدّ حبلاً في أصل خفيّه من رجليه، ثم رفع الحبل من تحته، فشدّه على حفويّه، ليداوي دبرته. وذلك الحبل، وكل ما تشدّ به وسطك لتشمّر ثيابك: حجاز. والحجزة: الظلمة الذين يمتعون بعض الناس من بعض، ويفصلون بينهم بالحق، جمع حاجر.⁴⁹ والحجاز: مكة والمدينة والطائف ومخاليفها لأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسَّراة أو لأنها احتجرت بالحرار الخمس حرة بني سُلَيْم وواقم وليلى وشوران والنار."⁵⁰

الحجاز اصطلاحاً

وفي حديث حارث بن حسان: "يا رسول الله إن رأيت أن تجعل الدِّهْناء حِجازاً بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيم"⁵¹. أي حداً فاصلاً يحجز بيننا وبينهم قال وبه سمي الحجاز الصفع المعروف من الأرض.⁵²

ويقول ياقوت: قال بعض أهل السير: "إنه لما تبلبت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن إرم في ولده وولد ولده ليقفوا آثار إخوته. وقد احتوا على بلدانهم فنزل دونهم بالحجاز قسموها حجازاً

⁴⁷ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ج/ 5، الصفحة 331/

⁴⁸ نفس المرجع

⁴⁹ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، قاموش المحيط، ص/ 507، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان

⁵⁰ نفس المرجع، ص/ 508

⁵¹ مسند إمام أحمد، ح/ 15953

⁵² الفتني، محمد طاهر الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، وتكملة مجمع بحار الأنوار، مجلس دائرة المعارف

العثمانية بحيدر آباد - الهند، 1967م، ج 1، ص/ 458

لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطبيها وكثرة خيرها".⁵³ وقال غيره: "سمي الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور وبين الشام وبين تهامة ونجد والحجاز جبل ممتدّ حالّ بين الغور: غور تمامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حجاز بينهما".⁵⁴

موقع الحجاز وحدوده

الحجاز منطقة تاريخية وتعد أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية⁵⁵ الجغرافية الخمسة. ويقع الحجاز في الجزء الشمالي الغربي والغربي من شبه الجزيرة العربية. كما ناقشنا من قبل في تعريف وتسمية الحجاز، سمّيت بالحجاز لأنها تحجز نجداً عن تهامة، وربما يكون هذا الوصف لموقعها أفضل؛ فهو يحدّد حدودها بين تهامة ونجد. تمتدّ أرض الحجاز ما بين كلّ من تبوك والباحة، وكان إقليم الحجاز هو أحد أهم الأقاليم الإداريّة التي كانت تتبع للعصور الإسلاميّة المختلفة ابتداءً من عصر رسول الله ﷺ إلى عصر العثمانيين، مروراً بالخلافة الرّاشدة والعصر الأموي والعصر العبّاسي والعصر الفاطمي والعصر المملوكي.

تضمّ أرض الحجاز العديد من المناطق وهي: منطقة تبوك، ومنطقة المدينة المنورة، ومنطقة مكّة المكرمة، ومنطقة الباحة؛ وهذا الترتيب من الشمال إلى الجنوب، إلّا أنّ مكة المكرمة تعود إلى تهامة؛ فتهامة هي السهل المجاور والموازي للبحر الأحمر مباشرةً، ومن هنا فقد كان يقال عن الرسول ﷺ الأعظم إنّ تهامي، إلّا أنّ هذا الترتيب هو ترتيب حديث بناءً على المناطق الإداريّة في الدولة السعوديّة الحديثة؛ فمنطقة مكّة المكرمة أوسع مما كانت عليه في السابق، ومن هنا فإنها حديثاً تحتلّ جزءاً من أراضي الحجاز.

قال الأصمعي عن جغرافية وحدود الحجاز: "الحجاز من تخوم اليمن من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد؛ فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية. الحجاز

⁵³ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993م، ج 2/، ص 219/

⁵⁴ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993م، ج 2/، ص 219/

⁵⁵ شبه الجزيرة العربية هي منطقة جغرافية تقع في جنوب غرب آسيا عند تلاقي آسيا مع أفريقيا وهي أكبر شبه جزيرة في العالم، وثاني أكبر شبه قارة على وجه الأرض. تشكل شبه الجزيرة العربية جزءاً هاماً من قارة آسيا حيث أنها تلعب دوراً جيوسياسياً مؤثراً في العالم، وذلك لما تمتلك من احتياطات نفطية كبيرة ومصادر للغاز الطبيعي.

اثنتا عشرة داراً: المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلي ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوازن وجُلُّ سليم وجُلُّ هلال وظهر حرة ليلي وممايلي الشام شغب وبدا.⁵⁶

⁵⁶ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993م، ج 2/، الصفحة/219

الفصل الثاني

الجغرافية المادية والثقافية للحجاز

مناطق الحجاز

• منطقة تبوك

منطقة تبوك هي واحدة من مناطق السعودية وتقع المنطقة في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وتحدها المملكة الأردنية الهاشمية من الشمال ومن الشرق منطقة الجوف ومنطقة حائل ومن الجنوب منطقة المدينة المنورة ومن الغرب خليج العقبة والبحر الأحمر.

يعود تاريخ منطقة تبوك إلى ما قبل الميلاد بـ 500 سنة. تم تحديد المنطقة بأرض مدين التي ورد ذكرها في الكتب السماوية .

• منطقة المدينة المنورة

منطقة المدينة المنورة هي إحدى المناطق الإدارية بالمملكة العربية السعودية ومقر إمارتها المدينة المنورة، ويتولى إمارتها الأمير فيصل بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود والأمير سعود بن خالد الفيصل نائبا له، وتأتي في المرتبة الثالثة من حيث المساحة، والخامسة من حيث عدد السكان. ومن أشهر أماكنها الحرم النبوي الشريف والمساجد المشهورة في المدينة مثل، مسجد القبليتين ومسجد قباء، ومقبرة بقيع الغرقد أو البقيع، هذه المقبرة التي تضم الكثير من الصحابة مثل عثمان بن عفان وزوج النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق والعديد من أصحابه وآل بيته رضي الله عنهم أجمعين.

ويُقصد بها هجرة النبي محمد ﷺ وأصحابه من مكة إلى يثرب والتي سُميت بعد ذلك بالمدينة المنورة؛ بسبب ما كانوا يلاقونه من إيذاء من زعماء قريش، وكانت في عام 1هـ، الموافق لـ 622م.

• منطقة مكة المكرمة

منطقة مكة المكرمة هي إحدى المناطق الإدارية بالمملكة العربية السعودية ومقر إمارتها مدينة مكة المكرمة. وهي أكثر مناطق المملكة في عدد السكان، ومدينة مكة المكرمة هي المدينة المقدسة لدى المسلمين،

بها المسجد الحرام، والكعبة التي تعد قبلة المسلمين في صلاتهم، ويزورها سنويا ما يفوق 20 مليون زائر منهم حجاج و معتمرون و سائحون.

كانت قرية صغيرة تقع في واد جاف تحيط بها الجبال من كل جانب، ثم بدأ الناس الاستقرار بها في عصر النبي إبراهيم والنبي إسماعيل، وذلك بعدما ترك النبي إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل في هذا الوادي الصحراوي الجاف، وذلك امتثالاً لأمر الله، فبقيا في الوادي حتى تفجّر بئر زمزم، وقد بدأت خلال تلك الفترة رفع قواعد الكعبة على يد النبي إبراهيم وابنه إسماعيل.

· منطقة الباحة

تقع الباحة في الجزء الغربي من الجزيرة العربية، على سلسلة جبال الحجاز، ويحد منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب والجنوب، ومنطقة عسير من الجنوب الشرقي. و منطقة الباحة من مصائف المملكة التي يرتادها السياحون من داخلها وخارجها بجمال الطبيعة ووجود الشواهد التاريخية والآثار القديمة وملايين المدرجات الزراعية القديمة التي تعود لآلاف السنين خلاف الأودية والأنهار التي تصب شلالاتها في أعلى القمم، كما أن المنطقة مليئة بالغابات وتعتبر من أفضل مناطق المملكة في مجال السياحة.

أكبر مدن الحجاز

· مكة المكرمة

مكة المكرمة هي أقدس مدينة في الإسلام وعاصمة منطقة مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية. وتبعد المدينة مسافة 70 كيلومترا عن مدينة جدة على البحر الأحمر في واد ضيق بارتفاع 277 مترا عن سطح البحر. مكة هي مسقط رأس النبي محمد ﷺ. يقع كهف حراء أعلى جبل النور خارج المدينة مباشرة، وهو المكان الذي نزل فيه القرآن لأول مرة على النبي محمد ﷺ. زيارة مكة للحج فرض على جميع المسلمين القادرين. المسجد الكبير في مكة أو المسجد الحرام هو موطن الكعبة، التي بناها إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام، وهي واحدة من أقدس الأماكن الإسلامية وقبلية المسلمين في جميع أنحاء العالم.

حاول الحكام المسلمون من داخل المنطقة وحولها منذ فترة طويلة الاستيلاء على المدينة وإبقائها تحت سيطرتهم، وبالتالي مثل معظم منطقة الحجاز، شهدت المدينة العديد من التغييرات في النظام. تم غزو

المدينة أخيراً في الفتح السعودي للحجاز من قبل ابن سعود وحلفائه عام 1925م. منذ ذلك الوقت، شهدت مكة توسعاً هائلاً في الحجم والبنية التحتية مع المباني الحديثة.

تحتل مكة مكانة مهمة في الإسلام وهي أقدس مدينة في جميع المذاهب. تستمد المدينة أهميتها من الدور الذي تلعبه في الحج والعمرة.

• مسجد الحرام

المسجد الحرام هو أكبر مسجد في العالم وأعلى مبنى منفرد في العالم بأسره. وهو موقع لاثنتين من أهم شعائر الحج والعمرة، الطواف والمشى بين جبلي الصفا والمروة أو السعي. المسجد هو أيضاً موقع بئر زمزم. وفقاً للتقاليد الإسلامية، فإن الصلاة في المسجد تساوي 100000 صلاة في أي مسجد آخر حول العالم.⁵⁷ يضم المسجد الحرام العديد من المعالم وهي: الكعبة، حجر إسماعيل، بئر زمزم، مقام إبراهيم، الصفا والمروة، والحجر الأسود.

• الكعبة المشرفة

الكعبة هي بناء في وسط المسجد الحرام. إنه أقدس موقع في الإسلام. يعتبره المسلمون هو بيت الله وهو القبلة للمسلمين في جميع أنحاء العالم عند أداء الصلاة. يعتقد المسلمون أن الكعبة قد أعيد بناؤها عدة مرات عبر التاريخ، وأشهرها إبراهيم وابنه إسماعيل، عندما عاد إلى وادي مكة بعد عدة سنوات من ترك زوجته هاجر وإسماعيل هناك بأمر من الله. إن الدوران حول الكعبة سبع مرات يسمى الطواف، واجب لإتمام مناسك الحج والعمرة، والمنطقة المحيطة بالكعبة التي يطوف بها الحجاج تسمى المطاف.

• بئر زمزم

بئر زمزم هو بئر يقع داخل المسجد الحرام، على بعد 66 قدماً شرق الكعبة المشرفة، أقدس مكان في الإسلام. ووفقاً للإسلام، فهو مصدر مياه تم إنشاؤه بأعجوبة من عند الله، وقد نشأ بشكل عفوي منذ آلاف السنين عندما ترك إسماعيل مع والدته هاجر في الصحراء عطشى وبكاء. يزور ملايين الحجاج البئر كل عام أثناء أداء فريضة الحج أو العمرة لشرب مياهها.

⁵⁷ أحمد: (16117) وابن حبان: (1620) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (1172).

خصائص وفضائل مكة المكرمة

يعتبر المسلمون مكة المكرمة من أفضل بلاد الله وأحبها. فأقسم الله بمكة في القرآن في موضعين: "وهذا البلد الأمين"،⁵⁸ "لا أقسم بهذا البلد".⁵⁹ قال ابن كثير رحمه الله: "هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها"⁶⁰. وفي حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت ما خرجت".⁶¹

قال الله في القرآن عن المعاقبة فيها على الهم بالسيئات: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم"،⁶² فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه، أكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصي الله في حرم ملكه، كمن عصاه في الموضع البعيد من داره و بساطه. الصلاة في مكة لها أهمية كبيرة من أي مسجد آخر في العالم. فقد ثبت في المسند من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صلاة في مسجدي هذا، أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام وصلاة في ذلك أفضل من مائة صلاة في هذا"⁶³

يحرم على غير المسلمين دخول إلي مكة المكرمة يعني المسجد الحرام. قال الله: "يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا"⁶⁴. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحجّة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجّة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر "لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان".⁶⁵

⁵⁸ سورة التين: 3

⁵⁹ سورة البلد: 1

⁶⁰ عمدة التفاسير من الحافظ ابن كثير - ج/ 3 - ص/ 676

⁶¹ أخرجه الترمذى - وقال: حسن غريب صحيح - في كتاب: المناقب، باب: في فضل مكة (3925)679/5 وابن ماجه في كتاب: المناسك، باب: فضل مكة (3108) 1037/2. وأحمد (305/4). وصححه ابن حبان (3708)29/2، والحاكم على شرط الشيخين 7/3، 280، 431، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل-517/2-518

⁶² سورة الحج: 25

⁶³ رواه أحمد في (المسند)، (5/4)، (ح16162)؛ وابن حبان في (صحيحه)، واللفظ له، (499/4)، (ح1620)؛ وصححه الألباني في (صحيح موارد الضمآن)، (429/1)، (ح856).

⁶⁴ سورة التوبة: 28

⁶⁵ صحيح مسلم: (1347)

· المدينة المنورة

المدينة المنورة هي واحدة من أقدس ثلاث مدن في الإسلام وعاصمة منطقة المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية. تقع في قلب محافظة المدينة المنورة في الروافد الغربية للبلاد ، وتتوزع المدينة على مساحة 227 ميل مربعاً، تشكل منها المنطقة العمرانية للمدينة ، أما الباقي فتشغلها سلسلة جبال الحجاز والوديان الفارغة والمساحات الزراعية ، أقدم البراكين الخامدة وصحراء النفود.

تعتبر المدينة ثاني أقدس ثلاث مدن في التقاليد الإسلامية ، والمدينتان الأخريان هما مكة والقدس. المسجد النبوي الذي بناه محمد ﷺ عام 622م، له أهمية استثنائية في الإسلام وهو موقع دفن آخر نبي الإسلام. يزور المسلمون روضته في ما يعرف بالزيارات مرة واحدة على الأقل في حياتهم، مع أن هذا ليس بواجب. كان الاسم الأصلي للمدينة قبل ظهور الإسلام يثرب ويشار إليها بنفس الاسم في القرآن⁶⁶ . تم تغيير اسمها إلى مدينة النبي بعد وفاة محمد ﷺ وبعد ذلك المدينة المنورة.

من المعروف أن المدينة كانت موجودة منذ أكثر من 1500 عام قبل هجرة النبي محمد ﷺ من مكة. كانت المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية بقيادة النبي محمد ﷺ. كانت مدينة النبي قاعدة العمليات ومهد الإسلام. اكتسبت أمة محمد ﷺ ، المؤلفة من الأنصار، مواطني المدينة المنورة ، والمهاجرون، أولئك الذين هاجروا مع محمد ﷺ، نفوذاً هائلاً. المدينة المنورة هي موطن لثلاثة مساجد بارزة، وهي المسجد النبوي ومسجد قباء ومسجد القبلتين، ومسجد قباء هو الأقدم في الإسلام. نزل جزء أكبر من القرآن في المدينة المنورة على عكس السور المكية السابقة.

مثل معظم الحجاز، شهدت المدينة المنورة تبادلات عديدة للسلطة في فترة قصيرة. من المعروف أن المنطقة كانت تحت سيطرة القبائل العربية اليهودية (حتى القرن الخامس الميلادي)، الأوس والخزرج (حتى وصول محمد ﷺ)، محمد ﷺ والخلفاء الراشدين (622-660 م)، الأمويون (660-749 م)، العباسيون (749-1254 م)، مماليك مصر (1254-1517 م)، العثمانيون (1517-1805 م)، الدولة السعودية الأولى (1805-1811 م)، محمد علي باشا (1811-1840 م)، العثمانيون للمرة الثانية (1840-1918 م)، الشريفية الهاشمية بمكة (1918-1925 م) وأخيراً في أيدي المملكة العربية السعودية الحديثة (1925 م) - الوقت الحاضر.

⁶⁶ سورة الأحزاب: 33

· خصائص المدينة المنورة

فيها المسجد النبوي الشريف الذي تفضل الصلاة فيه ألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام، كما روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة".⁶⁷

دعا النبي لأهل المدينة بالبركة عامة وبركة الثمار والمدّ والصاع خاصةً، وقد ثبتت هذه البركة في أدلة كثيرة. في حديث من عبدالله بن زيد فيما جاء عن النبي قوله: "إن إبراهيم حرّم مكة، و دعا لها، و إني حرّمّت المدينة، كما حرّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدينتها و صاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة"⁶⁸. ما جاء عن أنس بن مالك عن الرسول ﷺ أنه قال: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة".⁶⁹ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: "اللهم! بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدينتنا وفي صاعنا بركة مع بركة". ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان.⁷⁰ إن الإيمان يستوطن المدينة المنورة، كما يتوجه إليها المسلمون ويؤمنونها؛ محبة لها فهي بقعة مباركة طيبة، فقد جاء عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها".⁷¹

· مدينة الطائف

الطائف هي مدينة ومحافظة في منطقة مكة المكرمة. تقع في منحدرات جبال الحجاز، والتي تعد نفسها جزءاً من جبال السروات،⁷² وهي المدينة السادسة من حيث عدد السكان في المملكة. أصول اسم الطائف غير واضحة، ومع ذلك، فمن المعروف أنه في عصر العرب قبل الإسلام، كانت الطائف تضم صنماً للإلهة لات، وكان يتردد عليها الحجاج، مما قد يفسر الاسم. تمت الإشارة إلى الطائف بشكل غير مباشر في القرآن في الآية 31 من سورة الزخرف. كجزء من الحجاز، شهدت المدينة العديد من عمليات نقل السلطة عبر تاريخها، وكان آخرها خلال الفتح السعودي للحجاز في عام 1925م.

⁶⁷ صحيح مسلم: (1396)

⁶⁸ رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن عبدالله بن زيد، الرقم: 1523، صحيح

⁶⁹ رواه البخاري: (1885)

⁷⁰ رواه مسلم: (1373)

⁷¹ رواه البخاري: (1876)

⁷² Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Al-Tā'if". Encyclopedia Britannica, 18 Feb. 2011, <https://www.britannica.com/place/Al-Taif>. Accessed 3 July 2023.

سميت المدينة بالعاصمة الصيفية غير الرسمية للمملكة العربية السعودية،⁷³ كما تم تسميتها كأفضل وجهة صيفية في المملكة العربية السعودية حيث تتمتع بطقس معتدل خلال فصل الصيف، على عكس معظم شبه الجزيرة العربية. تدين المدينة بشعبية بين السياح إلى العديد من المنتجعات الجبلية ومناخها المعتدل، حتى خلال فصول الصيف القاسية في شبه الجزيرة العربية. تتميز عن باقي منطقة الحجاز بأنها مدينة تلعب دورًا فاعلاً في الإنتاج الزراعي للمملكة العربية السعودية وهي مركز منطقة زراعية تشتهر بزراعة العنب والرمان والتين والورود والعسل. كما أن الطائف نشطة للغاية في تصنيع 'عطار' التقليدية والمعروفة محلياً باسم مدينة الورود.⁷⁴ كما تستضيف الطائف سوق عكاظ.

• مدينة جدة

جدة هي مدينة في منطقة الحجاز بالمملكة العربية السعودية والمركز التجاري للبلاد. جدة هي أكبر مدينة في منطقة مكة المكرمة، وثاني أكبر مدينة في المملكة العربية السعودية، وثامن أكبر مدينة في الشرق الأوسط. ميناء جدة الإسلامي، الواقع على البحر الأحمر، هو السادس والثلاثين أكبر ميناء بحري في العالم وثاني أكبر وثاني أكثر الموانئ ازدهامًا في الشرق الأوسط.⁷⁵

جدة هي البوابة الرئيسية لمكة المكرمة، أقدس مدينة في الإسلام، وتقع على بعد 65 كيلومترًا فقط من الشرق، بينما تقع المدينة المنورة، ثاني أقدس مدينة، على بعد 360 كيلومترًا إلى الشمال. من الناحية الاقتصادية، تركز جدة على زيادة تطوير الاستثمار الرأسمالي في القيادة العلمية والهندسية داخل المملكة العربية السعودية والشرق الأوسط.

جدة هي واحدة من مدن المنتجعات الرئيسية في المملكة العربية السعودية وقد تم تسميتها **Beta world city** من قبل **Globalization and World Cities Study Group and Network (GaWC)**. نظرًا لقرب المدينة من البحر الأحمر، يهيمن صيد الأسماك والمأكولات البحرية على ثقافة الطعام أكثر من الأجزاء الأخرى من البلاد في اللغة العربية، شعار المدينة هو 'جدة غير' يعني جدة مختلفة. استخدام

⁷³ Pesce, Angelo. (1984). Taif : the summer capital of Saudi Arabia. Jeddah: Immel.

ISBN 0-907151-27-2. OCLC 498664227

⁷⁴ Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Al-Tā'if". Encyclopedia Britannica, 18 Feb. 2011, <https://www.britannica.com/place/Al-Taif>. Accessed 3 July 2023.

⁷⁵ Wikipedia contributors. (2023, June 26). Jeddah. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved 17:22, July 3, 2023, from <https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Jeddah&oldid=1162040981>

الشعار واسع بين السكان المحليين وكذلك الزوار الأجانب يُنظر إلى المدينة على نطاق واسع على أنها المدينة الأكثر ليبرالية في المملكة العربية السعودية وهي مقصد سياحي شهير في المنطقة.

• مدينة ينبع

ينبع البحر، والمعروفة أيضاً باسم ينبع، هي ميناء رئيسي على البحر الأحمر في منطقة الحجاز. تبعد حوالي 300 كيلومتر شمال غرب جدة. العديد من المقيمين هم من المغتربين الأجانب الذين يعملون في مصافي النفط وصناعة البتروكيماويات، ومعظمهم من آسيا، ولكن هناك أيضاً أعداد كبيرة من الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا الشمالية.⁷⁶

الجغرافية الثقافية للحجاز

ثقافة الحجاز نسيج نابض بالحياة منسوج بخيوط تراثها الإسلامي وجذورها التجاري القديمة وتقاليدها البدوية. لقد اجتاز مجتمع هذه المنطقة عبر الزمن باحتضان القيم والعادات التي شكلت هويته. تعرض الحجاز تراثاً غنياً تم الحفاظ عليه من خلال الأدلة الأثرية والممارسات الثقافية من أعماق حضارتها التي تمتد إلى أكثر من مليون عام.⁷⁷ كانت الحجاز أرض الممالك والدول التي تشهد تطور الحضارة الإنسانية وتعمل كمركز حيوي لطرق التجارة الدولية. باعتبارها مسقط رأس خاتم الأنبياء في الإسلام، تحتل الحجاز مكانة مقدسة في قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم، كونها موطن الحرمين الشريفين في مكة والمدينة. سهّل الموقع الجغرافي للمنطقة التبادلات والتفاعلات الثقافية بين المجتمعات العربية والأفريقية والآسيوية والأوروبية. شهد الحجاز مزج التقاليد واللغات والعادات، مما خلق نسيجاً غنياً من التنوع الثقافي من خلال التجارة والحج.

ساهم التراث البدوي للحجاز في تقاليد وممارساتها البدوية. شكل نمط حياة البدوي المتميز برعي الجمال والضيافة والاكتماء الذاتي البنية الاجتماعية للمنطقة. لا تزال العادات البدوية، بما في ذلك تقديم الأطباق التقليدية مثل التمر والقهوة العربية، تمارس اليوم وترمز إلى دفء وكرم شعب الحجاز. تشمل التقاليد الثقافية للحجاز جوانب مختلفة من الحياة اليومية والفنون والترفيه. تحتل الموسيقى

⁷⁶ Wikipedia contributors. (2023, May 20). Yanbu. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved 17:23, July 3, 2023, from

<https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Yanbu&oldid=1155854218>

⁷⁷ ربهام عبد الناصر، تراث الحجاز القديم بالصور، 10 أكتوبر 2022، <https://www.almrsal.com/post/806932>، تم الوصول إليه في 6 يوليو 2023.

التقليدية والشعر ورواية القصص مكانة مرموقة في الثقافة العجازية. تشتهر المنطقة بأسلوبها الموسيقي الفريد، مثل النوع الشعبي 'النوبة' الذي يجمع بين الإيقاعات اللحنية والقصائد الشعرية.

من الجوانب المهمة للثقافة العجازية تقاليدها الشفوية، والتي تلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على التاريخ والفولكلور والشعر وعلم الأنساب. الشعر، على وجه الخصوص، له أهمية كبيرة كوسيلة لسرد القصص والتعبير. يحظى الشعراء باحترام كبير وتنقل أعمالهم مواضيع الحب والشرف والطبيعة والانتماءات القبلية. وتشمل الثقافة العجازية أيضًا تقليدًا ثريًا للفنون والحرف اليدوية. يعد الخط والنسيج والفخار والأعمال المعدنية ونحت الخشب من الممارسات الفنية البارزة. تعرض هذه الحرف التصاميم المعقدة والحرفية الرائعة، مما يعكس جماليات المنطقة الثقافية والحرفيين المهرة.

يعكس اللباس التقليدي في العجاز الهوية الثقافية المتميزة للمنطقة. غالبًا ما يرتدي الرجال 'الثوب'، وهو رداء أبيض طويل، بينما ترتدي النساء 'العباءة'، وهي عباءة سوداء فضفاضة، وغالبًا ما تفتقر بأنماط مختلفة من أغطية الرأس. المطبخ في العجاز هو مزيج من النكهات العربية والتأثيرات من المناطق المجاورة. تشمل الأطباق التقليدية التمر ولحم الضأن والأرز والتوابل مع تخصصات مثل المندي والكبسة والسمبوسة. تعد مشاركة الوجبات وتناول الطعام الجماعي جزءًا لا يتجزأ من الثقافة، مما يؤكد على أهمية الضيافة والكرم.

يتأثر المشهد الثقافي للعجاز بعمق بالإسلام، لا سيما بسبب مكانته كموقع لأقدس مدينتين في الدين، مكة والمدينة. يعتبر الحج السنوي إلى مكة المكرمة أحد الركائز الأساسية للإسلام ويجذب ملايين المسلمين المتنوعين سنويًا ويخلق جوًا ثقافيًا نابضًا بالحياة ومتنوعًا. لقد شكلت الطقوس والتقاليد والأهمية الدينية المرتبطة بالحج البيئة الثقافية الفريدة للمنطقة. المجتمع في العجاز متجذر بعمق في المبادئ والممارسات الإسلامية. تتمتع مدينتنا مكة والمدينة بأهمية دينية كبيرة حيث إنها مسقط رأس النبي محمد ﷺ وموقع مناسك الحج السنوي. نتيجة لذلك، تعد العجاز موطنًا لمجموعة متنوعة من السكان المسلمين، مع التركيز على الشعائر الدينية والإيمان والروحانية.

يعتبر القرآن دستور المملكة العربية السعودية بينما تعمل الشريعة كمصدر قانوني أساسي. للإسلام أهمية سياسية وله تأثير عميق على الحياة الثقافية واليومية للناس. المجتمع بشكل عام متدين للغاية ومحافظ وتقليدي وموجه نحو الأسرة، مع العديد من المواقف والتقاليد القديمة المستمدة من الحضارة العربية والتراث الإسلامي. الحج السنوي إلى أقدس المدن في الإسلام، مكة المكرمة والمدينة المنورة، يجذب

المسلمين من جميع أنحاء العالم. يخدم هذا الحج كمحفز للتبادل الثقافي والتفاهم، حيث يجتمع الحجاج من خلفيات عرقية مختلفة، ويشاركون تقاليدهم ولغاتهم ووجهات نظرهم المميزة. إنه يخلق جواً حيويًا من التنوع والوئام.

تمتد الأهمية الثقافية للحجاز إلى ما هو أبعد من دورها الديني، حيث تقف كمفتق طرق للثقافات، وجسرًا للتبادل الثقافي، وشهادة على الإرث التاريخي الغني للمنطقة. بينما يجلب التحديث تغييرات، تواصل الحجاز تكريم ماضيها مع احتضان فرص الحاضر، وخلق مشهد ثقافي حيوي يحتفي بتراثه المتنوع. في السنوات الأخيرة، شهد الحجاز التحضر والتحديث السريع، مما أدى إلى مزج العناصر التقليدية والمعاصرة في المجتمع والثقافة. مع احتضان التقدم، يسعى أهل الحجاز إلى الحفاظ على تراثهم الثقافي وتقاليدهم الدينية. بشكل عام، يجسد مجتمع وثقافة الحجاز اندماجًا فريدًا للقيم والتقاليد والممارسات الثقافية الإسلامية. إنها منطقة تعتز بجذورها التاريخية وروابطها المجتمعية القوية والأهمية الروحية للإسلام، بينما تتكيف مع متغيرات وقوى العالم الحديث.

الفصل الثالث

الحجاز في العصور القديمة والإسلامية

الحجاز قبل الإسلام

ظلت الأرض القاحلة والجافة في الجزء الأوسط من شبه الجزيرة العربية في شبه عزلة عن العالم المتحضر لعدد غير معروف من القرون. في حين تم توثيق شمال وجنوب شبه الجزيرة على نطاق واسع في التاريخ لأخبارهم وحضارتهم، لم تجتذب منطقة الحجاز الفاتحين العظماء. أظهرت شخصيات بارزة مثل تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد، وأغسطس قيصر في القرن الأول الميلادي، والملوك الفارسيون القليل من الاهتمام بقهرها، وأولئك الذين حاولوا القيام بذلك لم ينجحوا. لعبت الظروف الطبيعية القاسية، بما في ذلك التربة القاحلة والمسارات الوعرة، دورًا مهمًا في ردع القوى الخارجية عن المغامرة في المنطقة. نتيجة لذلك، ظل الحجاز ناشطًا داخليًا، حيث يعيش شعبه بشكل أساسي أسلوب حياة بدوي. ومع ذلك، فإن بعض العوامل، مثل الاضطهاد في ظل الحكم الروماني وهجرة الشعب اليمني بعد سيل العرم، كان لها تأثير في تحويل بعض الأفراد الحجازيين من البدو إلى أسلوب حياة أكثر حضارة.⁷⁸

صحب تأسيس الكعبة أساطير عدة لا تعتمد على سند من تاريخ أو دين. وبحسب مصادر عربية وإسلامية، فإن حضارة مكة بدأت بعد أن أحضر إبراهيم ابنه إسماعيل وزوجته هاجر إليها. قال الله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُونَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.**⁷⁹ وقوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.**⁸⁰

ثم استقر معهم بعض أبناء قبيلة جرهم اليمنية. تزوج امرأة من هذه القبيلة وساعد والده في بناء الكعبة أو إعادة بنائها. في العقيدة العربية أو الإسلامية، تنحدر قبيلة قريش من إسماعيل بن إبراهيم، وتقع بالقرب من الكعبة، وتشمل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. من فترة

⁷⁸ نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، ص/122، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية 1952م

⁷⁹ سورة آل عمران: 96-97

⁸⁰ سورة البقرة: 127

الجاهلية إلى أيام محمد ﷺ ، توقفت القبائل العربية المتحاربة كثيراً عن الأعمال العدائية أثناء فترة الحج وتذهب للحج إلى مكة مستوحاة من إبراهيم. في مثل هذه المناسبة، التقى محمد ﷺ ببعض أهل المدينة الذين يسمحون له بالهجرة إلى المدينة المنورة هرباً من اضطهاد خصومه في مكة.⁸¹

الحجاز قبل الإسلام كموقع مقدس ومركز ديني

قبل ظهور الإسلام، كانت منطقة الحجاز تحظى بأهمية كبيرة كمركز ديني بسبب أماكنها المقدسة العديدة التي تجتذب الحجاج خلال مواسم محددة. من بين هذه المواقع المعابد، وعلى رأسها الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، والتي كانت تبجل من قبل مختلف القبائل العربية. على الرغم من الأهمية الدينية للكعبة المشرفة وغيرها من الأماكن المقدسة، فقد تميزت الحجاز قبل الإسلام بالشرك. يضم فناء الكعبة العديد من الأصنام التي تمثل مختلف الآلهة والإلهات التي تعبدها قبائل مختلفة. كان لكل قبيلة إلهها الراعي، وأصبحت هذه الأصنام جزءاً لا يتجزأ من الممارسات الدينية التي تراعي المجتمعات العربية المتنوعة في المنطقة. وكانت لقريش و بني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم خلفاء بني هاشم، ومكان مع الأوس والخزرج المعروف باسم مانات على طول ساحل البحر الأحمر.

إن الكعبة مزينة بالأصنام التي جليها العرب، إلا أنها لا تزال تحتل مكانة خاصة كرمز لقداسة الناس. كانت نقطة محورية للعبادة والحج، وعلى الرغم من وجود العديد من الآلهة في ساحة الكعبة، فقد أدرك العرب أهمية الإله الأعلى الذي وجهوا إليه الخشوع والدعاء.

لقد ترسخت قدسية البيت الحرام على الإيمان بأن العرب يعبدون إلهاً أعلى فوق كل الآلهة، وأنهم سعوا إلى التقرب من هذا الكائن الإلهي من خلال طقوسهم وأعمالهم التعبدية. يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة، مؤكداً أن عبادتهم للأصنام كانت مجرد وسيلة للتقرب من الله.⁸²

كما كانت الحجاز الوجهة النهائية لمختلف طرق الحج حيث استقطبت عددًا لا يحصى من الحجاج من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية. كان الحج قد أقيم بالفعل في عصور ما قبل الإسلام، على الرغم من اختلاف طقوسه وممارساته عن الحج الإسلامي الذي نعرفه اليوم.

⁸¹ Armstrong, Karen. Islam: A Short History, P/11, Random House Publishing Group, 2000.

⁸² سورة الزمر: 3

كانت هناك أعياد مقدسة أخرى يتم الاحتفال بها في الحجاز في مواسم محددة بالإضافة إلى الحج. وفرت هذه التجمعات فرصاً للتجارة والتنشئة الاجتماعية والطقوس الدينية. أقيمت مثل هذه المهرجانات في مدن عكاظ وذو المجاز ومجنته التي أقيمت بالقرب من مدينة مكة، والتي جذبت الشعراء ورواة القصص والتجار من بعيد.⁸³

الحجاز في صدر الإسلام

كأرض مكة والمدينة، كانت الحجاز هي المكان الذي ولد فيه محمد ﷺ وأسس أمة توحيدية من أتباعه وصبر على أعدائه وجاهدتهم أحياناً وهاجر من مكان إلى آخر، وعظهم ونفذ معتقداته وعاش ومات. ارتفع شأن الحجاز ارتفاعاً كبيراً بعد ظهور الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية التي استطاعت أن توحد الجزيرة العربية كلها تحت سلطانها، ولكن بحلول عام 632م، عندما توفي النبي محمد ﷺ، اندفع العرب في عهد الخلفاء الراشدين في حركة الفتوح.

في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل، أبو بكر (ر) وعمر (ر) وعثمان (ر)، الذين حافظوا على المدينة المنورة كعاصمة، احتل المسلمون مساحة شاسعة، مما جلب ثروة كبيرة إلى الحجاز. لكن تلك الفتوحات جعلت الحجاز يفقد أفضل رجاله. أدت الاضطرابات التي حدثت في نهاية عهد عثمان (ر) الأول إلى مقتله، وشعر الخليفة الجديد علي (ر) أن الكوفة في العراق ستكون عاصمة أكثر أماناً لنضاله ضد الأمويين في سوريا. وبعد سنوات قليلة قُتل علي وأُعلن الأموي معاوية (ر) خليفة جديداً في دمشق عام 660م. وبتغيير العاصمة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ثم إلى دمشق، فقد الحجاز سلطته السياسية واحتفظ بنفوذ الديني فقط.

لم تكن هذه فترة ذات أهمية سياسية وتجارية كبيرة، وازدادت فيها العزلة والاضطراب في الحجاز. تمتعت مكة بالقداسة، لكن كان عليها الاعتماد على الحج السنوي من أجل ازدهارها، وعلى مصر في إمداداتها الغذائية. كانت المدينة المنورة أقل قداسة، لكنها كانت متورطة في منافسة مع مكة، لأنها كانت أقرب إلى العواصم، دمشق وبغداد والقاهرة. مما جعلها أكثر ملاءمة لحاكم الخليفة من مكة.

أصبحت مكة مركزاً للتعليم، وتراجع الساخطين، الذين لا يحبون الحكومة الأموية. في عام 692م، حاصر الأمير الأموي الحجاج مكة، وقصف الكعبة باستخدام المنجنيق. جلب مجيء العباسيين المزيد من الهيبة

⁸³ Esposito, John L , The Oxford History of Islam, P: 4-5, Oxford ; New York : Oxford University Press, 1999

لمكة والمدينة بسبب السياسة الدينية للسلالة الجديدة. أرسل العباسيون أموالاً أكثر وحكاماً منفصلين إلى مكة والمدينة. ومع ذلك، احتد الثورات.

أحفاد علي(ر) الذين كان لهم نفوذ كبير في مكة والمدينة وينبع، حيث كانوا يعارضون أي سلطة، إلا سلطتهم، لكنهم لم يتفوقوا فيما بينهم وقد فضلهم البدو لأنهم من نسل الحسين وحسن (ر) أحفاد النبي محمد ﷺ. زادت قوتهم مع تراجع الخلافة. كانت سياستهم تقضي على الخلافة ضد بعضهم البعض، وإقامة علاقات جيدة مع حكام اليمن. الحسينيون من نسل حسن بن علي(ر)، سيطروا على مكة، بينما كان الحسينيون من نسل الحسين بن علي(ر) يسيطرون على المدينة المنورة.

في عام 930م، نهب شيعة القرامطة مكة وحملوا الحجر الأسود المقدس، وعادوا إليه عام 950 م. هاجم الشريف جعفر الموسوي مكة، وأسس أول شرافة مكة وحافظ على علاقات جيدة مع الفاطميين. في عام 1011م، اشتبك أبو الفتوح الحسن بن جعفر مع الخليفة الفاطمي المتعصب الحكيم، فأعلن نفسه خليفة، ولكن لاحقاً أعلن هو وخلفاؤه ولائهم للخلافة العباسية.⁸⁴

لم تتغير مكانة الحجاز بعد انتقال الخلافة إلى العباسيين وانتقال مركز الثقل إلى بغداد في العراق. ظلت الحجاز منطقة مرتبطة بالعاصمة بغداد، وكان المحافظون يرسلون إليها من أمراء بني عباس أو من الشخصيات ذات العلاقات الوثيقة مع العباسيين.

ازدهرت الحياة العلمية في كل من مكة والمدينة خلال هذه الفترة، لأن مكة كانت مصدر الإسلام، وكانت مركزاً لأهم الأحداث التاريخية في بداية الإسلام، وكانت متواطئة في بعض الأحداث التي حدثت، مثل الفتوحات أو الفتوحات. لذلك ليس من المستغرب أن تكون مكة والمدينة من أهم مراكز الحياة العلمية. ومع ذلك، كانت مدرسة المدينة المنورة الأكثر غزارة وبعبدة المنال. وتخرج علماء تلك الحقبة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وكان طلاب العلم من أقاصي البلاد ينوون تلقي العلم من علماءهم ومن أهل مكة.

في عام 1200م، هاجم أشرف ينبع بقيادة قتادة، الذي كان مستاء من سياسة أقاربه في مكة، هاجم مكة وأنشأ شرافة مكة الثاني. في البداية كانت له علاقات جيدة مع كل من العباسيين والأيوبيين، لكنه تسبب

⁸⁴ Farouk M. Taufik, History of Al-Hijaz (1520-1632), A Thesis Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Portland State University, 1973

فيما بعد في مشاكل مع العباسيين. من عام 1222م حتى عام 1249م، كانت مكة ضحية للحرب المستمرة بين الأيوبيين في اليمن والأيوبيين في مصر. خلال تلك الفترة تغير الحكم في مكة ثماني مرات وعانى السكان أكثر من غيرهم.⁸⁵ ثم سيطر السلاطين المماليك على شريف مكة لفترة طويلة حتى أعلن العثمانيون أن الحجاز جزء من الإمبراطورية العثمانية عام 1517م.

في عام 1916م ثار أمير مكة الشريف الحسين بن علي على الدولة العثمانية بمساعدة الإنجليز وأسس مملكة الحجاز الموروثة من عائلته. إلا أن العلاقات ساءت بين الإنجليز والملك حسين عندما أعلن الملك حسين نفسه في مارس 1924م خليفة له، واعتبر هذا القرار تحدياً للمشاعر الدينية للإخوان النجديين وسياسة السلطان عبد العزيز بن سعود. في عام 1924م انتقلت الجيوش الوهابية إلى الحجاز، وبعد معركة دامية استولوا على الطائف، دخلوا مكة دون حرب، فانتقل لقب ملك الحجاز إلى ابن سعود الذي بايع الحجاز والنجديين في مكة المكرمة. بداية عام 1926م باسم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته.

الأهمية الدينية للحجاز في الإسلام

تتجذر الأهمية الدينية للحجاز في الإسلام في التاريخ والروحية للمنطقة. باعتبارها مسقط رأس النبي محمد ﷺ وموقع مدينتي مكة والمدينة المقدستين، فإن الحجاز يحتل مكانة فريدة وموقرة في العقيدة الإسلامية. تعزز رحلة الحج، الرحلة الروحية لملايين المسلمين إلى المدن المقدسة، الشعور بالوحدة والتضامن بين المسلمين في جميع أنحاء العالم. إن الحفاظ على التراث الإسلامي والأنشطة الدينية المستمرة في الحجاز تبرز أهميتها الدائمة وتأثيرها العميق على حياة ومعتقدات المسلمين في جميع أنحاء العالم.

أقدس مدينة في الإسلام مكة المكرمة التي تحمل أهمية عميقة لا مثيل لها كمكان ولادة النبي محمد ﷺ. كشخصية محورية في العقيدة الإسلامية، كان لحياة النبي محمد ﷺ وتعاليمه تأثير دائم على حياة المسلمين في جميع أنحاء العالم. ولد محمد ﷺ في قبيلة قريش عام 570م في مكة. توفي والده عبد الله قبل ولادته وتوفيت والدته أمينة وهو في السادسة من عمره. على الرغم من هذه الصعوبات المبكرة، نشأ الشاب محمد ﷺ مع سمعة الصدق واللطف والنزاهة فنسب إليه لقب 'الأمين'.

Farouk M. Taufik, History of Al-Hijaz (1520-1632), A Thesis Submitted in partial fulfillment of the requirements for the ⁸⁵ degree of Master of Arts in History, Portland State University, 1973

في سن الأربعين، تلقى النبي محمد ﷺ أول وحي من الملك جبرائيل في غار حراء. استمر هذا الوحي لمدة 23 عامًا وأصبحت أساس القرآن، مؤكدة على عبادة إله واحد وتعزيز العدالة الاجتماعية والسلوك الأخلاقي. ومع ذلك، واجهت دعوته للتخلي عن عبادة الأوثان معارضة من المجتمع المشرك في مكة، ولا سيما التجار والنخب الأثرياء الذين استفادوا من ممارسات الحج الحالية التي تتمحور حول الكعبة. قاوموا رسالته في المساواة الاجتماعية والتوحيد خوفًا من فقدان المكانة والثروة.

هاجر النبي محمد ﷺ وأتباعه في مواجهة الاضطهاد والخطر في مكة في عام 622م إلى مدينة يثرب، التي أعيدت تسميتها فيما بعد بمدينة النبي. استمرت تعاليم النبي محمد ﷺ في الانتشار وازداد نفوذه خاصة بعد فتح مكة عام 630م. ولدى عودته إلى مكة، عفا عن أهلها وأعاد تكريس الكعبة لعبادة الله وحده وتطهيرها من أصنامها. أصبحت مكة المركز الروحي للإسلام وجذبت المسلمين من جميع أنحاء العالم لأداء فريضة الحج السنوية وهي واحدة من أركان الإسلام الخمسة.

جغرافية الحج

الجغرافيون كانوا منذ فترة طويلة قلقين من دراسة الأنماط الفضائية للمجموعات الدينية، وتوزيع الأماكن الدينية، والرحلات الدينية إلى الأماكن المقدسة خاصةً الحج في الإسلام. فإن مؤسسة الحج الإسلامي إلى مكة المكرمة قد تطورت من الفترة ما قبل الإسلامية عندما سافرت القبائل العربية للعبادة في الكعبة أو بالقرب من الكعبة في منطقة مكة المكرمة.⁸⁶ تجتمع العرب في مكة، وهي مركز ثقافي واقتصادي للبدو، لتبادل السلع والأفكار، وكان الحج يوفر فترة استراحة من الحروب، بالإضافة إلى فرصة للاحتفال بالطقوس. خلال الفترة ما قبل الإسلامية، لم يتجاوز عدد الحجاج السنوي عشرة آلاف شخص.⁸⁷ بعد أن أسس النبي محمد ﷺ الدولة الإسلامية في المدينة، ومع انتشار الإسلام بين الناس أكثر، زادت دورة الحجاج بكثافة وأصبح نمطها يميل بقوة نحو الوسط.⁸⁸

بعد رحلة شاقة عبر الصحراء، اجتمع الحجاج من شمال وغرب أفريقيا في القاهرة للانضمام إلى قافلة الحجاج، ثم توجهوا إلى السويس أو القصير للصعود على متن قوارب الشراع إلى جدة.⁸⁹ قافلة المحمل

⁸⁶ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، ص/185، دار الفكر العربي، مكة، 2008م.

⁸⁷ الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ص/185، دار خضر للطباعة والنشر - بيروت

⁸⁸ نفس المرجع، ص/191

⁸⁹ البتونوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، ص/21، مطبعة الجمالية، مصر، 1909م.

المصرية الرسمية، وهي محمولات جمال مزينة بشكل احتفالي ترافق قوافل الحجاج، استغرقت ما يقرب من أربعين يوماً لقطع المسافة البالغة 1400 كيلومتراً بين القاهرة ومكة.⁹⁰ في وقت لاحق، بدأ المصريون باستخدام قوارب الشراعية من السويس إلى جدة، ثم قدموا بعد ذلك السفن. قافلة الشام كانت الطريق الرئيسي للحجاج السوريين والتركي والفرس.

بعدما تولت الدولة العثمانية الحكم، بدأت قافلة الشام من إسطنبول حيث انضم الحجاج في طريقهم عبر الأناضول وسوريا. استراح الحجاج في دمشق لعدة أسابيع قبل أن يستمروا في رحلتهم إلى مكة. كانت صنعاء نقطة التجمع لقافلة اليمن التي اشتملت حجاجاً من عمان وحضرموت. سافرت قافلة اليمن عبر المنطقة الجبلية في عسير لتجنب طريق عبر تهامة الحارة.

الحجاج من غرب إفريقيا عبروا الصحراء إلى شمال أفريقيا وانضموا إلى القوافل من المغرب الواصلة إلى مكة عبر القاهرة. بعض الحجاج من غرب إفريقيا أكملوا الحج في أقل من عامين، وكانت المدة الزمنية المتوسطة هي ثمانية أعوام. سافر الحجاج من الهند إلى مكة عبر إيران والعراق، وبعضهم سافر عن طريق البحر من سورات شمال ممباي إلى جدة.

المعلومات المتاحة حول حجم الحجاج في الفترة الأولى محدودة ومجتزأة. زاد حجم الحجاج على مدى معظم الفترة العثمانية من القرن السادس عشر فصاعداً. قام العثمانيون بتحصين مواقع مثل العقبة والمويلح ووجه على طول طريق قافلة مصر. ومع ذلك، أدت الهجمات المتكررة من قبل البدو على قوافل الحجاج وعدم الاستقرار السياسي الناتج عن تورط الأتراك في الحروب إلى انخفاض عدد الحجاج في القرن التاسع عشر.⁹¹

زاد عدد الحجاج في أوائل القرن العشرين نتيجة لتشغيل سكة الحجاز. من خلال ربط دمشق بالمدينة، زادت السكة الحديدية حجم الحجاج. وجاءت أكبر أعداد الركاب على السكة الحديدية من سوريا وتركيا ووسط آسيا الروسية. بعد عام 1912م، أدت الحرب العالمية الأولى إلى انخفاض عدد الحجاج. تم تفجير سكة الحجاز من قبل العقيد تي. إي. لورنس وأنصاره العرب البدو نحو نهاية الحرب العالمية الأولى. كان هناك فترة قصيرة من الزيادة النسبية الصغيرة في العشرينات من القرن الماضي، ولكن الكساد العالمي وبعد ذلك الحرب العالمية الثانية حالت دون زيادة سريعة. زاد عدد الحجاج إلى اثنين وستين ألفاً في عام

⁹⁰ السباعي، أحمد، تاريخ مكة، أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - 1907م.

⁹¹ J. Burkhardt, Travels in Arabia, , p. 1, London: Golborn and Bentley, 1829.

1943م، ولكن انخفض إلى حوالي سبعة وثلاثين ألفاً في عامي 1944م و 1945م بسبب الاضطرابات السياسية في الدول العربية، خاصة في الأردن وسوريا ولبنان.

لقد حدثت تغييرات عدة في مدى الانتشار المكاني، وحجم، ومصادر أصل الحجاج منذ الحرب العالمية الثانية. أبرز هذه التغييرات هو في وسيلة نقل الحجاج. تراجعت تدريجياً أهمية قوافل الجمال البرية التي كانت مهمة لعدة قرون، وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت السفر بحراً هو الوسيلة الرئيسية لوصول الحجاج إلى المملكة العربية السعودية. في بدايات الخمسينات بدأت وسائل النقل الجوي تتحدى وسائل النقل البحرية في تنقل الحجاج. وبناءً على إغلاق قناة السويس في عام 1967م، تلقى السفر الجوي دفعة كبيرة، وبحلول عام 1970م تجاوز وسيلة النقل الجوي وسيلة النقل البحرية. تسافر الآن ما يقرب من 50% من الحجاج من الدول العربية عن طريق الجو. ومن بين الدول الآسيوية غير العربية، يسافر معظم الحجاج من إيران وبنغلاديش وتايلاند وسنغافورة وأفغانستان عن طريق الجو. يسافر جميع الحجاج من الدول الوسطى والغربية الأفريقية إلى مكة عن طريق الجو.⁹²

⁹² Shair, I.M., Prof., Dept. of Geography., University of Riyadh, Saudi Arabia and Karan, P.P., Prof., Dept. of Geography., University of Kentucky, Lexington, Geography of the Islamic Pilgrimage, Gee Journal 3.6 599-608/1979

مناسك الحج

الحج هو الذهاب إلى مكة لأداء الطواف حول الكعبة وبقيّة المناسك خلال أشهر الحج استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته.

وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة، وفرض معلوم في الدين بالضرورة. يقول الله تعالى: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً"⁹³

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير."⁹⁴

وقال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً"⁹⁵.

حکم ومقاصد الحج

يُعدّ التوحيد جوهر الإسلام ولبّ رسالته، وهو أساس عبادة الله تعالى، ومن أهم مقاصد الحج، فقد قال الله تعالى: "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً"⁹⁶. يظهر ذلك جلياً في تلبية الحاجّ، حيث يقول: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". ففي هذه التلبية يقرّ الحاجّ بفردانية الله تعالى ووحدانيته في الألوهية والربوبية.

من مقاصد الحج أيضاً تعظيم شعائر الله تعالى، والالتزام بشرائعه، قال تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب."⁹⁷ يتجلى تعظيم شعائر الله في أداء المناسك على الوجه الصحيح، والالتزام بسننها وآدابها، والخضوع لله تعالى في خشوع وإخلاص. يجب على المسلمين أن يراعوا قدسية الحرمين الشريفين، مكة المكرمة والمدينة المنورة، فلا يجوز تحويلهما إلى أماكن للتجمعات والمظاهرات، ورفع

⁹³ سورة آل عمران: 97

⁹⁴ سورة الحج: 27-28

⁹⁵ البخاري (8)، ومسلم (16)

⁹⁶ سورة الحج: 26

⁹⁷ سورة الحج: 32

الشعارات والصور، لأبي زعامة أو كيان. فالحرمان الشريفان مكانان للعبادة والسكينة، وليس للفتنة والاختلاف.

• شروط الحج

يشترط لأداء الحج شروط أهمها:

الإسلام: فلا يجب الحج على غير المسلم، ولا يصح منه لو أداه، لأنه مطالب أولاً بالإيمان.

التكليف: وهو البلوغ والعقل، فلا يجب الحج على الصغير ولا المجنون ولو حج الصبي الذي لم يبلغ صح حجه ولكن تسقط عنه حجة الإسلام، ويجب عليه الحج إذا بلغ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (أيما صبي حج ثم بلغ الحنث سن التكليف فعليه أن يحج حجة أخرى)⁹⁸، ويؤجر الأب أو الأم عن حج ولدهما الصغير والدليل على ذلك أن امرأة رفعت صبياً إلى النبي ﷺ فأخرجت صبياً فقالت: (يا رسول الله ألهذا حج؟ فقال: نعم، ولك أجر).⁹⁹

الاستطاعة: فلا يجب الحج إلا على من كان: (أ) صحيح الجسد، قادراً على تحمل مشقة السفر وأداء المناسك. (ب) مالكا للمال الذي يكفيه من نفقة وأجرة نقل وأجرة مبيت، وأن يكون عند أهله ما يكفيهم من نفقة أثناء غيابه. لذا لا يجب الحج على من عليه دين، لكن إذا حج أجزاء ذلك. (ج) آمن الطريق فمن خاف من العدو ولم يستطع الوصول إلى مكة بأمن وسلامة لا يجب عليه الحج. (د) مرافقة المحرم للمرأة: لا يجب الحج على المرأة إلا بتوافر الشروط السابقة ومرافقة زوجها لها، أو من يحرم عليه الزواج منها حرمة مؤيدة كالأب والابن والأخ وزوج البنت والعم والخال، وذلك حتى لا تتعرض المرأة للفتنة، لأن النبي ﷺ قال: (لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم) وفي رواية له: 'يومين' وفي رواية 'مسيرة يوم وليلة' وفي رواية 'مسيرة ليلة'.¹⁰⁰

الحرية: وهي شرط لوجوب الحج، لأن الحج عبادة تقتضي وقتاً، ويشترط فيها الاستطاعة، بينما العبد مشغول بحقوق سيده غير مالك لوقته، فهو غير مستطيع.

⁹⁸ الطبراني في المعجم الأوسط (2731)، والبيهقي (8875)، والضياء في الأحاديث المختارة (537)

⁹⁹ مسلم (1336)

¹⁰⁰ البخاري (1088) ومسلم (1339)

· وقت الحج ومكانه

للحج أشهر معلومات يجوز فيها، ولا يجوز في غيرها، قال تعالى: "الحج أشهر معلومات".¹⁰¹ وهذه الأشهر هي: شوال وذو القعدة والعشرة الأوائل من ذي الحجة وقيل ذو الحجة كله. ويؤدى الحج في: مكة، ومنى ومزدلفة، وعرفات.

· المواقيت

المواقيت هي الأماكن التي عينها النبي ﷺ ليحرم منها من أراد الحج أو العمرة، والمواقيت خمسة: الأول: ذو الحليفة (أبيار علي)، وهو ميقات أهل المدينة ومن مر به من غيرهم. الثاني: الجحفة؛ وهي ميقات أهل الشام ومن مر بها من غيرهم، والناس يحرمون الآن بدلها من رابع. الثالث: يلملم وهو جبل بتهامة، وهو ميقات أهل اليمن ومن مر به من غيرهم. الرابع: قرن المنازل ويسمى (السييل الكبير)، وهو ميقات أهل نجد ومن مر به من غيرهم. الخامس: ذات عرق، وهي ميقات أهل العراق ومن مر بها من غيرهم. فقد وقت النبي ﷺ هذه المواقيت ثم قال: "هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج أو العمرة."¹⁰² أنواع الأنساك:

الأنساك ثلاثة: تمتع، وإفراد، وقران.

فالتمتع: أن يحرم بالعمرة وحدها في أشهر الحج، فإذا وصل مكة طاف وسعى للعمرة وحلق أو قصر، فإذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم بالحج وحده وأتى بجميع أفعاله. والإفراد: أن يحرم بالحج وحده.

والقران: أن يحرم بالعمرة والحج جميعا.

¹⁰¹ سورة البقرة: 197

¹⁰² البخاري (1526) ومسلم (1181)

• مناسك الحج

الإحرام

يبدأ الإحرام في ميقات الحج الزماني، وهي أشهر الحج، ومن ميقات الحج المكاني وتعد هذه المواقيت الخمسة ميقاتاً لمن قدم منها من غير أهل تلك البلاد المذكورة.

والإحرام هو النية للدخول في الحج، وينعقد بالتلبية ولفظها كما أثر عن الرسول ﷺ: "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". ويستحب الإكثار من التلبية ورفع الصوت بها، ويكون الإحرام بلبس رداء على الكتف، وازار يستر ما بين السرة إلى الركبة. ونعلين. ويسن لمن أراد الإحرام الغسل وتنظيف الجسد، ثم لبس ثياب الإحرام والتطيب وصلاة ركعتين، ثم التلبية. وإذا أحرم الحاج حرم عليه أن يتطيب أو يصيد أو يعقد على امرأة أو يجمع زوجته، وللحاج أن يحرم مفرداً أو متمتعاً أو قارناً.

الطواف

بعد الإحرام يتوجه الحاج إلى مكة ويدخل المسجد الحرام للطواف حول الكعبة طواف القدوم، ويكون الحاج متطهراً لقول النبي ﷺ الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله قد أحل فيه النطق فمن نطق فيه فلا ينطق إلا بخير.¹⁰³ ويبدأ الحاج طوافه من الحجر الأسود ويجعل البيت عن يساره ويطوف سبعة أشواط يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى بأن يسرع في مشيه مقارباً خطاه وذلك تأسياً بالنبي ﷺ، ويسن أن يصلي الحاج بعد الطواف ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، إن تيسر له ذلك، لقوله تعالى: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى".¹⁰⁴ ثم يشرب من ماء زمزم ويدعو الله بما شاء.

السعي بين الصفا والمروة

ويكون سبعة أشواط وذلك بعد الطواف يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة، ويسن للحاج أن يدعو عند الصفا وعند

المروة وأن يسرع في السعي بين الميلين الأخضرين فوق الرمل ودون الجري.

¹⁰³ أخرجه الترمذي (960) بنحوه، وأبو يعلى (2599)، وابن خزيمة (2739) باختلاف يسير

¹⁰⁴ سورة البقرة: 125

الحلق أو التقصير

إذا أتم الحاج سعيه وكان متمتعاً يحلق شعره أو يقصره، والحلق أفضل ثم يتحلل، ويكون قد أدى العمرة، ثم ينتظر حتى يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة. أما المفرد والقارن فلا يحلقان بعد الفراغ من السعي ولا يتحللان من إحرامهما.

التوجه إلى منى

إذا جاء يوم التروية أحرم المتمتع من مكان إقامته بمكة، ويحرم من أراد الحج من أهل مكة من بيته يوم التروية أيضاً، ويتوجه في هذا اليوم جميع الحجاج إلى منى فيصلون فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويبیتون فيها ليلة عرفة ويصلون فيها فجر يوم عرفة.

التوجه إلى عرفة

يتوجه جميع الحجاج إلى عرفة يوم التاسع من ذي الحجة للوقوف هناك، ويصلون الظهر والعصر مع الإمام جمع تقديم قصر، ويدعون الله بما شاءوا، لأن خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما يدعو به المسلم في ذلك اليوم ما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والتبوتون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير."¹⁰⁵ والوقوف بعرفة ركن الحج الأكبر لا يصح الحج إلا به، لقول النبي ﷺ: "الحج عرفة."¹⁰⁶ وزمن الوقوف بعرفة من طلوع فجر يوم عرفة إلى طلوع فجر يوم النحر، وأفضله الموافق للسنة أن يجمع الحاج بين جزء من نهار يوم عرفة وجزء من ليلة يوم النحر.

الدفع إلى مزدلفة

إذا غابت شمس يوم التاسع من ذي الحجة يدفع الحاج إلى مزدلفة المشعر الحرام ويصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويدعو الله بما شاء، قال تعالى: "فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر

¹⁰⁵ الترمذي (3585)

¹⁰⁶ النسائي (3016)، و(3044)، والترمذي (889)، وابن ماجه (3015)

الحرام".¹⁰⁷ ويبيت الحاج ليلة العاشر من ذي الحجة في مزدلفة ويصلي فيها الفجر ويلتقط منها سبع حصيات.

رمي جمرة العقبة الكبرى

يتوجه الحاج يوم العيد إلى جمرة العقبة الكبرى، وهي أقرب الجمار إلى مكة وأبعدها عن مزدلفة ويرمي جمرة العقبة الكبرى بالحصيات السبع التي التقطها من مزدلفة. ويسن أن يكون الرمي بعد طلوع الشمس إلى زوالها، ولو قدم الرمي قبل طلوع الشمس فإنه يرمي بعد منتصف ليلة العاشر من ذي الحجة.

الذبح أو النحر

بعد رمي جمرة العقبة الكبرى يذبح الحاج هديه، وذبح الهدي واجب على المتمتع والقارن، ثم يحلق الحاج شعره أو يقصره والحلق أفضل.

طواف الإفاضة

يطوف الحاج طواف الإفاضة على طهارة. طواف الإفاضة ركن من أركان الحج لقوله تعالى: "ثم ليقضوا تفتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق".¹⁰⁸ وإن قدم الحاج الحلق على الذبح أجزاءه. وبالحلق - بعد رمي جمرة العقبة - يتحلل الحاج من محظورات الإحرام كلها إلا الجماع، أي أنه يتحلل التحلل الأصغر.

سعي المتمتع

يسعى الحاج المتمتع بعد طواف الإفاضة سعي الحج، وهو ركن من أركان الحج لا يصح الحج بتركه، أما المفرد والقارن فلا يسعيان بعد طواف القدوم فإن ذلك سعي الحج لهما، وإذا لم يكونا سعيًا بعد طواف القدوم لزمهما سعي الحج بعد طواف الإفاضة. ومع أن المتمتع يؤدي حجة وعمرة كالقارن، إلا أنه يسعى بعد طواف القدوم سعي العمرة ويسعى بعد طواف الإفاضة سعي الحج، أما القارن فلا يلزمه إلا سعي واحد سواء سعاه بعد طواف القدوم أم بعد طواف الإفاضة، ويكون هذا سعيًا للعمرة وللحج لقول النبي

¹⁰⁷ سورة البقرة: 198

¹⁰⁸ سورة الحج: 29

ﷺ لعائشة لما جمعت بين الحج والعمرة: "يجزئ عنك طوافك بالصفاء والمرورة عن حجك وعمرتك."¹⁰⁹ ولا يشترط أن يكون طواف الإفاضة والسعي بعد يوم العيد، كما لا يشترط أن يكون الذبح يوم العيد، بل إن وقت الذبح كل أيام التشريق من بعد صلاة يوم العيد إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر من ذي الحجة. أما طواف الإفاضة والسعي فلا آخر لوقتتهما، فيجوز للحاج أن يؤخرهما ما دام في مكة، ولكن لا يتحلل التحلل الأكبر إلا بعد طواف الإفاضة.

المبيت بمنى

يبيت الحاج بمنى ليلتين أو ثلاث ليال، وهي ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة. والمبيت بمنى واجب يلزم بتركه الدم. لكن يجوز الاقتصار على ليلتين بدلاً من ثلاث لقوله تعالى: "فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى."¹¹⁰

رمي الجمرات

يرمي الحاج في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر جمرات العقبة كل واحدة سبع حصيات يبدأ رمية بجمرة العقبة الصغرى، ثم الوسطى، ثم الكبرى. ووقت الرمي من زوال الشمس إلى غروبها، ولو أخره إلى منتصف الليل جاز ولا يجوز الرمي قبل زوال الشمس.

طواف الوداع

إذا أتم الحاج المبيت في منى ليلتين أو ثلاثاً، يكون قد أنهى مناسك الحج إذا كان قد طاف طواف الإفاضة وسعى سعي الحج، ولكن يلزمه قبل أن يغادر إلى بلده أن يطوف طواف الوداع. ولو جمع طواف الإفاضة مع الوداع أجزأه ذلك، وطواف الوداع واجب على الحاج لقول النبي ﷺ: "لا يتقرب أحد حتى يكون آخر عهده بالمبيت."¹¹¹ ويسقط طواف الوداع عن الحائض أو النفساء. وكذلك يسقط طواف القدوم عن الحائض أو النفساء إذا حصل الحيض أو النفاس عند قدوم مكة. ولا يجوز للحائض أو النفساء دخول

¹⁰⁹ صحيح أبي داود (1897)

¹¹⁰ سورة البقرة: 203

¹¹¹ مسلم: 1328، البخاري: (329) (1755)

البيت فضلا عن الطواف فيه، فإن عائشة أم المؤمنين لما حاضت أمرها النبي ﷺ بالإعراض عن أفعال العمرة وأن تحرم بالحج فتصير قارنة ولم يمنعها من أداء المناسك وهي حائض إلا من الطواف.¹¹²

¹¹² رواه البخاري (1650) ومسلم (1211)

الباب الثالث: الحجاز في أدب الرحلة العربي

الفصل الأول: مفهوم أدب الرحلة الحجازية

- مفهوم أدب الرحلة الحجازية
- موضوع أدب الرحلة الحجازية
- أهمية أدب الرحلة الحجازية

الفصل الثاني: أدب الرحلة الحجازية في اللغة العربية

- نشأة أدب الرحلة الحجازية في اللغة العربية وتطوره
- أدب الرحلة الحجازية في العصر الحديث

الفصل الثالث: أهم الرحالة إلى أراضي الحجاز

- أهم الرحالة العرب إلى أراضي الحجاز
- أهم الرحالة غير العرب إلى أراضي الحجاز

الفصل الرابع: أسلوب أدب الرحلات الحجازية

- مفهوم الأساليب في أدب الرحلات الحجازية
- الصورة الفنية في أدب الرحلات الحجازية
- الصورة القصصية في أدب الرحلات الحجازية
- التعبيرات الموضوعية في أدب الرحلات الحجازية

الفصل الأول

مفهوم أدب الرحلة الحجازية

مفهوم أدب الرحلة الحجازية

يعد أدب الرحلة إلى الديار الحجازية المقدسة: مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ لأداء مناسك الحج وشعائره لوناً أدبياً خاصاً من ألوان أدب الرحلات في النثر العربي، وهو رافد نوعي مهم من روافد الأدب العربي، له سماته وقواعده الخاصة التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية مثل: الرواية والقصة والسيرة الذاتية.

وأدب الرحلة إلى الديار الحجازية هو الأدب الذي يهتم بوصف رحلات المسلمين إلى مكة والمدينة، ووصف شعائر الحج وأشواق الحجاج إلى المقامات المقدسة وقد ازدهر هذا النوع من النصوص في تاريخ الأدب العربي ازدهاراً كبيراً، وانتشر انتشاراً واسعاً، إذ كانت الرحلة دافعاً للأدباء إلى تصوير أشواقهم الوجدانية، وعواطفهم الدينية، وتصوير معاناتهم في هذه الرحلة، فقد عرف مثل هذا اللون الأصيل في الأدب العربي منذ وقت مبكر حتى زماننا هذا.¹¹³

يعتقد أن الأديب السوري الكبير الشيخ محمد شكري العوني (1879م-1961م) هو من استخدم عبارة 'أدب الرحلات الحجازية' لأول مرة. وقد استخدم هذا المصطلح لوصف الأعمال الأدبية التي تتحدث عن رحلات الحجاج إلى مكة المكرمة، والتي كانت شائعة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد قدم الشيخ العوني دراسة شاملة لأدب الرحلات الحجازية في كتابه 'الرحلات الحجازية في الأدب العربي' الذي نشر في العام 1933م. وقد أسهم هذا الكتاب في تعزيز هذا المصطلح وجعله شائعاً في الدراسات الأدبية.

¹¹³ حمدان، عبد الرحيم حمدان، أدب الرحلة إلى الديار الحجازية المقدسة، 21 فبراير 2021، تم الاسترجاع في 28 مايو 2024، <https://www.diwanalarab.com/أدب-الرحلة-إلى-الديار-الحجازية-المقدسة>.

د/ محمد الفاسي في مقدمة تحقيقه لكتاب 'الإكسير في فكاك الأسير'، قسم الرحلة بعصورها المختلفة ودوافعها المتعددة إلى خمسة عشر نوعاً وأورد الرحلات الحجازية قبل كل نوع من هذه الأنواع، نظراً لأهميتها البالغة ومكانتها السامية.¹¹⁴

موضوع أدب الرحلة الحجازية

الحج والرحلة في الإسلام ظاهرتان متميزتان ولكنهما مترابطتان، حيث يصنفها علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الدين على أنها 'الرحلة الدينية'. في سياق ما قبل الحداثة، تشتمل روايات الرحلات بشكل عام على الحج والعمرة والزيارة الأماكن المقدسة كجزء من المسار. تعد رحلة في طلب العلم من الواجبات الأساسية في الإسلام. اتخذت الرحلة أشكالاً متعددة، بدءاً من طلب العلم إلى أداء فريضة الحج في مكة وزيارة الأماكن المقدسة. الحج، أو فريضة الحج إلى مكة، هو الركن الخامس من الإسلام ويحدث سنوياً من الثامن إلى الثاني عشر من ذي الحجة، الشهر الثاني عشر في التقويم الإسلامي. يفرض على جميع المسلمين الأصحاء القادرين مالياً القيام بالحج مرة واحدة في حياتهم. تم توثيق هذه الرحلة بشكل جيد في المصادر الإسلامية والغربية منذ زمن محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي.

في كل من العصرين الحديث والقديم، غالباً ما كان الطلاب يبقون في مكة بعد الحج من أجل اكتساب العلم من كبار علماء الدين في ذلك الوقت. تشمل مناسك الحج الدخول في الإحرام، ووقوف بعرفة، والطواف، وسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو قص خصلات من الشعر. العمرة، أو 'الحج الأصغر'، وهي مستحبة وليست واجبة، يجوز القيام بها في أي وقت خلال السنة باستثناء أيام التشريق الثلاثة (الثامن إلى العاشر من ذي الحجة)، وكذلك بالاشتراك مع الحج. تتكون العمرة من الدخول في إحرام، والطواف حول الكعبة سبع مرات، وسعي، وحلق الرأس أو قص خصلات من الشعر.

يشرح محمد واضح رشيد الحسني الندوي في كتابه 'الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث' ببساطة موضوعات رحلة الحج من منظور أدبي: "فإذا كانت الرحلات رحلات حجازية يقوم بها صاحب عاطفة إيمانية جياشة وذو أسلوب رشيق مؤثر بليغ، إلى وطن الأول، ومهد حضارته الإسلامية، ومصدر زاده الروحي، ومهبة الوحي السماوي، ومولد سيد الأنبياء والرسل، والديار المقدسة التي لها منزل عظيمة في نفسه، والأراضي المباركة التي يهفو إليها فؤاده، ويتوق إليها قلبه، ويجري على القرطاس قلمه ليقيّد

¹¹⁴ المكناسي، محمد بن عثمان، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق د/ محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، المقدمة.

ماشاهده، ويصف ما عاينه، مما اهتز به قلبه، وترخت به أعطافه. تكون هذه الرحلات ممتعة رائعة منعشة للروح، وتكون مثيرة للشوق والحنان لمن يتمنى لها، وتكون محرّكة لعواطف الحب والهيّام لمن يحلم بها. إن هذه الرحلات التي سرد أحداثها وسجّل ارتساماتها عدد كبير من الأدباء، كلها حبّ وهيام شوق وحنان، تجد فيها القلب ينبض، والعين تدمع، والقرائح تفتق، والقلم يجري الفرس، والخواطر تفيض كالسيل.¹¹⁵

وأدب الرحلات الحجازية نموذج لأدب الرحلات، وإن هذه الرحلة أطول الرحلات العادية، لأن الراحل فيها يمر بمدن مختلفة، ويشاهد آثاراً تاريخية، وتحمل هذه الرحلات فوائد علمية وأدبية وثقافية، وفكرية، وتوجد فيها عناصر الأدب من العاطفة والخيال والفكرة والتعبير الجميل.¹¹⁶

أهمية أدب الرحلة الحجازية

وقد ذكر محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف في كتابه 'المختار من الرحلات التجارية إلى مكة والمدينة النبوية' بعضاً من أهمية رحلات الحجاز بطريقة بسيطة:¹¹⁷

(1) تصف الكتب الحالة الدينية لأهل الحجاز، وتتبع أثر الدين في نفوسهم ومدى رسوخه، كما توضح الوهن والضعف الديني الذي أصاب العالم الإسلامي ممثلاً في الحجاز، مما سمح للاستعمار العالمي بالسيطرة عليه.

(2) تصف بعض الكتب بدقة عادات وتقاليد سكان الحجاز من حاضرة وبادية، بما في ذلك هيئاتهم وملابسهم وسلوكهم وطعامهم وشرايهم وحفلاتهم ونزههم وحزنهم وفرحهم ورغبتهم ورهبتهم وحال نسائهم وأطفالهم.

(3) توثق الرحلات ظلم ساسة الحجاز للحجاج وجباية الضرائب الباهظة، وتسلب الضوء على حال الدول المسيطرة على الحجاز من أيوبيين ومماليك وعثمانيين، وتصور تدهور الدولة العثمانية حتى انهيارها.

¹¹⁵ الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، لكتناؤ، 2016م، ص/5-6

¹¹⁶ المرجع نفسه، ص/8

¹¹⁷ الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى، المختار من الرحلات التجارية إلى مكة والمدينة النبوية، دار الأندلس الخضراء، جدة، 2000م، ص/7-11

- (4) تعرض كثير من تلك الكتب إلى الحالة الاقتصادية عند الحجازيين غناهم أو فقرهم، رفاهيتهم أو الشدة التي كانوا يعالجونها، استقلالهم عن الحجاج أو اعتمادهم عليهم.
- (5) تحتوي العديد من الكتب على مسائل شرعية متنوعة، ولطائف أدبية، وحكايات ممتعة تناسب القراء من كافة الأعمار، ويمكن الاستفادة منها كقصص للناشئة والكبار.
- (6) تكشف الكتب عن قوة إيمان الحجاج واستعدادهم لبذل الغالي لزيارة الأماكن المقدسة. ساهم الحج بشكل كبير في بقاء الدين والإيمان حيًا في نفوس المسلمين، خاصة خلال حقبة شهدت العالم الإسلامي يعاني من التخلف والجهل.
- (7) تجسد كتب الرحالة معنى الأخوة الإسلامية التي تجمع الجميع بغض النظر عن الأصول. تسود المساواة بين الحجاج في مشاعرهم وتنافسهم على أداء المناسك، فرسمت صورة عظيمة للتآخي تفوق كل الأفكار البشرية. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تبادل الحجاج همومهم وتعاونوا على حل مشاكل بلدانهم، محققين بذلك مقصدًا رئيسيًا من الحج وهو التعارف والتآخي.
- (8) تفيد كتب الرحالة المسلمين عمومًا والحجازيين خصوصًا، إذ تسرد تاريخ ديارهم وعادات أسلافهم، لتصل حاضرهم بماضيهم. تُحيي هذه الكتب الشعور بالانتماء لتاريخ الحجاز المجيد وتعزز الهوية الإسلامية.

الفصل الثاني

أدب الرحلة الحجازية في اللغة العربية

نشأة أدب الرحلة الحجازية في اللغة العربية وتطوره

يُعزى تقليد أدب الرحلات في الإسلام غالبًا إلى الأعمال الشهيرة لابن جبير (1145م-1217م) وابن بطوطة (1304م-1369م). ومع ذلك، وكما أشار إليه آخرون، ربما تكون هذه النصوص متنوعة للغاية بحيث لا تصلح كنقطة انطلاق لتحديد نوع أدبي متماسك. في حين أن كتاب ابن جبير هو سرد مباشر للحج، يُستكمل برحلة قصيرة إلى سوريا والعراق، يُفهم كتاب رحلات ابن بطوطة على أفضل وجه على أنه سيرة ذاتية جزئية، تحتوي على حلقة مهمة من الحج، ولكنها تهتم أكثر بتجوال المؤلف عبر آسيا. علاوة على ذلك، وبينما نص ابن جبير هو سرد متوازن ومنظم ومضغوط وأنيق، فإن رحلة ابن بطوطة أكثر تنوعًا ومليئة بالاستطرادات والنوادر والاقتراسات والرحلات التاريخية وما إلى ذلك.¹¹⁸

من نفس الفترة تقريبًا، لدينا أيضًا نصوص أقل شهرة للعبدي (1289م) وابن الصباح (أواخر القرن الرابع عشر). الأول هو رحلة حج من المغرب، وهي أقل أدبية وأكثر تجزئة من رحلة ابن جبير (العبدي 1968م)، بينما الثانية، من الأندلس، هي رواية أكثر تماسكًا لحج مشابه لرحلة ابن بطوطة، على الرغم من أنها في المقام الأول رواية حج. يعتبر تقليد المغرب (الأندلس والمغرب) الذي أنتج أقدم الأمثلة على رحلات الحج، وتطور بشكل مطرد إلى مجموعة متماسكة بمرور الوقت، رائدًا في أدب رحلات الحج. وصلت هذه المجموعة إلى مرحلة النضج في العمل الضخم لعبد الله العياشي (1627م-1679م) والذي أصبح نموذجًا لروايات رحلات الحج، والذي يحتوي على جميع العناصر التي أصبحت جزءًا من المجموعة خلال القرون السابقة.¹¹⁹

ظهرت كتب رحلات الحج الإسلامية في مناطق مختلفة بأوقات متباينة. يعتبر تقليد المغرب (شمال أفريقيا والأندلس) الأسبق في هذا المجال، حيث ظهرت أقدم روايات الحج لديهم في القرن الثاني عشر الميلادي. أما

¹¹⁸ Richard van Leeuwen, Hajj Narratives as a Discursive Tradition, from the book 'Narrating the Pilgrimage to Mecca', 2023, Pages/52.

¹¹⁹ المرجع نفسه، ص/57

التقليد الفارسي، الذي يضم نصوصًا من وسط آسيا وشبه القارة الهندية، فيعود إلى القرن الحادي عشر مع رحلة الحج التي قام بها ناصر خسرو (1004م-1088م) والتي وثقها في يوميات شخصية بسيطة نسبيًا. لكن لم تظهر بعدها روايات سفر أخرى حتى منتصف القرن السادس عشر. من النصوص المهمة ضمن التقليد الفارسي كان كتاب 'فتوح الحرمين' لمحيي الدين اللاري (توفي عام 1526م)، وهو ليس رحلة سفر بالمعنى الحقيقي، بل وصف للحج والأماكن المقدسة، مصحوبًا برسوم توضيحية. وخلال الفترة من القرنين السادس عشر إلى الثامن عشر، ظهرت بعض روايات الرحلة الشيقة باللغة الفارسية، لكن الطفرة الكبيرة حدثت خلال حكم القاجار في القرن التاسع عشر.

أما أول رحلة سفر بالأوردو، من شبه القارة الهندية، فقد ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر. بينما تطور التقليد العثماني التركي كفرع من التقليد الفارسي وتميز في البداية بالمسارات الإرشادية والكتب الدليلية الواقعية إلى حد ما. وكان الشاعر يوسف نايي (1642م-1712م) من بين أوائل من كتبوا رواية شخصية للحج باللغة التركية العثمانية في العصر الحديث المبكر.

في سوريا، بدأ أدب الرحلات كنوع أدبي بالازدهار ابتداءً من القرن السابع عشر وطور أسلوبه الخاص. وكان أبرز ما فيه رحلة الحج المذكورة سابقًا التي كتبها النابلسي، والتي اكتسبت مكانة نموذجية. أما رحلات حج الحجاج القادمين من غرب أفريقيا وماليزيا وأرخبيل إندونيسيا فقد ظهرت لأول مرة خلال القرن التاسع عشر.¹²⁰

استغل العالم المغولي الصوفي شاه ولي الله الدهلوي (1703م-1762م) تجربته في الحج لتسجيل رؤيته الروحية وأحاديثه مع النبي محمد، بهدف ترسيخ نفسه كسلطة دينية نبوية. بالمقابل، يقدم رافع الدين المرادآبادي (1721م-1788م) في رواية أخرى من الهند، نظرة أكثر توازنًا بين الجوانب الروحية والعملية للحج.

يعتبر كتاب 'الرحلة الحجازية' للمؤلف والصحفي والسياسي التونسي محمد السنوسي (1851م-1900م) والمكون من ثلاثة مجلدات، أشهر رواية حج نموذجية في القرن التاسع عشر. يروي الكتاب، الذي كُتب بين عامي 1883م و 1886م، قصة نفي المؤلف ورحلاته إلى أوروبا وقسطنطينية، وحجه الذي قام به عام 1882م، وتأملاته الدينية التي تركز بشكل رئيسي على انتمائه إلى طرق صوفية مختلفة.

¹²⁰ المرجع نفسه، ص/58

أدب الرحلة الحجازية في العصر الحديث

لا تزال مدونات رحلات الحج الحديثة تتبع الهيكل التقليدي الذي يمزج بين الشعائر الدينية وتجربة السفر. لكنها تعكس منظوراً أكثر عالمية. تأثرت الممارسات الدينية بالحركات الإصلاحية، وخاصة المدرسة الوهابية التي تفرض تفسيراً أكثر صرامة للحج. بالإضافة إلى ذلك، أصبح الحج موقعاً للتعبير السياسي، حيث يشدد المسلمون على دوره كحدث موحد ومنصة للحشد. كما تحول تركيز التفاعلات خلال الحج، حيث أصبح المسافرون المعاصرون أقل اهتماماً بالعلم التقليدي وأكثر اهتماماً بالاتصال بالصحفيين والكتاب والناشطين.

أحدثت تقنيات الطباعة الحديثة تأثيراً على روايات الحج بطريقتين. أولاً، سمحت بإنتاج كتيبات إرشادية رخيصة ومضغوطة لحجاج المسلمين، مثل الكتيبات التي وزعها رشيد رضا. ثانياً، بدأت الحكومات في نشر أدلة الحج الرسمية التي تتضمن معلومات عملية إلى جانب التعليمات الدينية. التطور الثاني التي شهدته روايات الحج في القرن العشرين هو الإدراج المنهجي للصور الفوتوغرافية، والتي تعرض الأماكن المقدسة والكتاب بملابس مختلفة، قبل وبعد الإحرام. أصبح من الشائع في بداية القرن العشرين إضافة صور إلى النص، مما ساهم في بناء صورة المؤلف الذاتية الحديثة. كما أصبح من المؤلف إرسال الصور كبطاقات بريدية خلال الحج، حيث كانت تُباع في مكة.¹²¹

شهد مطلع القرن العشرين تطوراً ملحوظاً في رحلات الحج المصرية. ويمكن أن يعزى ذلك إلى دور مصر المركزي في المناقشات الثقافية والسياسية، وصعود المثقفين الذين اعتنقوا أسلوب حياة حديث وديني، وتحسين ظروف السفر التي سهلتها الحكومتان المصرية والسعودية. حتى أن المملكة العربية السعودية دعت الكتاب المصريين لتوثيق تجاربهم في الحج، مما أدى إلى مجموعة متنوعة من روايات الحج.

يعتبر كتاب 'في منزل الوحي' (1939م) الذي ألفه الكاتب والصحفي والسياسي محمد حسين هيكل (1888م-1956م) ذروة هذه المجموعة من النصوص. وكان هيكل قد ألف قبل بضع سنوات سيرة نبوية مبتكرة. يُعد نصه إنجازاً ضخماً، حيث يدمج تقليد رواية الحج ويصوغه في شكل سردي حديث.¹²²

¹²¹ المرجع نفسه، ص/65

¹²² المرجع نفسه، ص/66

وقد سجل عدد من الكتاب والأدباء في العصر الحديث ارتسامات رحلاتهم الحجازية، ومن أشهر هذه الرحلات رحلات الأستاذ عبد الوهاب عزام التي قام بها إلى الحجاز وإلى مناطق أخرى في أوقات مختلفة ابتداء من سنة 1937م، ورحلة محمد شفيق أفندي مصطفى مندوب جريدة 'لسياسة' المصرية، ورحلة محمد علي حسن مندوب جريدة اللواء المصري، ورحلة أحمد حسين مؤسس حزب مصر الفتاة 1948م بعنوان 'مشاهداتي في جزيرة العرب'، ورحلة محمد حسين هيكل بعنوان 'في منزل الوحي'، ورحلة علي الطنطاوي من 'نفحات الحرم'، ورحلة محمد الأمين الشنقيطي، ورحلة بنت الشاطي باسم 'أرض المعجزات' و 'رحلة الحجاز' للأديب المصري عبد القادر المازني، ورحلة عباس محمود العقاد، ورحلة الدكتور محمد رجب البيومي، ورحلة الكاتب المصري يوسف إدريس التي سجل أحداثها ووقائعها وانطباعاته عنها في كتابه 'إسلام بلا ضفاف'.¹²³

وإن تجربة الشعراء في الحج وزيارة الأراضي المقدسة، تجربة فريدة، فكثير من الشعراء الذين حجوا بيت الله العتيق آثروا أن يعبروا عن رحلاتهم الحجازية بمجموعة من القصائد، كقصيدة 'إلى عرفات الله' للشاعر أحمد شوقي، وديوان 'رجع الصدى' وهو يشتمل على ثلاث قصائد (في أرض النبوة، وحمائم الحرم، وتحية وقضية) وقصائد عمر بهاء الدين الأميري.¹²⁴

شهد النصف الأول من القرن العشرين ارتفاعاً ملحوظاً في رحلات الحج التي كتبها مسلمو أوروبا. وشمل ذلك كلاً من الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام والمجتمعات الإسلامية الراسخة في أوروبا. وتعكس هذه الظاهرة التأثير المتزايد للعولمة على الحج وتضيف فصلاً جديداً إلى تقليد روايات الحج. وغالباً ما دمجت سرديات المتحولين تجربة الحج في قصة أكبرى حول رحلاتهم إلى الإسلام.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك جون لويس بوركهارت (1784م-1817م) الرحالة السويسري-البريطاني، الذي شارك في حج 1814م-1815م، يُفترض كمسلم مُتحول، وكتب عملاً أنثروبولوجياً ضخماً حول تجاربه. مثال آخر مثير للاهتمام هو رواية المستشرق والمُتحول المجري جيولا جيرمانوس (1884م-1979م) الذي مكث في الهند ومصر لبعض الوقت لتحسين معرفته بالإسلام، قبل التوجه إلى الحجاز عام 1935م لأداء فريضة الحج. تُعدّ رحلته التفصيلية واحدة من المعالم البارزة في تراث أدب الحج.

¹²³ الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع،

لكنّاؤ، 2016م، ص/9

¹²⁴ المرجع نفسه

وفي بعض الحالات، اعتنق الحجاج الأوروبيون الإسلام في المستعمرات، على سبيل المثال الفنان إتيان دينيه (1861م-1929م) الذي عاش في الجزائر وسافر إلى مكة عام 1929م، أو الليدي إيفلين كوبولد (1867م-1963م) التي نشأت في بلدان إسلامية وأدت فريضة الحج عام 1933م ضيفة على الملك، وكانت أول امرأة أوروبية تقوم بذلك. يُعد ظهور هذه الرحلات إيذاناً بتنامي تأثير العولمة على الحج، وتمثل تياراً جديداً في تقليد روايات الحج، والذي يمتد، إلى جانب روايات المسلمين الأوروبيين المعاصرين الذين يكتبون باللغات الأوروبية، بين تقاليد أدب الرحلات الأوروبية والإسلامية.¹²⁵

على الرغم من مشاركة النساء في الحج لقرون عديدة، إلا أن هناك عددًا قليلاً جدًا من الروايات التي كتبتها نسوة. الاستثناء الوحيد يأتي من التقليد الفارسي، حيث وثقت نساء من النخبة تجارهن منذ القرن السابع عشر فصاعدًا. ومن الأمثلة على ذلك روايات لنواب بيگمات من بهوبال في عامي 1870م و 1913م. ولا توجد روايات معروفة البقاء عن نساء باللغة العربية على الرغم من زيادة فرص حصول المرأة على التعليم والنشر منذ منتصف القرن التاسع عشر فصاعدًا.

¹²⁵ Richard van Leeuwen, Hajj Narratives as a Discursive Tradition, from the book 'Narrating the Pilgrimage to Mecca', 2023, Page/67

الفصل الثالث

أهم الرحالة إلى أراضي الحجاز

أهم الرحالة العرب إلى أراضي الحجاز

1. ابن جبير الأندلسي - تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى المعروف باسم ابن جبير الأندلسي، ألمع الرحالة الأندلسيين ومن أوائل الرحالة الذين احتفوا بالبقاع المقدسة. ولد ببليسية سنة 1145م. درس العلوم الدينية واللغوية ولم يلبث أن تيقظت فيه مواهبه الأدبية فأخذ في قرض الشعر والاهتمام بالأدب ولمع اسمه فألحقه حاكم غرناطة بكتاب ديوانه.¹²⁶

عزم على الحج في سنة 1183م. سافر من طريق سبته إلى الإسكندرية والقاهرة حتى وصل إلى مكة المكرمة. لقد ركب متن البحار وتنقل بين القفار وتجول وسط الفيافي والمفاوز انتقل واستطلع واستقصى وحقق ودقق ووقف واستوقف وضمن ما حملته ذاكرته وسجله يراعه وما شد انتباهه واستجلب نظره رحلته الشهيرة ذلكم. حيث أدى فريضة الحج وزار المدينة. ظل في الحجاز نحو ستة أشهر ودون خلالها مشاهداته ورحلاته. عرف دائماً بكونه ألمع الرحالة الأندلسيين حيث كان محدثاً راسخاً وأديباً بارعاً وشاعراً لسنناً وكاتباً بليغاً.

سجل ابن جبير رحلة الحج في كتابه المسماة 'تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار' بدقة متناهية، لا كمراقب خارجي بل كمشارك ذي عين ثاقبة للتفاصيل. يقدم وصفاً حيويًا لمخيمات عرفات ويثبت جدارته كدليل حج من الدرجة الأولى، حيث يمنح قراءه في إسبانيا لمحة حقيقية عن الشعائر المقدسة البعيدة. كما أنه أول مؤلف عن الحج يلاحظ التحسينات الكبيرة في البنية التحتية للرحلة، بدءًا من نظام المياه إلى الدرجات المنحوتة بتكلفة باهظة في جبل الرحمة. وفي أثناء رحلته، ينقل إحساس السفر سيرًا على الأقدام

¹²⁶ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، 2002م، ط/5، ج/5، ص/320

وكذلك المحفات الفاخرة للجمال التي يركبها الأثرياء، حيث يجلس الركاب تحت مظلات واقية لا يضايقهم فيها الريح ولا الشمس، ويتنعمون بالقيلولة على الفرش، ولعب الشطرنج والمطالعة.¹²⁷

يعبر عن شوقه إلى البقاع المقدسة فيقول: طال شوقي إلى بقاع ثلاث لا تشد الرحال إلا إليها إن للنفس في سماء الأمانى طائرا لا يحوم إلا عليها كما يقول:

بلغت المنى وحللت الحرم فعاد شبابي بعد الهرم

فأهلاً بمكة أهلاً بها وشكراً لمن شكره يلتزم

ولما رأى الكعبة ووقع بصره عليها قال:

بدت لي أعلام بيت الهدى بمكة والنور باد عليه

فأحرمت شوقاً له بالهوى وأهديت قلبي هدياً إليه

ويقول:

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها¹²⁸

2. ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة، ولد في طنجة عام 1304م. غادر ابن بطوطة بلده طنجة في المغرب الأقصى في بداية الأمر عام 1325م بقصد الحج. لكن بسبب تعذر الحج تلك السنة لما صادفه من اضطرابات بين البُجاة والمماليك على ساحل البحر الأحمر اضطر للانتظار سنة كاملة لحضور موسم الحج عام 1326م، وهو ما تم له بالفعل لكن عن طريق الشام والالتحاق بالركب الشامي هذه المرة بدلا من الركب المصري؛ فقد انطلق من مدينة دمشق في شوال من تلك السنة إلى المدينة المنورة ومنها إلى مكة المشرفة.

¹²⁷ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/71-72

¹²⁸ عبد الله بن حمد الحقييل، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين رؤية تاريخية وأدبية، مكتبة التوبة - الرياض، 2007م، ص/28

أدى ابن بطوطة فريضة الحج، ثم في نفس السنة 1326م انطلق مع الركب العراقي، وبدأت رحلته تتوسع في أقطار العالم حتى ظل سائحًا في بلاد الله مدة بضع وعشرين عامًا متصلة كان نتاجها رحلته العظيمة التي استقبلها الشرق والغرب بالترجمة والقراءة بنهم وإعجاب، وقد أسماها 'تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار'، وقد سُمي ابن بطوطة بسببها 'أمير الرحّالين المسلمين'.

يمتاز وصف ابن بطوطة بالسلاسة والبلاغة في آن، وفي مكة ووسط المشاعر المقدسة يسيل منه وصف رائع، وتتضح منه عاطفة شديدة تأثرا بالمكان، لقد كان ابن بطوطة حينذاك لما يزال في ريعان الشباب وصبوته فقد كان في الثالثة والعشرين من عمره.

لم يكتفِ ابن بطوطة بتسجيل رحلته إلى الحج كأى رحالة عادي، بل انغمس في تفاصيل مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، ووصفها بدقة تشمل الطرق والمعالم والأماكن والعادات والتقاليد، حتى مع اهتمامه بالقصص الفردية والنادرة. فأصبحت رحلته خزانة غنية تتجاوز قيمتها الجغرافية التاريخية أو تاريخ عصره، لتقدم لنا صورة شاملة عن حضارة ذلك العهد.¹²⁹

3. شكيب أرسلان - الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف

هو شكيب بن حمود بن حسن أرسلان من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، ولد في الشويفات ببلدان سنة 1869م، وكان عالماً بالأدب والسياسة، مؤرخ من أكابر الكتاب ينعت بأمر البيان من أعضاء المجمع العلمي العربي، انتخب نائب في مجلس المبعوثان العثماني. وقام بسياحات كثيرة في أوروبا وبلاد العرب، وزار أمريكا سنة 1928م، والأندلس سنة 1930م، وهو في حله وترحاله يكتب المقالات والبحوث ورسائله الخاصة بالآلاف أو بعشرات الآلاف، وله مصنفات كثيرة.¹³⁰

قام برحلة الحج ونشرها في كتاب أصدره بعنوان: 'الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف'، حيث صور الحج ومشاهده، وأماكنه وكان للأدب من كل ذلك حصيلة كبيرة. تميز أسلوب أرسلان في الكتاب بالجزالة، حيث جمع بين الدقة والملاحظة، مستعيناً بمراجع التراث الإسلامي ليثري محتوى رحلته.

وصف أرسلان في كتابه مدينة جدة ومشاهداتها، بما في ذلك لون مياه بحرها الغريب، وعادات أهلها وتقاليدهم. كما روى حكايات طريفة عن تجربته الشخصية في جدة، مثل النوم على أسطح المنازل هرباً

¹²⁹ المرجع نفسه، ص/31

¹³⁰ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، 2002م، ط/5، ج/3، ص/173-175

من الحر والرطوبة، وانتشار البعوض. أبرز أرسلان في رحلته شعوره القومي، مؤكداً على حفظ الله تعالى للجزيرة العربية من سيطرة الأجانب وسلطتهم السياسية. انتقل أرسلان بعد ذلك لوصف رحلته من جدة إلى مكة، ثم وصف مكة المكرمة ومكاتها الدينية، والكعبة المشرفة، وسكان مكة وأحوالهم المعيشية. كما تناول أرسلان موضوع عين زبيدة وأهميتها في توفير المياه للحجاج، ووصف مشاعر عرفات ومزدلفة ومنى، والطقوس الدينية التي تقام فيها.

خصص أرسلان جزءاً من رحلته للحديث عن أدلاء الحجاج في المدينة المنورة، ودعا حكومات الدول الإسلامية إلى الاهتمام بأمر الحج وتسهيل إجراءاته على المسلمين. كما طالب الحكومات، وخاصة الأوروبية، باحترام أوقاف المسلمين وعدم الاعتداء عليها. ختم أرسلان رحلته بوصف مدينة الطائف وتاريخها، وسوق عكاظ وأهميته الأدبية، وقبائل الحجاز. تتميز رحلة أرسلان إلى الحجاز بأهميتها التاريخية والأدبية، حيث غنمها المؤلف بمعلومات قيّمة عن الحج والمشاعر المقدسة، وعادات وتقاليد أهل الحجاز، والأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة. يُعد الكتاب مرجعاً هاماً للباحثين والمؤرخين المهتمين بالحج والحضارة العربية الإسلامية.

4. إبراهيم المازني - رحلة الحجاز

إبراهيم المازني، أديب مصري مجدد وأستاذ ترجمة ولد عام 1889م، اشتهر بأسلوبه الأدبي الرصين الجميل. تنوعت مسيرة المازني بين التدريس والصحافة، وأبدع في ترجمة أعمال أدبية إنجليزية إلى جانب تأليف كتبه الخاصة وديوان شعره المبتكر الذي استقى منه بعضاً من روح الغرب. عُرف بشخصيته المحببة وأسلوبه السلس، وكان عضواً بارزاً في مجعبي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق، واقترن اسمه مع الرواد كالعقاد وطه حسين وعبد الرحمن شكري وأحمد أمين وغيرهم من الأدباء العمالقة الذين كان لهم دور في الحياة الأدبية وتألّقوا في فتراته. وافته المنية عام 1949م تاركاً إرثاً أدبياً ثرياً.

بدعوة رسمية من الملك عبد العزيز عام 1930م، انضم الأديب المصري إبراهيم المازني إلى نخبة من كبار الكتاب والصحفيين المصريين في رحلة إلى الحجاز. وقد مثل الدعوة يومئذ: محمود أبو الفتوح من 'الأهرام'، والمازني من 'السياسة'، ومحي الدين رضا من 'المقطم'، وعبد الحميد حمدي من 'البلاغ'، ومحمد المصيلحي

من 'كوكب الشرق'. وثق المازني مشاهداته في كتابه 'رحلة الحجاز'، مستخدماً أسلوبه الأدبي الرشيق لوصف تفاصيل انطلاقهم من القاهرة بالسيارات حتى وصولهم إلى جدة عبر السويس.¹³¹

رحلة الحجاز للمازني تشتمل على خواطر أدبية ووصف رحلته للحجاز لأداء الحج وذكر الأماكن التي مر بها وتحدث المازني عن العادات والتقاليد السائدة في الأكل واللباس ووصف شوارع جدة وسكانها ثم غادرها إلى مكة المكرمة حيث تحدث عن الإحرام وعن البيت الحرام وعن دخوله الكعبة المشرفة كما أورد مقابله مع الأمير فيصل والكتاب عموماً من كتب الرحلات الساخرة. ومن سخريته ما أورده تعليقاً عن إطالة بعض السكان لشعورهم وترجيلها وكحل عيونهم إذ كان يتحدث إلى أحدهم على أنه امرأة. فهو تسجيل لتلك الرحلة وما شاهدته في طريقه وعن المناطق التي زارها وما تحفل به من دور وقصور وأودية ومساجد و آثار و مشاهد روحانية.¹³²

5. عباس محمود العقاد - مع عاهل الجزيرة العربية

عباس محمود العقاد، الأديب المصري الموسوعي (1889م-1964م)، يعد من أهم كتاب القرن العشرين في مصر. أثمر المكتبة العربية بأكثر من مائة مؤلف في الشعر والنثر، ونجح في مجال الصحافة بفضل ثقافته الواسعة في التاريخ والفلسفة والأدب وعلم الاجتماع. خاض معارك أدبية وفكرية عديدة مع كبار مثقفي عصره، مثل طه حسين وأحمد شوقي، وترك بصمة واضحة في الحياة الأدبية والسياسية المصرية، ولا يزال إرثه الفكري ينير دروب الأجيال اللاحقة.

في عام 1946م، أتيحت للعقاد فرصة السفر إلى الحجاز مرافقاً للملك عبد العزيز آل سعود في زيارته لمصر. اغتنم العقاد هذه الفرصة لزيارة الأماكن المقدسة، فكتب سلسلة مقالات تصف مشاهداته وتُحي ذكريات تاريخية وأدبية غنية. يصف العقاد رحلته من ميناء السويس على متن الباخرة المحروسة حتى وصوله إلى ميناء جدة، ومن ثم رحلته إلى مكة المكرمة حيث أدى مناسك العمرة. صاغها بأسلوب أدبي رفيع في كتابه 'مع عاهل الجزيرة العربية' وقابل طائفة من العلماء والأدباء وجرى حوار بينه وبينهم وأشاد بما شاهدته ورآه من المآثر الإسلامية والنهضة الفكرية والتطور الحضاري في المملكة.¹³³

¹³¹ أبو زيد، أحمد محمود، الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، الرياض، 2013م، ج/1، ص/41

¹³² عبد الله بن حمد الحقييل، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين رؤية تاريخية وأدبية، مكتبة التوبة - الرياض، 2007م، ص/63

¹³³ المرجع نفسه، ص/67

تُظهر كتابات العقاد خلال هذه الرحلة إعجابه الشديد بالحضارة الإسلامية والنهضة الفكرية التي شهدتها المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت. كما التقى العقاد خلال رحلته بالعديد من العلماء والأدباء، وجرى بينه وبينهم حوارات ثرية تبادلاً فيها الأفكار والآراء.

6. أنيس منصور - طلع البدر علينا

أنيس محمد منصور (1924م-2011م) كاتب صحفي وفيلسوف وأديب مصري لامع، اشتهر بأسلوبه الأدبي الفريد الذي مزج فيه بين الفلسفة والأدب الحديث. تفرغ منصور للكتابة والتأليف، وترك إرثاً غنياً من الأعمال الفلسفية والأدبية، ناهيك عن مسيرته الصحفية المميزة، حيث تولى مناصب تحريرية رفيعة المستوى في العديد من الصحف والمجلات. لم يقتصر عطاء منصور على الكتابة، بل كان مفكراً عميقاً ومحاضراً بارعاً، حيث أثرى الساحة الفكرية العربية بأفكاره النيرة وآرائه السديدة. رحل منصور عن الحياة عام 2011م تاركاً وراءه إرثاً ثقافياً ضخماً يُعدّ منارةً للأجيال القادمة.

برز الأديب أنيس منصور كأحد رواد أدب الرحلات في القرن العشرين، بل يأتي على رأس الرحالة المعاصرين الذين اهتموا بالسفر والترحال المعظم دول العالم، لدرجة أن البعض يعتبره ابن بطوطة العصر الحديث. حيث سافر إلى بلدان كثيرة في الشرق والغرب، ودون تجاربه في رحلاته عبر العديد من الكتب، مثل 'حول العالم في 200 يوم'، 'اليمن ذلك المجهول'، 'أنت في اليابان وبلاد أخرى'.

وتُعدّ رحلة منصور إلى الحج، والتي سجل تفاصيلها في كتابه 'أيام في الأراضي المقدسة' أو 'طلع البدر علينا'، رحلة مميزة، حيث يروي أنيس منصور أولى رحلاته إلى الأراضي المقدسة ويسجل فيها خواطره وتجربته الروحية العميقة. يصف منصور كيف أن روحانية هذه الأماكن تختلف عن أي مكان آخر زاره من قبل. يذكر أن من نعم الله عليه أنه حفظ القرآن الكريم كاملاً في طفولته، ويستعرض تطور معرفته بالدين والله عبر مراحل حياته المختلفة، بدءاً من سنوات دراسته في المدرسة والجامعة، وتخصّصه في دراسة الفلسفة والأديان، وصولاً إلى قراءته في التوراة والإنجيل والكتب المقدسة الأخرى، بما في ذلك 'دلالة الحائرين' للفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون. يعكس الكتاب رحلة منصور الفكرية والروحية، حيث يتناول بأسلوب عميق ومشوق علاقته بالدين وكيفية تأثره بتلك النصوص والأفكار الفلسفية المتنوعة.

يروى أنيس منصور تجربته لأداء العمرة بعد فترة طويلة من البحث والكتابة في مجالات الفلسفة والأديان، مشيراً إلى أنه شعر بتجدد الحياة عند رؤية الكعبة للمرة الأولى. يصف هذه اللحظة بأنها كانت أشبه بمعجزات القديسين في اللوحات المسيحية، حيث شعر بأن صورته تنبض بالحياة. وفي المدينة المنورة، شعر منصور بثيء أقوى مما شعر به في الكعبة، خاصة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. لم يكن 'طلع البدر علينا' مجرد كتاب يتحدث عن رحلة الحج، بل هو استعراض لتجربة أنيس منصور الروحية الكاملة، من خلال مقالات متفرقة تسجل رحلته في الأراضي المقدسة وتجاربه الروحية والفكرية المتنوعة.¹³⁴

7. علي الطنطاوي - إلى أرض النبوة

محمد علي بن مصطفى الطنطاوي المعروف بعلي الطنطاوي (1909م-1999م)، فقيه وأديب وقاضٍ سوري، من أصل مصري من بلدة طنطا. يُعد من كبار أعلام الدعوة الإسلامية والأدب العربي وجاحظ القرن العشرين. كانت له رحلات وجولات في نصرة فلسطين والقضية الإسلامية، وله العديد من المصنفات الأدبية الدالة على علو كعبه في هذا المضمار، وله الكثير من الأحاديث في الرائي والإذاعة.

انضم عام 1935م إلى رحلة حج استكشافية برفقة 300 شخص بحثاً عن طريق بري جديد بين دمشق والمدينة المنورة. وقد وثق الطنطاوي تفاصيل هذه الرحلة المميزة التي ساهمت في تسهيل الحج على الناس، في كتابه 'من نفحات الحرم'، إلى جانب مجموعة من حلقات مذكراته تحت عنوان 'رحلة الحجاز'.

المجموعة الأولى تضم مقالات تصف تلك الرحلة التي حفلت بالغرائب وحقت بها المخاطر. والذي يقرأ وصف هذه الرحلة لا يجد فيها متعة قراءة القصة الغريبة فحسب، بل إن فيها كثيراً من الفوائد والمعلومات التي لا نكاد نجدها في بطون الكتب عن الصحراء والحياة في البادية، وفيها صورة أدبية دقيقة عن تبوك والقُرَيَات قبل ثلثي قرن لا تكاد توجد في أي مرجع آخر، ووصف لمكة والمدينة في تلك الأيام، وفيها حديث عن عادات الناس في طعامهم وشرابهم وضيافتهم، وبعض ذلك مما فوجئ به علي الطنطاوي

¹³⁴ آمال سامي، في ذكرى رحيله.. كيف أشرقت روح أنيس منصور برحلة إلى الله؟، موقع مصراوي، الإثنين 21 أكتوبر 2019م، تاريخ الوصول 30 مايو 2024م. https://www.masrawy.com/islameyat/others-happen_today/details/1656403/21/10/2019/ في-ذكرى-رحيله-كيف-أشرقت-روح-أنيس-منصور-برحلة-إلى-الله

(الشاب -يومئذ- القادم من الشام). أما سائر مقالات الكتاب فتغلب عليها عواطف الحج ومشاعره وأفكاره.¹³⁵

بأسلوبه السلس الرشيق، يروي الشيخ علي الطنطاوي رحلته إلى الحجاز، رحلة مُشبعة بالذكريات والمشاعر الصادقة. يسرد مشاهداته في الحرم المكي، ويصف تفاصيل شعائر الحج في عصره، مع تقديم لمحات تاريخية وانتقادات بناءة. يبرز الطنطاوي مكانة الحرم في نفوس المسلمين، ويعكس الصلات الروحية بين سورية والمملكة العربية السعودية، فيلأمس ببراعته الأدبية عقول القراء وقلوبهم، ويُحيي إيمانهم بنفحات الحرم الزكية.

8. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ - أرض المعجزات

عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (1913م-1998م)، مفكرة وكاتبة مصرية من دمياط، تعد رائدة في الفكر الإسلامي والأدب العربي. فهي أول امرأة تُحاضر بالأزهر الشريف، وأول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل العالمية. تميزت بنشاطها في العلوم الدينية واللغوية والتاريخية، مدفوعة بحبها للغة القرآن الكريم والاهتمام بالدراسات الإسلامية والسيرة النبوية. كما كانت من أوائل المصريات اللاتي عملن في الصحافة، لتترك بصمة واضحة في الثقافة العربية والإسلامية.

لقد سطرت رحلتها للحج في كتاب 'أرض المعجزات'. ولقد اشتملت رحلتها إلى الحج على وصف دقيق وتصوير بديع وأسلوب أدبي رفيع خلال رحلة الحج التي قامت بها ومشاهدة قوافل الحجيج وتنقلهم حيث ذكرت عدداً من الأمور التاريخية بجانب ما تحدثت عنه وأضافت فيه من مشاعر إسلامية متدفقة، إنها رحلة إلى الحج وما فيها من عبر وعظات ودروس ومشاهد وتاريخ و آثار.¹³⁶

¹³⁵ أبو زيد، أحمد محمود، الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، الرياض، 2013م، ج/1، ص/61

¹³⁶ عبد الله بن حمد الحقييل، رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين، مكتبة الرشد، الرياض، 2012م، ص/239

أهم الرحالة غير العرب إلى أراضي الحجاز

1. ناصر خسرو - سفرنامه

ولد ناصر خسرو شاه عام 1003م في قباديان في محافظة خراسان شرق بلاد فارس. حتى غادر إلى مكة في الثانية والأربعين، شغل مناصب إدارية في مرو وبلخ وكان يخدم الأمراء أحياناً. وفقاً لروايته الخاصة، فقد أفرط في شرب الخمر حتى رأى حلمًا في خريف عام 1045م. ويقول إنه كان مسافرًا لمدة شهر تقريبًا، وهو يشرب الخمر بشكل متواصل، عندما ظهر في نومه ذات ليلة شخص ينصحه بطلب الحكمة. وعندما سأل خسرو أين تكمن الحكمة، أشار زائره نحو مكة واختفى.¹³⁷

انطلق خسرو من مرو، متوجهًا صوب بيت المقدس برفقة أخيه وغلامه الهندي. لكن رحلته لم تتوقف هناك، ثم قرر زيارة مصر قبل التوجه إلى مكة. لم يكن خسرو يستعد في البداية لرحلة طويلة كهذه، فكانت رحلته إلى الحج بمثابة البداية لسفر دام سبع سنوات. سجل تفاصيله في كتابه 'سفر نامه'. خلال إقامته الطويلة، زار مكة المكرمة ثلاث مرات أخرى أيضًا. الرحلة الأخيرة هي التي تحتل صميم كتابه.¹³⁸

وصف الرحالة خسرو مكة المكرمة بإيجاز شديد، على غرار وصف الحجاج المسلمين الأوائل. ويعود سبب اختصارهم في الوصف إلى أنهم كانوا يكتبون لقراء مسلمين مثلهم، ممن كانت مكة بالنسبة لهم المدينة الأكثر معرفة وليس الأكثر غموضاً على وجه الأرض. على الرغم من بساطة وصف خسرو، إلا أنه دقيق ويعرض المشهد الأساسي للمسجد الحرام كما هو عليه اليوم: الكعبة المشرفة المكونة من طابقيين في المركز، حيث يطوف الحجاج، وبئر زمزم التي يروون منها ظمأهم، وصفا ومرورة، التلالين اللتان يضطلع الحجاج بينهما. يقدم لنا خسرو هنا مقدمة عن مناسك القدوم للحج، والجغرافيا المقدسة لمكة، وكذلك المواكب التي تنتقل من المدينة إلى عرفات. كما تظهر مواضيع أخرى مثل اقتصاد مكة، الحجاج 'المقيمون' الذين يطيلون البقاء، نظام المياه في المدينة بشكل مختصر. سيتناول الرحالة اللاحقون هذه المواضيع بالتفصيل، لكن كتاب خسرو يعتبر أول من تطرق لها.

¹³⁷ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/44

¹³⁸ عبد الله بن حمد الحقييل، رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين، مكتبة الرشد، الرياض، 2012م، ص/36

2. جون بوركهارت - أسفار في شبه الجزيرة العربية

ولد جون لويس بوركهارت في لوزان بسويسرا عام 1784م وترعرع في بازل، حيث غرس فيه حب الثقافة والمعرفة. درس التاريخ والعلوم الحديثة وكان يجيد اللغات اليونانية واللاتينية ويتحدث الفرنسية والألمانية والإنجليزية بطلاقة. وصل بوركهارت إلى لندن عام 1807م في الثالثة والعشرين من عمره ومعه رسالة تعريف إلى عالم طبيعة إنجليزي وعالم نبات 'جوزيف بانكس'.

درس اللغة العربية والإسلام كجزء من رحلته بهدف حل بعض مشاكل مسار نهر النيجر لجوزيف بانكس. تطلبت الرحلة القيام برحلة من القاهرة إلى تمبكتو. في هذا الوقت بدأ أيضًا في ارتداء الزي العربي. في عام 1809م غادر إنجلترا وسافر إلى حلب بسوريا لإتقان اللغة العربية والعادات الإسلامية. بمجرد وصوله إلى سوريا، تبنى اسم مستعار وهو الشيخ إبراهيم بن عبد الله لإخفاء هويته الأوروبية الحقيقية. وصل إلى القاهرة لكن لم يتمكن من السفر مع الحجاج العائدين لتحقيق هدفه. لذلك أخذته رحلته إلى البحر الأحمر، حيث قرر أداء فريضة الحج لأن ذلك من شأنه تعزيز مكانته كمسلم في رحلته إلى تمبكتو.

في مكة، لاحظ كل شيء: أحاديث الناس المحلية وأمثالهم وطبخهم وطعم الماء وجيولوجيا الصحراء والبنية التحتية والاقتصاد للمدينة. تظهر آثار الحرب طويلة الأمد على الحجاج في هذه الصفحات. يبدو أن مكة وسكانها وسلامة طرقها قد تقلصت وتعرضت للضغط.

بمجرد انتهاء الحج، اندلعت حرب بين محمد علي باشا والوهابيين ووقع الآلاف من الحجاج العائدين إلى ديارهم في مكة. لجأ بوركهارت نفسه إلى الإقامة في المسجد الحرام - معتمدًا على أن أيًا كان المنتصر سيظل يحترم قوانين اللجوء الخاصة به. وبعد بضعة أيام انتصرت قوات محمد علي بشكل حاسم. عندها فقط سُمح للحجاج بالعودة إلى ديارهم. بعد الحج ومرض طويل في المدينة المنورة، عاد بوركهارت إلى القاهرة.

بما أنه أصبح الآن حاجًا كثير السفر، فلا يمكن التشكيك في إسلامه. أخيرًا، في سبتمبر 1817م، مر قافلة النيجر عبر المدينة في طريقها إلى مكة، وتمكن بوركهارت من ترتيب العودة إلى غرب إفريقيا معها في ديسمبر. في أكتوبر، تدخل الزحار. في أحد الأسابيع كان يتجول في حدائق القنصلية، يخطط بسعادة لرحلته إلى النهر العظيم. وفي الأسبوع التالي كان على فراش الموت. بعد ما يقرب من عشر سنوات من التحضير للنيجر، توفي في القاهرة عن عمر يناهز 32 عامًا في 15 أكتوبر 1817م، ولم يقم برحلته

المقصودة إلى النيجر. دفن مسلماً، وتحمل شواهد قبره اسمًا لقبه في رحلاته إلى العربية. يقع قبره جنوب بوابات المدينة، ويطل على بداية طريق قوافل النيجر.

كان قد أرسل إلى إنجلترا بين الحين والآخر يومياته وملاحظاته بعناية، وسلسلة وفيرة من الرسائل، لذلك فقد القليل جدًا من تفاصيل رحلاته. مع هذه البيانات نُشر سبعة كتب لبوركهارت بعد وفاته. عندما ظهرت أخيرًا، واحدًا تلو الآخر في عشرينيات القرن التاسع عشر، جعلته مشهورًا. صدرت فصوله الدقيقة عن المسجد الحرام، الذي عالجه كمدينة بحد ذاتها، بشكل منفصل باسم 'رحلات في العربية' (1829م)، ونالت استحسانًا واسعًا. كانت دقة المعلومات التي قدمها لدرجة أن السير ريتشارد بيرتون اقتبس مقاطع كاملة منها في روايته الخاصة عن مكة بعد أربعين عامًا. قرأه واشنطن إيرفينغ وهو يؤلف كتابه المكون من مجلدين 'محمد وخلفاؤه' (1849م-1850م)، وهو أول كتاب عن النبي كتبه أمريكي.¹³⁹

3. ريتشارد فرانسيس بيرتون - سرد شخصي للحج إلى المدينة المنورة ومكة

السير ريتشارد فرانسيس بيرتون (1821م-1890م) كان مستكشفًا وباحثًا شرقيًا وكاتبًا وجنديًا بريطانيًا. اشتهر برحلاته واستكشافاته في آسيا وأفريقيا والأمريكتين، بالإضافة إلى معرفته الاستثنائية باللغات والثقافات. تشمل إنجازات بيرتون الأكثر شهرة: ترجمة غير مختصرة لـ 'ألف ليلة وليلة' (المعروفة باسم 'الليالي العربية' بالإنجليزية)، ورحلة موثقة جيدًا إلى مكة متنكرًا، في وقت كان يُمنع فيه دخول غير المسلمين تحت طائلة الموت، وغيرها من الأعمال الكلاسيكية.¹⁴⁰ ولا يزال كتاب ريتشارد بيرتون 'سرد شخصي للحج إلى المدينة المنورة ومكة'، الذي نُشر لأول مرة عام 1855م، هو السجل الوحيد المتكامل للحج المتاح على نطاق واسع في الغرب اليوم.¹⁴¹

وصل بيرتون إلى مكة في الثانية والثلاثين من عمره، وكان دوره كمستكشف قد تشكل بالفعل من خلال فترة عمل لمدة سبع سنوات في الهند والسند كجندي في شركة الهند الشرقية (1842م-1849م). في عام 1853م، انضم بيرتون إلى سفينة في ساوثهامبتون (Southampton) للرحلة البحرية التي تستغرق ثلاثة عشر يومًا إلى مصر.

¹³⁹ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/205-208
¹⁴⁰ ريتشارد فرانسيس بيرتون. (2023، سبتمبر 14). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 01:08، 12 يونيو 2024، 2024، 2024).
 May 1). Richard Francis Burton. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved 01:11, June 12, 2024, from 1221643326=https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Richard_Francis_Burton&oldid

¹⁴¹ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/239

صعد على متن السفينة متنكرا في زي فارسي شيعي. ومع ذلك، قوبلت هذه الشخصية الأولى في الإسكندرية بنجاح متفاوت. لم يكن الشيعة 'طاهرين' تمامًا في أعين العديد من المسلمين السنة، وكانت مصر سنية في الغالب. لم يكن بيرتون قد حسب على العداوة التقليدية بين الطرفين. في القاهرة، غير ملابسه وسجل بعناية رفايته اللاحقة بين المصريين. في غضون شهر، حول نفسه إلى رجل سني مقبول، وهو 'بشتوني' أفغاني (بشتون) مولود في الهند وطبيب مُمارس. لقد وفرت له هذه الشخصية الوصول الاجتماعي الذي كان يبحث عنه. كما أنها ألهمت واحدة من المقتطفات التالية، رسمًا فكاهيًا على غرار مارك توين ليوم عادي في حياة طبيب على النيل.

تظل 'الرواية الشخصية للحج' التي نشرها ريتشارد بيرتون لأول مرة عام 1855م السجل الوحيد المتكامل للحج المتاح على نطاق واسع في الغرب اليوم. تكمن مساهمة بيرتون العظيمة في أدب الحج في المدينة المنورة، حيث سافر بعد ذلك. خصص نصف المجلد الأول لمدينة الرسول. يعتبر هذا الجزء من سجله جولة علمية قوية، حيث يقدم بالتفصيل الجغرافيا المادية والروحية للمدينة، ومساجدها الرئيسية، وتاريخها وتجارها، وأسواقها ومكتباتها، والحياة الأسرية، والطقوس والأساطير. لم تظهر الكثير من هذه المعلومات في أوروبا حتى الآن، وقد حلت محل قرون من التخمين والافتراضات الخاطئة. أمضى بيرتون حوالي شهر في المدينة المنورة. وكأنه عاش هناك نصف عمره.¹⁴²

4. رحلة أميرة بوبال النواب سكندر بيغم

الأميرة سكندر بيغم، ابنة نواب ناصر نظر محمد خان، ولدت في 12 أغسطس 1818م. توفي والدها بعد عام وثلاثة أشهر من ولادتها، لذلك كانت هي أحق بالحكم بعده، لأنه لم يكن لديه أبناء غيرها. اتخذت سكندر بيغم عدة خطوات لإصلاح وسافر سكندر إلى أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة الهندية لحضور الاحتفالات الحكومية كوصية، وهذا زاد بعد أن أصبحت الحاكمة المطلقة لإمارة بهوبال. كان عام 1861م ذا أهمية كبيرة؛ زادت رحلاتها الرسمية والعامية وزياراتها داخل الهند، واكتسبت السلطة الإدارية والشعبية، التي تستحق عليها وسام (نجمة الهند) من الحكومة البريطانية.¹⁴³

¹⁴² Ibid, Page/240-242

¹⁴³ البيطشان، إبراهيم بن محمد/ فيصل بن أبي المكارم، ثمامة، مذكرات رحلة حج لأميرة بوبال، النواب: سكندر بيغم، دار نور للنشر، نيودلهي، الهند، 2014م، ط/2، ص/17

لم يكن اهتمام سكندر بيغم بالمسائل الدينية بأقل من اهتمامها بشؤون الدولة. فعلى الرغم من كثرة مهامها وتعدد ارتباطاتها، فقد عازمت على أداء فريضة الحج، وكانت أول أميرة هندية تغادر الهند لأداء فريضة الحج. غادرت سكندر بوبال 5 نوفمبر 1863م. وعزماً منها على أداء فريضة الحج، اتخذت ميناء بومباي كمخرج لها، فركبت البحر إلى جدة في 6 يناير 1864م، ووصلت إلى مينائها في 23 يناير 1864م. أمضت حوالي ستة أشهر في الحجاز، حيث أدت خلالها فريضة الحج، ثم عادت إلى الهند، واتخذت جدة كمخرج لها، فأخذت البحر إلى بومباي، ووصلت إليها في 21 يوليو 1864م.

رافق سكندر بيغم في هذه الرحلة حوالي ألف وخمسمائة شخص من بوبال، ومعظمهم من النساء. استأجرت لهن ثلاث سفن، وحملن معهن حمولة كبيرة من المجوهرات والملابس والمؤن لاستخدامها وإعطائها للأمرء والحكام، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين في الأراضي المقدسة. رافقها في هذه الرحلة والدتها نواب قدسية بيغم وعمها نواب فو سردار محمد خان ووجهاء آخرون من الإمارة وموظفيها وخادمتها.

لدى قرار سكندر بيغم بأداء فريضة الحج، وصل الخبر إلى البريطانيين المتحكمين حينها بشؤون البلاد. وبسبب ولاء عائلة سكندر المعروف للبريطانيين، أبدى اهتماماً كبيراً أمين سر الخارجية البريطانية العقيد دوراند (Durand) وزوجته برؤية انطباعات سكندر عن العرب وعن مكة المكرمة. راسلها طالبين منها تدوين ملاحظاتها خلال الرحلة، فوعدتهم بذلك وفاءً منها التزمت بتسجيل انطباعاتها لاحقاً وهو ما تم بالفعل.

سجلت سكندر بيغم مذكرات رحلتها إلى الحج باللغة الأوردية، بعد عودتها بسنتين تقريباً. لم تُنسخ من هذه المذكرات سوى نسختين، أعطت إحداهما لزوجته العقيد دوراند، والأخرى للوكيل السياسي البريطاني لإمارة بوبال؛ ويلوبي أوسبرن (Willoughby Osborne). أعجبت زوجة العقيد دوراند بالمذكرات، وقررت ترجمتها إلى الإنجليزية. طلبت المترجمة الإذن من سكندر، فوافقت. بدأت العمل في الترجمة، لكنها توفيت قبل إتمامها. تم إكمال الترجمة ونشرها في لندن عام 1870م، ثم أعيد طبعها في كولكاتا عام 1906م. أما الأصل الأوردي للمذكرات، فقد فُقد ولم يتم العثور عليه في أي من المكتبات أو الأرشيفات.

قسمت سكندر بيغم رحلتها إلى تسعة عشر فصلاً، دون أن تضع لها عناوين، بل قامت بترقيمها بأرقام متسلسلة. ثم أضافت ملحفاً يحتوي على معلومات تاريخية ودينية عن الحج ومراحله، والمواقع المقدسة والأماكن التاريخية الأخرى التي زارتها خلال نيتها للزيارة. ويبدو أن سكندر بيغم اعتمدت على هذا الملحق

في رحلاتها، أو استندت إليه في معلوماتها عن الحج، وفي طريقها لأدائه، وفي جميع برامجها. وأضاف المترجم إلى هذه المذكرات تاريخًا مختصرًا بوبال حتى عصر نواب سكندر بيغم، جمعه العقيد ويلوبي أوسبورن الذي كان حينها الوكيل السياسي البريطاني لإمارة بوبال. كما أدرج المترجم في مقدمة الكتاب رسالة من ابنة المؤلف: نواب شاه جهان بيغم، تعرب فيها عن شكرها وامتنانها لجلالة ملكة بريطانيا على موافقتها على قبول إهداء الكتاب لها.

5. محمد أسد - الطريق إلى مكة

ولد المفكر الإسلامي محمد أسد (ليوبولد فايس سابقًا) (1900م-1992م) في النمسا. بدأ رحلته الدراسية بالفلسفة والفن، ثم اتجه للصحافة التي قادته إلى الشرق الأوسط عام 1923م. خلال عمله مراسلًا في القدس والقاهرة، خاض حوارات دينية أثمرت عن اعتناقه الإسلام عام 1926م.

بعد إسلامه، انخرط أسد بفاعلية في العالم الإسلامي. جاب أرجاءه من شمال أفريقيا إلى أفغانستان، وأدى فريضة الحج واستقر بالمدينة المنورة. كما شارك في الجهاد الليبي بقيادة عمر المختار. امتدت مساهماته الفكرية والسياسية إلى العمل مع مفكر الإسلام محمد إقبال في باكستان، وتوليه منصب مندوب باكستان بالأمم المتحدة. ترك لنا إرثًا فكريًا غنيًا بالعديد من المؤلفات، من أشهرها 'الإسلام على مفترق الطرق' و'الطريق إلى مكة'، بالإضافة إلى ترجمته للقرآن الكريم وصحيح البخاري إلى الإنجليزية. رحل محمد أسد عن الدنيا عام 1992م مخلفًا وراءه بصمة واضحة كمفكر إسلامي مؤثر في العصر الحديث.¹⁴⁴

يعدّ محمد أسد، بعد إسلامه، نموذجًا رائعًا للباحثين عن الحقيقة، وأحد عشاق المعرفة ونزاهة الفكر والرأي، وطرارًا نادرًا من الرحالة في عالم الأرض، وعالم الفكر والروح. فقد ارتبط ببلاد الحرمين الشريفين ارتباطًا وثيقًا، فعشق المملكة العربية السعودية وأحب أهلها، واعتبرها موطنه، وصار من أتباع الملك عبد العزيز ومن أخلص خلصائه. وكان اعتناقه للإسلام عام 1926م، إعلانًا مقنعًا بقدرته الإسلام على استقطاب الحيارى الذين يبحثون عن الحقيقة. وجاء إسلامه كنتيجة لسنوات عديدة من التجول في العالم الإسلامي والاختلاط بشعبه، والتعمق في ثقافته، واطلاعه الواسع على تراثه، بعد إجادته للغة العربية والفارسية.

¹⁴⁴ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/239

تصف رواية محمد أسد الدقيقة عن رحلة الحج المسيرة الشاقة بشكل حي. لكنه يكشف عن حقيقة أعمق - لم تكن هذه مجرد رحلة جغرافية، بل طريق مقدس نحو التطهير الروحي. تتحول الصحراء القاسية إلى استعارة، تعكس الصراعات الداخلية التي يتحملها أسد للتخلص من التعلق بالدنيا واعتناق إيمانه.

عند الوصول إلى مكة، يواجه أسد الكعبة المهيبة. يصبح هذا المبنى المقدس رمزاً للوحدة العميقة، حيث يوحد ملايين الأشخاص عبر الزمان والمكان في تعبير مشترك عن التفاني. وبينما يؤدي طواف الكعبة، يذوب فردانيته في الإيقاع الجماعي للإيمان، وشاهد على الشوق العالمي للاتصال بالاله. تصبح فريضة الحج، الغنية بالرمزية، مصدرًا للتأمل العميق والنمو الروحي لأسد. يقف جنبًا إلى جنب مع جمهور من الحجاج في عرفات، حيث يختبر شعورًا لا مثيل له بالانتماء والاتصال. تعزز العبادة الجماعية التواضع والأخوة، وتؤكد اعتناق الإسلام.

كما تقدم رحلة الحج لمحة عن النسيج النابض للعالم الإسلامي. يلتقي أسد بمجموعة متنوعة من الحجاج - رجال ونساء من جميع أنحاء إفريقيا وآسيا وأوروبا - ولكل منهم خلفيات ثقافية فريدة، ومع ذلك فهم متحدون بشعائر الإسلام. تؤكد هذه التجربة على عالمية الإيمان، وتتجاوز الحواجز العرقية واللغوية لبناء أخوة إسلامية عالمية. تصبح تأملات أسد طوال الرحلة شخصية للغاية. يدرك أن الحج ليس وجهة، بل بداية لسعي مدى الحياة للنمو الروحي والأخلاقي. يقوي الحج عزمه على العيش وفقًا للمبادئ الإسلامية، ويعزز إيمانه بالقوة التحولية للإيمان وأهمية السعي الروحي المستمر.¹⁴⁵

6. مالكوم إكس - سيرة مالكوم إكس

ولد مالكوم ليتل في عام 1925م في أوماها، نبراسكا، لأسرة فقيرة تأثرت باللاهوت التحرري. كان والده، إيرل ليتل، واعظًا معمدانيًا وأحد أتباع ماركوس غارفي، الذي سجن بتهمة الاحتيال في نفس العام الذي ولد فيه مالكوم. نشأ مالكوم في بيئة تشجع على التحرر من الظلم العنصري، وهو ما أثر بشكل كبير على توجهاته الفكرية في سن الرشد.

Babmsr¹⁴⁵ (باب مصر) (14 فبراير، 2018). مراجعة كتاب «الطريق إلى مكة». مذكرات كاتب يهودي, Retrieved 01:54pm, July 24, 2024, from <https://www.babmsr.com> /مراجعة-كتاب-الطريق-إلى-مكة-مذكرات-ك

في عام 1948م، انجذب مالكوم إلى حركة أمة الإسلام،¹⁴⁶ بقيادة إيليجا محمد، الذي وعد أتباعه بتحقيق الاستقلال والتحرر من الظلم العرقي. أصبح مالكوم إكس متحدثاً باسم الحركة طوال الخمسينيات، مدافعاً عن تمكين السود وتعزيز الإسلام. أصبح متحدثاً باسم أمة الإسلام حتى عام 1964م، وكان مدافعاً صريحاً عن تمكين السود وتعزيز الإسلام داخل المجتمع الأمريكي الأفريقي.¹⁴⁷ في 21 فبراير 1965م، اغتيل في مدينة نيويورك، وتم تكريمه بعد وفاته بتسمية 'يوم مالكوم إكس' وتخليد اسمه في شوارع ومدارس عديدة في الولايات المتحدة، كما تم تأسيس مركز تذكاري باسمه في موقع اغتياله.¹⁴⁸

نُشرت السيرة الذاتية لمالكوم إكس بعد وفاته في 29 أكتوبر 1965م، بعد تسعة أشهر من اغتياله. شارك الصحفي الأمريكي أليكس هيلي في تأليف السيرة الذاتية بناءً على سلسلة من المقابلات المتعمقة التي أجراها بين عامي 1963م و1965م. توثق السيرة الذاتية خيبة أمله وانفصاله عن أمة الإسلام في مارس 1964م، ووجهه إلى مكة الذي أدى إلى اعتناقه الإسلام السني التقليدي، وسفره في إفريقيا.

تجربة مالكوم إكس خلال حجّه إلى مكة ذُكرت في الفصل السابع عشر من سيرته الذاتية. في هذا الفصل، تغيرت نظرتة نحو العرق والدين بشكل كبير، حيث تأثر بشدة بروح الأخوة والوحدة التي لاحظها بين الناس من مختلف الأعناس والألوان، وهو ما كان يتناقض تماماً مع التمييز العنصري الذي عاناه في الولايات المتحدة.

في 13 أبريل 1964م، غادر مالكوم إكس الولايات المتحدة في رحلة شخصية وروحية عبر الشرق الأوسط وغرب إفريقيا. أولاً في القاهرة، ثم في جدة، شهد مالكوم ما لم يشاهده من قبل في أمريكا: رجال من مختلف الأعناس والجنسيات يعاملون بعضهم البعض بالتساوي. الجميع كانوا يتمتعون بروح من الدفاء والود، مما جعله يشعر بأنه خرج من سجن.

وللدخول في حالة 'الإحرام' التي تُطلب من جميع الحجاج المتوجهين إلى مكة، تخلى مالكوم عن بدلته السوداء وربطة العنق الداكنة المعهودة، وارتدى الثوب الأبيض المكون من قطعتين الذي يجب على

¹⁴⁶ حركة أمة الإسلام - تعتبر حركة أمة الإسلام في الولايات المتحدة منظمة بارزة بين السود الأمريكيين، أسسها والاس فرد محمد في 1930م وتبنى قيادتها إيليجا محمد، مروجة لعقائد تميز العرق الأسود. شهدت المنظمة انشقاقات بارزة، أهمها خروج مالكوم إكس وتأسيسه منظمة المسجد الإسلامي، وتحويل وارث الدين محمد الحركة إلى "البلاليون" بعد وفاة والده.

¹⁴⁷ Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/548

¹⁴⁸ Wikipedia contributors. "Malcolm X." Wikipedia, The Free Encyclopedia. Wikipedia, The Free Encyclopedia, 30 Jul. 2024. Web. 31 Jul. 2024.

الحجاج ارتداؤه. كتب مالكوم: "كل واحد من الآلاف في المطار، على وشك المغادرة إلى جدة، كان يرتدي هذا الزي".¹⁴⁹ وأضاف: "قد تكون ملكاً أو فقيراً ولن يعرف أحد".¹⁵⁰ بالطبع، هذا هو مغزى الإحرام، إذ يعكس مساواة الإنسان أمام الله كما تفسرها تعاليم الإسلام.

في السعودية، تأخرت رحلة مالكوم إكس لبضعة أيام حيث تحقق السلطات من أوراقه والتأكد من أنه مسلم، نظراً لأن غير المسلمين لا يُسمح لهم بدخول المسجد الحرام في مكة. خلال هذا الوقت، تعلم مالكوم العديد من الشعائر الإسلامية وتحدث مع رجال من خلفيات متنوعة. كان الكثير منهم منبهرين بمالكوم كما كان الأمريكيون في وطنه. عرفوه كـ 'المسلم من أمريكا' وطرحوا عليه العديد من الأسئلة، فأجابهم بخطب ومواعظ مفيدة.

لقد انجذب مالكوم إكس بشدة إلى مشهد الطائفين حول الكعبة. وصفه بأنه مشهد لآلاف الحجاج المصلين من كلا الجنسين، ومن مختلف الأحجام والأشكال والألوان والأعراق في العالم. هذا المشهد ألهمه لكتابة 'رسائل من الخارج' الشهيرة—ثلاث رسائل، واحدة من السعودية، وأخرى من نيجيريا، وأخرى من غانا—والتي بدأت في إعادة تعريف فلسفته. كتب من السعودية في 20 أبريل 1964: "أمريكا بحاجة إلى فهم الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذي يمحو مشكلة العنصرية من مجتمعه".¹⁵¹ لاحقاً، اعترف بأن "الرجل الأبيض ليس شريراً بطبيعته، لكن المجتمع العنصري في أمريكا يدفعه للتصرف بشكل شرير".¹⁵²

7. نواب صديق حسن خان القنوجي - رحلة الصديق إلى بيت العتيق

الشيخ محمد صديق حسن خان وُلد في عام 1832م في ولاية أترابرديش بالهند. بعد وفاة والده وهو في السادسة من عمره، انتقل مع والدته إلى قنوج حيث بدأ تعليمه على يد شقيقه أحمد حسن أرشي، الذي كان قد تعلم من كبار العلماء في الهند. واصل صديق حسن خان تعليمه في فاروخاباد وكانبور ثم دلهي، حيث استفاد من علماء كبار مثل المحدث محمد صدر الدين خان. أصبح خبيراً في مختلف العلوم الإسلامية، وفي عام 1857م ألقى فتوى الجهاد ضد الحكم البريطاني خلال أول معركة لتحرير الهند، مما أدى إلى سجنه ونهب ممتلكاته.

¹⁴⁹ X, Malcolm. "The Autobiography of Malcolm X: As Told to Alex Haley." Alex Haley, Attallah Shabazz, Paperback, Reissue edition, Ballantine Books, November 1992.

¹⁵⁰ Ibid

¹⁵¹ Ibid

¹⁵² Ibid

في عام 1885م، ذهب صديق حسن خان لأداء الحج وكتب عن رحلته العلمية في مكة والمدينة في كتابيه 'رحلة الصديق إلى بيت العتيق' و'إتحاف النبلاء'. بعد زواجه من حاكمة بوبال، أصبح بمستوى رئيس الوزراء هناك، وسعى لنشر تعاليم الكتاب والسنة في مدارس بوبال. إلا أنه في 28 أغسطس 1885م، أُقيل من مناصبه بتهمة التحريض على الثورة ضد البريطانيين. توفي عام 1890م.¹⁵³

نواب صديق حسن خان القنوجي كان رحالة مولعاً بالعلم ومعرفة التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالدين الإسلامي، خاصة فيما يتعلق بمناسك الحج. في كتابه 'رحلة الصديق إلى البيت العتيق'، يذكر بإسهاب الشعائر الدينية المتعلقة بالحج مثل الإحرام والطواف والسعي، ويقدم تفسيرات للآيات والأحاديث التي ترتبط بهذه الشعائر. كان يعلق على الأحاديث، موضحاً صحة أو ضعفها، ومشيراً إلى اختلاف الآراء حولها. قدم صديق حسن خان في كتابه كمّاً هائلاً من المعلومات المفيدة للحجاج، مع ذكر آراء المذاهب المختلفة حول كل مناسك، مما جعل الكتاب مرجعاً شاملاً لمن يريد التعرف على مناسك الحج وأحكامها بشكل مفصل ومنظم.

بدأ رحلته من بهوبال في وسط الهند يوم 27 شعبان 1285هـ، وانطلق منها إلى ممبئي حيث استقل مركباً بحرياً متجهاً إلى ميناء جدة. واجه صعوبات خلال الرحلة البحرية، من هدوء الرياح إلى الأمراض التي عانى منها الركاب، إلا أن تلك الصعوبات لم تثنه عن تدوين ملاحظاته وكتاباته.

عند وصوله إلى الحديدة في 26 رمضان، أمضى ثمانية عشر يوماً هناك ثم تابع طريقه إلى جدة، وأحرم بالعمرة في مقابل يَلْمَم قبل وصوله إلى مكة. بعد أداء العمرة، عبر عن سعادته الكبيرة برؤية الكعبة المشرفة، وأدى شعائر الحج بترتيبها من الإفاضة إلى مزدلفة ثم منى ومكة. بعد أداء مناسك الحج، توجه إلى المدينة المنورة حيث زار المسجد النبوي الشريف وأقام هناك أسبوعاً، ثم عاد إلى مكة لأداء عمرة ثانية. غادر مكة بعد طواف الوداع، وعاد إلى ممبئي ثم إلى مدينته بهوبال بعد رحلة استغرقت ثمانية أشهر.

رغم أن استطراداته العلمية جاءت على حساب تفاصيل رحلته الشخصية، حيث لم يخصص لوصف رحلته إلا عشر صفحات فقط، إلا أن صديق حسن خان يظل مثلاً للرجل الذي يسعى دوماً إلى

¹⁵³ محمد صديق خان. (2023). سبتمبر 20). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 18:27، 15 أغسطس 2024

التحصيل العلمي واكتساب المعرفة. رغم قصر الوصف الذي خصه لمسار رحلته، إلا أن ما دونه صديق حسن خان في كتابه يتميز بأهمية علمية كبيرة، خاصة فيما يتعلق بمناسك الحج. يجدر بقراء هذا الكتاب أن يتأملوا في المعارف القيمة التي يحتويها، والتي تجعل منه مرجعاً يستحق القراءة المتأنية للاستفادة من لآلئه المعرفية المكنونة.¹⁵⁴

8. سي. إتش. محمد كويا – رحلتي للحج

شيربان كاندي محمد كويّا (15 يوليو 1927م - 28 سبتمبر 1983م) المعروف شعبياً باسم سي. إتش. محمد كويّا، كان سياسياً هندياً شغل منصب رئيس وزراء ولاية كيرالا الثامن. وُلد في عام 1927م في أثولي بشمال كيرالا. انخرط في السياسة في وقت مبكر خلال أيام دراسته الجامعية. انضم إلى صحيفة 'تشانديكا'، وهي الصحيفة الرسمية لرابطة المسلمين، كمدير تحرير في عام 1946م. خلال فترة تولي كويّا وزارة التعليم، دافع عن تقدم تعليم الفئات المتخلفة في شمال كيرالا وتم إنشاء جامعة كاليكوت. كما دعا إلى معايير أعلى في الكليات العربية.¹⁵⁵

كان سي. إتش. شخصية متعددة الجوانب، بدأت رحلته الأدبية في سن الثامنة والعشرين، وقادته مساعيه الفكرية إلى رئاسة جمعية صحف مالابار منذ أوائل الخمسينيات. امتدت مساهماته الأدبية إلى أنواع متنوعة، شملت كتب الرحلات مثل 'من لندن إلى القاهرة' (1961م)، 'ماليزيا كما رأيتها' (1965م)، 'خمسة أيام في سريلانكا' (1973م)، 'في الاتحاد السوفيتي' (1974م)، و'في دول الخليج' (1977م). شملت قائمة أعماله الأدبية أيضاً أعمالاً في التأمل الديني مثل 'رحلة حجي' (1960م)، بالإضافة إلى تحليلات سياسية مثل 'قواعد الجمعية' (1962م)، الذي كتبه خلال فترة عضويته في الجمعية التشريعية في كيرالا. ووسع سي. إتش. من اهتماماته الأكاديمية بتأليف كتاب 'الجمهورية الليبية' في عام 1982م، الذي استكشف فيه ليبيا، و'كاثانينين' في نفس العام، الذي تناول فيه تاريخ الحكم الإسلامي في الهند. نُشر

¹⁵⁴ حجازي، أيمن ياسين، دراسة عن رحلة الصديق إلى البيت العتيق، أبوظبي، 10-5-2006، موقع المسالك. تاريخ الوصول، 15 أغسطس

2024 من <http://www.almasalik.com/locationPassage.do?passageId=13856>

¹⁵⁵ Wikipedia contributors. "C. H. Mohammed Koya." Wikipedia, The Free Encyclopedia. Wikipedia, The Free Encyclopedia, 12 Aug. 2024. Web. 30 Aug. 2024.

تحليل مقارنة لكتب رحلات سي. إتش. مع أعمال الصحفي رحمن ثايلانغادي في عام 1982م، مما رسخ مكانة سي. إتش. كشخصية بارزة في أدب الرحلات الهندي.¹⁵⁶

بدأت استعدادات سي. إتش. محمد كويتًا للحج بإبلاغ زملائه عن نواياه، ثم طلب بركات ورضا والديه وقادة حزب الرابطة الإسلامية. ووفقًا للاحتياجات الصحية المتبعة بين الحجاج الهنود في ذلك الوقت، تلقى تطعيمات ضد الكوليرا والجديري. وفي الأول من أبريل عام 1959م، بدأ رحلته.

غادر سي. إتش. من كاليكوت وسافر بالقطار إلى بومباي، حيث استقل السفينة المتجهة إلى جدة. كانت الرحلة متميزة بحضور العديد من القادة السياسيين في مجموعة الحجاج، مما أدى إلى استقبالهم بحفاوة في محطات القطار المختلفة على طول الطريق. وبعد وصولهم إلى مدراس في اليوم التالي، استقبلتهم جموع من المسلمين التاميل، حيث ترددت في محطة القطار أصوات التكبير. واستمر الفريق في رحلتهم إلى بومباي بالقطار في 3 أبريل، حيث استقبلهم المسلمون المالاباريون المقيمون في أجزاء مختلفة من الهند في عدة محطات على طول الطريق.

في بومباي، أقام الفريق في مسافرخانة محمد حاجي سابو صديقي في لاغانسارا، وهي مكان إقامة معروف للحجاج الهنود. كانت المسافرخانة، التي تحمل اسم محسن معروف، شهادة على كرمه، حيث قدمت للحجاج العديد من الخدمات، بما في ذلك مكاتب شركة الشحن التي نقلتهم إلى السعودية. وخلال موسم الحج، افتتح السكك الحديدية مكتبًا هناك، وتم إنشاء مركز صحي للعناية بالحجاج.

بدأت رحلة الحج رسميًا في 12 أبريل 1959م من ميناء مومباي. تم تعيين محمد كويتًا كقائد الحج لـ 999 راكبًا على متن السفينة. تميزت قيادته بالتعاطف، حيث كان يقوم بزيارات منتظمة للركاب في كبائنهم ويعتني بالمرضى. وفي حالة حدوث وفاة على متن السفينة، كان يشرف على أداء صلاة الجنازة قبل أن يتم وضع الجثمان في البحر باحترام. وكان الركاب على متن السفينة ينتظرون بفارغ الصبر الوصول إلى ميقات يللم، النقطة المحددة للإحرام. وقبل ساعة من الوصول إلى الميقات، تم إطلاق صافرة تنبيه الحجاج للاغتسال وارتداء ملابس الإحرام، إيدانًا ببدء مناسك الحج.

¹⁵⁶ Kerala Media Academy, Muhammed Koya C. H, 31 August 2024, <http://keralamediaacademy.org/archives/?q=content/muhammed-koya-c-h>

عند الوصول إلى ميناء جدة، سافر الفريق إلى مكة تحت قيادة ك. عمر مولوي. ووصف محمد كويًا الاستقبال الحار الذي تلقوه من السكان المحليين وغيرهم، بالإضافة إلى مرافق الإقامة التي تم توفيرها لهم. وبعد أداء العمرة وقضاء عدة أيام في مكة، شرع الفريق في الجزء التالي من رحلتهم إلى المدينة المنورة.

في 28 أبريل، سافروا بالحافلة إلى المدينة المنورة، وتوقفوا في بدر لزيارة قبور شهداء غزوة بدر. وصل الفريق إلى المدينة المنورة عند المغرب، حيث استقبلهم المسؤول عنهم، سعيد عبد الله بفاقي. أقاموا في مبنى قريب من المسجد النبوي. وفي اليوم التالي، زار محمد كويًا مع بعض أصدقائه المقربين مواقع تاريخية مختلفة في المدينة المنورة. وبارشاد من مليالي يدعى علوي حاجي، الذي كان يقيم في المدينة المنورة لعدة سنوات، زاروا مسجد قباء، ومسجد القبلتين، وموقع غزوة الخندق، وجبل أحد. وبعد إقامتهم في المدينة المنورة، عاد الفريق إلى مكة، ودخلوا في حالة الإحرام في ذي الحليفة لأداء مناسك الحج.

يتابع محمد كويًا في سرد تجربته في الحج بتفاصيل عن مناسك الحج نفسها. وبعد إتمام مناسك الحج، عاد الفريق إلى جدة بالحافلة في 28 يونيو. استقلوا السفينة 'رضوانية' في رحلتهم للعودة إلى بومباي. قاد محمد كويًا المجموعة مرة أخرى، مؤكدًا على سلامة جميع الركاب. وصلت السفينة إلى بومباي في 8 يوليو، واستأنف الفريق رحلتهم بسرعة بالقطار إلى مدراس ثم إلى مالابار. أخيرًا، عاد محمد كويًا إلى منزله في 12 يوليو.

الفصل الرابع

أسلوب أدب الرحلات الحجازية

مفهوم الأساليب في أدب الرحلات الحجازية

وتحتل الرحلة مكانة فريدة في الأدب العربي، متميزة عن الأشكال الأدبية الأخرى ولكنها تتناغم معها في وقت واحد. ويعتبر نوعاً متميزاً من الأدب، وهو فن الخطاب الأدبي الذي يجمع بسلاسة عناصر من رواية القصص والدراما والمقالات الأدبية. ومع ذلك، لا يلتزم هذا النوع بشكل صارم بالمعايير المحددة مسبقاً التي وضعها الكتاب والنقاد، الذين يجب عليهم التنقل في هذا المجال الفني من خلال إرشادات محددة.

وعلى عكس الدور الواسع الذي يلعبه الخيال في صياغة القصص والروايات، فإن وظيفته في أدب الرحلات تنحصر في تجميل المشاهد والأحداث وليس اختراعها أو تشويهها. وبالتالي فإن دور الخيال في أدب الرحلات محدود ولكنه مهم، ويحمل أهمية وخطورة عندما ينحرف عن الحقيقة، سواء كان ذلك في الأحداث أو المشاهد. ومع ذلك، فقد نجح الرحالة في تسخير الخيال ضمن معايير هذا الفن الأدبي.

في رحلاتهم، يواجه المسافرون حتماً نسيجاً من المشاهد والأحداث، التي يسجلونها وينقلونها بإخلاص. بعد ذلك، يقوم هؤلاء المسافرون بتحويل تجاربهم إلى صور حية، باستخدام قماش الصورة لتقديم المناظر الطبيعية والشكل السردى لإعادة سرد اللقاءات الشخصية أو الأحداث التي شهدوها. يستخدم المسافرون، بغض النظر عن هوياتهم، الخيال بمهارة لتعزيز جوهر رواياتهم مع احترام حدود الحقيقة في عالم أدب الرحلات.

وانطلاقاً من هذا فإن كثيراً من الرحالة قد اشتركوا في الاستعانة بالصورة أداة فنية تساهم في نقل المشاهد، والحوادث، وقد أفادوا منها سواء على الطريقة البلاغية المعتمدة على التشبيه والمجاز والكناية أو كانت وصفية سردية لا تعتمد على الألوان البلاغية.¹⁵⁷

¹⁵⁷ اسماعيل، حامد محمود، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، نادي أمها الأدبي، 2000، ص/ 127.

مثل أدب الرحلة لونا أدبيا له بواعثه وأهدافه وخصائصه، وله أدوات فنية، ورؤاه المضمونية. وكل ذلك يشكل مع كل رحلة أدبية، وفق غاياتها ومهارات صاحبها في الملاحظة والتسجيل. يقول صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: "إن أدب الرحلات مجموعة من الآثار الأدبية التي تناول إنطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة. وقد يقدم فيها تسجيل دقيق لما يراه من عادات وأخلاق ووصف للمناظر الطبيعية التي يشاهدها. ويسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آنٍ واحد".¹⁵⁸ "وعلى المستوى الفني فإن أدب الرحلة يجمع بعض خصائص القصة والرواية والسيرة الذاتية ويفيد من أدوات فنية مهمة كالقصة والصورة، فيمثل لونا أدبيا فريدا"¹⁵⁹

تعرض الرحلات في موادها من الأساليب ترفع بها إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني برغم أن أدب الرحلة يتسم من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الوصف وإلى الحوار وغيره ومن أبرز ميزاته أنه يعتمد على السرد المشوق بما يقدمه متعة ذهنية كبرى.¹⁶⁰ يقول شوقي ضيف عن أدب الرحلة "خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة."¹⁶¹

وأدب الرحلات يتميز بوضوح الحس القصصي في سرد الأحداث واختيارها والقدرة على جذب انتباه القارئ وحسن ختام كل موقف بشكل ممتع ومثير كما فسر د. حسين نصار: "إن الرحلة الأدبية إذا لم تكن رواية ولا قصة بالمعنى الدقيق فإنما هي أخت شقيقة لهما"¹⁶²

في كتابة الرحلات، تكون ملاحظة المسافر حاضرة دائماً في الأسلوب السردى. وهذا يسلط الضوء على الطبيعة الذاتية للسرد، مع التعبير عن الأحكام الجمالية أو الأخلاقية أو السياسية للمراقب في تصوير الأماكن والأشخاص والمناظر الطبيعية.

تعتبر التسميات التوضيحية عناصر حاسمة لجذب انتباه القارئ وتشجيعهم على قراءة الفقرة الافتتاحية. غالباً ما يتم استخلاص هذه التسميات التوضيحية من كتيبات إرشادية أو قصائد أو روايات مشهورة، مما يساهم في زيادة جاذبية أدب الرحلات بشكل عام.

¹⁵⁸ مجدى وهبة - كامل المهندي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط / 2، 1948م، ص/ 16

¹⁵⁹ آل حمادي، عبدا الله بن أحمد بن حامد إشراف، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في الأدب تحت إشراف الأستاذ الدكتور / محمد صالح جمال بدوي، ص/ 9

¹⁶⁰ حسين، د. حسيني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس - بيروت - لبنان، ط: 2، 1983م، ص/ 9

¹⁶¹ ضيف، شوقي، الرحلات، دارالمعارف - القاهرة، ط: 4، ص/ 6

¹⁶² نصار، د. حسين، أدب الرحلة، مكتبة لبنان، 1991، ص/ 132

سرد الرحلة هو بضمير المتكلم. قد ينجح السرد بضمير الغائب في بعض الأحيان، لكن القراء يريدون حقاً معرفة تجارب المؤلف. تسمح تقنية السرد بضمير المتكلم للمؤلف بالتحدث مباشرة مع القراء. أكبر ميزة للسرد بضمير المتكلم هي توفير هوية واضحة للنص. يستطيع المؤلف إيصال أفكاره والرحلة بأكملها بصوت الراوي. فهو يعطي هوية واضحة للنص ويغمر القراء. يمكن للمؤلف أيضاً إخفاء العروض داخل تيار الوعي وتحويلها إلى تأملات وأفكار. يمكن أن تكون تقنية السرد بضمير المتكلم غامرة في الطبيعة. كشف علم الأعصاب أن القشرة الحركية الأولية للقراء تنشط بقوة أكبر عند قراءة أفعال الحركة بصيغة المتكلم مقارنة بصيغة الغائب.

أفضل لغة يمكن استخدامها عند الكتابة عن الرحلة هي لغة بسيطة ومباشرة ومفهومة. إن بساطة اللغة ووضوحها يجذب القراء ويساعدهم على الفهم الجيد. أدب الرحلات هو وصف صادق للفرد وعادةً ما يُقال في الماضي. تظهر الرسائل المكتوبة بوضوح الاحترام والتقدير للقراء. كتابة الرحلة ليست كتابة أكاديمية لمتابعة التنسيقات أو الإجراءات. عادة ما تصف مذكرات الرحلات الأماكن من قبل الأشخاص، وهي تأتي تحت الشكل الوصفي، وبالتالي فإن كتابة الرحلة هي كتابة إبداعية. حتى الأفكار المتعلقة بوصف مكان ما يمكن أن تكون معقدة، ولكن الكلمات يمكن أن تكون بمثابة أدوات هنا، ويمكن وصف التعقيد باستخدام كلمات بسيطة.

على الرغم من أن كتابة الرحلات هي شكل من أشكال التعبير الإبداعي بطبيعتها، إلا أنها تميز نفسها عن الروايات أو القصائد من خلال كونها بمثابة اندماج عملي لمعرفة المؤلف. إنه يتجاوز مجالات الخيال، ويقدم للقراء مزيجاً من رؤى المؤلف العملية وعواطفه وتجاربه المباشرة في الوجهات السياحية. من خلال أدب الرحلات، لا يصف المؤلف تعقيدات المكان فحسب، بل ينقل أيضاً المعرفة العملية، مما يسمح للقراء بالتعلم وإثارة فضولهم حول الوجهة. إن التقارب بين الرؤية والكتابة في أدب الرحلات ليس مسعى سلبياً ثنائي الأبعاد؛ بدلاً من ذلك، فهو يمثل الإجراءات التأملية والرسوم المتحركة. على مر التاريخ، شارك المسافرون في هذه الأفعال لتشكيل وإعادة تشكيل العالم من حولهم. من خلال دمج المعلومات الأساسية، يقوم مؤلفو الرحلة بتزويد القراء بالرؤى اللازمة للقيام بزيارة ناجحة، وتمكينهم من التنقل في الوجهات بنفس الخبرة التي يتمتع بها المؤلفون.

من قصص الأصل إلى الحكايات الشعبية إلى الأساطير الخارقة للطبيعة، جعل السرد الجيد القصص والحقائق الحقيقية تنتقل من جيل إلى جيل. إن الحفاظ على التسلسل الزمني للسرد، وتوزيع النصائح

العملية طوال الوقت، وتلخيص النصائح القابلة للتنفيذ والمعلومات المهمة، يسمح للقراء بالبقاء على المسار الصحيح أثناء القراءة.

الصورة الفنية في أدب الرحلات الحجازية

تقف الصورة الفنية كعنصر حاسم في الشعر والنثر. إنها طريقة للكتاب لربط الأشياء المختلفة بشكل إبداعي وتقديمها في صورة جميلة، مما يثير خيال القارئ ويدعوه للاستمتاع والدهشة. على الرغم من تباين المفاهيم المحيطة بمصطلح 'صورة' وتضاربها أحياناً، إلا أن الباحث عند الخوض في فهمه قد يجده معقداً بعض الشيء. يرى البعض أن النثر، على عكس الشعر، لا يعتمد بشكل كبير على الإدراك المجازي. لكن هذا لا يمنع الباحث من استكشاف الصور الأنسبة التي تظهر ثراء النثر الأدبي، خاصة في أدب الرحلات. في هذا النوع، يوظف الرحالة الأدبي الخيال بمهارة لتصوير مشاهد ذات لمسات خيالية ذاتية، يظل صادقاً مع الواقع دون تشويهه.

عندما نتحدث عن الرحلات الحجازية، من المهم تسليط الضوء على القدرات الفريدة لمختلف الرحالة في استخدام الصور الأدبية في كتابات رحلاتهم. وهذه الرحلات، مثل رحلات ابن جبير وابن بطوطة والعبدري وابن رشيد وغيرهم، تشكل أمثلة ممتازة في الأدب العربي. إن التنوع في أساليب كتابة الرحلات واتساع مجالات إنتاجها له مميزاته، مما يعكس ثراء الإنتاج الأدبي للعصر. ظهرت أنواع مختلفة من كتابة الرحلات، وذلك بفضل رغبة العلماء والكتاب اللاحقين في تسجيل تجاربهم وتقديمها. يتضمن ذلك وصفاً تفصيلياً وسرداً مثيراً وتصويراً شاملاً لمراحل الرحلة، سواء كانت رحلة طويلة لمناسك الحج أو بعثات سفارة إلى الدول المجاورة، أو رحلات أقصر داخل الوطن. وعلى الرغم من اختلاف أشكالها وأحجامها، فإن جوهر الرحلة الحجازي يظل مرتبطاً بثوابت معينة، مما يمنحها هوية فريدة ويسمح لها بالاعتراف بها كجزء من هذه الفئة المتميزة، بغض النظر عن اختلاف الأزمنة والاهتمامات وأساليب الكتابة.

استخدم المسافرون أساليب مختلفة لتوثيق رحلاتهم، فاختاروا أساليب السرد أو رواية القصص أو التقارير الإخبارية. كانت بعض الرحلات أدبية وعلمية، في حين تم نقل بعضها الآخر باللغة المحلية. على الرغم من هذه الأساليب المتنوعة، ظل الهدف الأساسي ثابتاً - وهو مشاركة المعلومات بشكل فعال حول البلد الذي تمت زيارته بطريقة جذابة، باستخدام أوصاف حية وصور أسرة لإبقاء القارئ مفتوناً. وتندرج هذه الرحلات ضمن فئة الرحلات الوصفية حيث ينصب تركيزها على تفصيل وتسجيل أحداث الرحلة. على الرغم من أن القدرة على الوصف تختلف بين المسافرين، إلا أن القاسم المشترك كان التركيز على

الأحداث الرئيسية التي شكلت أساس الرحلة. وهذا التركيز على الأحداث الأساسية أعطى هذه الأوصاف صفة متميزة، تستحوذ على جوهر الرحلة.

وتبدأ عملية الوصف بأخذ هذه الأحداث في أشكالها التالية:¹⁶³

(1) وصف الاستعداد للرحيل، بما فيه وصف حالة الشوق للذهاب إلى الحج، وخطوره على النفس، وإلحاحه في قرار الرحيل، والحسم فيه. فتبدأ عملية تيسير الأسباب بتبريء زاد السفر، والبحث على الرفقة، وإعداد العدة للسفر بما تلزمه الطريق من مركوب، وأموال، وحماية واستعداد نفسي وبدني. ثم يعقب بعد كل هذا لحظة السفر، وبداية الرحلة، وتوديع الأهل والأصحاب.

(2) وصف مراحل الرحلة وذكر مميزاتها. ويقوم فيها الحديث، إن كان السفر في البر، بذكر المسالك ووعورتها، والطريق وأحوالها، وأماكن النزول والمبيت ومميزاتها، ومظان الحاجة من الماء والأزواد وخصوصيتها، وإن كان السفر في البحر، بذكر المراسي التي يتم النزول بها، والظروف التي تهيأت للوصول إليها أو الإقلاع منها، والبحث عن المراكب التي هي مهيأة للسفر، وكيفية الركوب بها، والمعاملة التي يلقاها الراكب فيها.

(3) وصف حالة الراحلين أثناء السفر، إما في البحر بالحديث عن المركب ونمط الحياة فيه، وظروف السفر في البحر والجماعة المسافرة على متنه. وإما في البر، بذكر الركب وأميره ونظامه، وحالته في السير والإقامة، وفي الحراسة والحماية وفي النزول والمبيت، وتأدية الصلوات وغير ذلك مما يتميز به سير الركب المغربي، إن كان بمفرده، أو بصحبة الركب المصري الذي يترافق معه دائما في الطريق من مصر إلى الحجاز ذهابا، ومن الحجاز إلى مصر إيابا.

(4) وصف الحوادث الجارية أثناء الطريق، مما يمكن أن يكون عاديا في حياة جماعة من الناس من حدوث مرض أو وفاة، أو البحث عن تائه، وغير ذلك. ومما يمكن أن تحمله الظروف الطارئة من غزارة أمطار، وجريان أنهار واعتراض قطاع طريق، وسرقة متاع وغير ذلك من العوائق التي يصعب معها سير الرحلة، ومتابعة قطع المراحل. هذا إن كان السفر براً، وإن كان في البحر أيضا بما تأتي به الظروف الطارئة من فزع القرصان الذي تحمله صدفة اللقاء، فيهدد بالاستيلاء على

¹⁶³ باد شاه، حافظ محمد، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة، تحت الإشراف د. كفاية الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، 2013، ص/347-348

المركب واستعباد أصحابه، ومن هول البحر وهيجان أمواجه وعواصف رياحه، مما يمكن أن يكون امتحانا عسيراً للراجلين في البحر. ثم ما يعقب بعد كل هذا من مضايقات تفتيش الناس والأمتعة، ومصادرتها، والمطالبة بدفع المكوس والأعشار عليها في بعض المراسي البحرية، كمرسى الإسكندرية وغيرها. كرحلة ابن جبير وصديق حسن خان وغيرهم من الرحالين.

وصف المجتمعات التي يتم المرور بها، والعمائر التي تؤدي إليها مراحل الرحلة، ومسالك طرقها، حاضرة أو بادية. وخلالها يتم التعرف على القرى والثغور والحواضر، ووصف عمارتها وحصانها. ويتم التعرف أيضا على أهل هذه العمائر، وعاداتها، ومواقفها، وتعاملها مع ركب الحاج المار بها، وغير ذلك. وقد تنتقد بعض عاداتها إذا كانت لا تتناسب مع ما يتطلبه أن تكون عليه صورة المجتمع الإسلامي المتزن. وقد تحدث كثير من الرحالين عن وصف المجتمعات بالتفصيل.

الصورة القصصية في أدب الرحلات الحجازية

إن وجود نزعة سردية في أدب الرحلات هو أمر جوهري في الرحلة نفسها. من الطبيعي أن تلهم الأحداث والمواقف التي تتم مواجهتها أثناء الرحلات المسافرين لالتقاط هذه التجارب بأسلوب سردي، غالباً ما يكون مليئاً بالإثارة والتشويق. الرحلة، بطبيعتها، تجسد قصة. حتى لو كانت تفتقر إلى بعض خصائص القصة النموذجية، فإنها تحتفظ بجوهر فريد من نوعه في السرد فهي تظل على حد تعبير أحد الرحالة: "قصة ارتحال تظل لها حلاوة القصة وإن لم يكن لها طابعها".

لقد نجح العديد من المسافرين في عرض المواقف والحوادث بأسلوب سرد قصصي يتميز بصدقه. في هذه الروايات، يلعب الخيال دوراً بسيطاً في خلق الشخصيات أو الأحداث؛ وبدلاً من ذلك، ينصب تركيزها على اختيار الأساليب والأساليب المناسبة لسرد القصص الفعال.

ويساهم هذا الاتجاه السردية بشكل كبير في ثراء أدب الرحلات، في الماضي والحاضر. يكمن نجاح المسافر في قدرته على التعامل بشكل مباشر مع المواقف والتنقل خلالها أثناء رحلته. بفضل البراعة الأدبية، يمكنهم تعزيز أعمالهم المتعلقة بالسفر من خلال تقديم الأحداث مع الاستثمار الفني. إن تحقيق التوازن بين الالتزام بالواقع وتجنب التلفيق أو الارتباك أمر بالغ الأهمية.

وعلى الرغم من هذا الالتزام بالواقع، يتمتع المسافرون بالمرونة للتدخل بشكل مباشر، وإضافة وجهة نظرهم الشخصية، سواء كانت مشاعر الحزن أو الفكاهة. لا يؤدي هذا التدخل إلى المساس بمصداقية حساباتهم، بل يزود القراء بمجموعة متنوعة من المشاعر والخبرات.

الجانب الأكثر بروزاً في أدب الرحلات هو تنوعه الأسلوبي، بدءاً من السرد السردي إلى الأوصاف. ويبرز أسلوب السرد، الذي يتميز بالسرد القصصي المثير، بشكل بارز. ويعتبر الدكتور شوقي ضيف أدب الرحلات عند العرب بمثابة رد قوي على الاتهامات بالنقص في فن الحكاية داخل الأدب العربي. يأسر هذا النوع القراء بقصص عن الثقافات الأفريقية، وحموريات البحر، والحجاج الهنود، وأكلة لحوم البشر، والحرفيين الصينيين، وسكان نهر الفولغا، ومجوزيون، والمجتمعات البدائية والمتطورة. يجمع هذا الأسلوب السردى بين الحقيقة والخيال بسلاسة، مما يوفر للقراء تجربة قراءة ديناميكية وممتعة.¹⁶⁴

يستخدم المسافرون والجغرافيون طريقة مثيرة للاهتمام في وصف عوالمهم والبيئات المحيطة بهم. غالباً ما يركز تركيزهم على العادات وشخصيات الناس والآثار وعجائب الأراضي والأساطير والأساطير في المناطق التي يستكشفونها. إن كتب السفر السردية هذه، مثل رحلة ابن جبير أو مغامرات ابن بطوطة، تغمر القراء في قصص أسرة تضيف متعة إلى تجربة القراءة.

التعبيرات الموضوعية في أدب الرحلات الحجازية

لقد مارست كتابة الرحلة جاذبية قوية للقراء على مر العصور. غالباً ما كانت مغامرات المستكشفين والرحالة توفر ملجأً خيالياً من القيود اليومية وتمنح القراء إمكانية الوصول إلى أماكن بعيدة وغريبة. ولذلك يبدو أن كتابة الرحلات تفتح فجوة مكانية وزمانية بين المواقع والثقافات واللغات المختلفة. ونتيجة لذلك، يضطر القراء إلى اعتماد معايير تفسيرية مختلفة باستمرار. كتابة الرحلة نفسها تتحدى أي تصنيف سهل. ولا يمكن تصنيفها بسهولة تحت نوع أدبي واحد، ولا يمكن أن تعزى إلى تصنيف أيديولوجي أو علمي موحد. إنه يغير الأشكال واللغات وفقاً للسياق الثقافي والعالم الذي يصفه. وهكذا ظهرت بين النقاد دراسات حول موضوعات أنواع مختلفة من رحلات الرحلات، وبدأوا بنشر آرائهم في ذلك.¹⁶⁵

¹⁶⁴ ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص/6

¹⁶⁵ Antosa, Silvia, Fogli di Anglistica: Rivista di Studi Inglesi, anno II n. 3-4, 2008, pp. 55-66, 2008

تشير التعبيرات الموضوعية في أدب الرحلة إلى الأفكار أو المفاهيم أو العناصر المتكررة التي يستكشفها المؤلفون في كتاباتهم عن تجارب الرحلة. تساعد هذه المواضيع في نقل جوهر الرحلة، وتشكيل فهم القارئ لمكان معين، أو ثقافة معينة، أو عملية الرحلة نفسها.

ترتبط موضوعات أدب الحج بطبيعتها بالدين بسبب الطبيعة الروحية والمقدسة للحج. تركز كتب أدب الرحلات الحج على الأهمية الدينية للحج ودوره في تحقيق أحد أركان الإسلام الخمسة. كما أنه يعكس الشعور بالإخلاص والتقوى والإشباع الروحي الذي يتم الشعور به أثناء الحج. بشكل عام، تقدم هذه الروايات لمحة عميقة عن الجوانب الدينية والتحويلية للحج، وتصوره على أنه ممارسة إسلامية أساسية غنية بالعمق التاريخي والروحي.

تسلط روايات الحج الضوء على تجربة الحج المعاصرة وتعمق في الأسس التاريخية والدينية للحج، وتقيم روابط مع التاريخ الإسلامي. تقدم هذه الروايات إشارات ثاقبة للنبي إبراهيم وعائلته، وترسيخ الحج في الجذور القديمة للإسلام. بالإضافة إلى ذلك، غالبًا ما تربط قصص الرحلات خاتم الأنبياء محمد ﷺ والمجتمعات المحيطة به، مما يوفر سياقًا تاريخيًا يثري فهم الحج. من خلال تشابك تجارب الحجاج المعاصرين مع الروايات المقدسة للماضي، تخلق قصص الرحلات هذه استمرارية سلسلة، مع التركيز على الأهمية الدائمة للحج كممارسة روحية متجذرة بعمق في النسيج التاريخي للإسلام.

توضح كتب رحلات الحج كيف يستكشف الحجاج مختلف الطقوس والمراسم المرتبطة بالحج، بما في ذلك الطواف والسعي ورجم الشيطان في منى، مما يعكس المعنى الرمزي والأهمية الروحية لهذه الأعمال. تصف هذه روايات الرحلات الحج تفاصيل التفاعلات مع الحجاج من خلفيات ثقافية مختلفة، وتسلط الضوء على تنوع المجتمع الإسلامي العالمي وتستكشف تبادل العادات والتقاليد واللغات التي تحدث أثناء الحج.

أدب الرحلات الحج تصف بتفصيل تفاعلات الحجاج مع زملائهم من خلفيات ثقافية متنوعة، مسلطة الضوء على تنوع الجالية الإسلامية العالمية واستكشاف تبادل العادات والتقاليد واللغات الذي يحدث خلال الحج. تقدم هذه الرحلة وصفاً حياً للتفاعلات التي يخوضها الحجاج مع زملائهم في الرحلة الدينية، حيث تبرز التنوع الغني الذي يحتضنه المجتمع الإسلامي العالمي، مظهرة التنوع الذي يظهر بين الأفراد الذين يخوضون رحلة الحج المقدسة. تستكشف السير تبادل العادات والتقاليد واللغات، حيث يحمل الحجاج من مختلف أنحاء العالم عناصر ثقافية فريدة تسهم في إيجاد جو دينامي وحيوي خلال الحج.

تأخذ الرحلة في وصف روح الوحدة والاحترام المتبادل بين الحجاج، تجاوزاً للاختلافات الثقافية واللغوية. من خلال استكشاف التفاعلات المتعددة خلال الحج، تؤكد هذه الرحلة على الترابط فيما بين أفراد الأمة الإسلامية العالمية، مؤكدة أن الحج ليس فقط تجربة مشتركة تعزز التبادل الثقافي والتفاهم بين مجتمعات متنوعة داخل الإيمان الإسلامي.

تشرح هذه روايات أيضاً عن الحجاج العائدين وما يظهرونه في كثير من الأحيان من نظرة متغيرة للحياة، تتميز بمنظور متجدد للأولويات والقيم والارتباط العميق بهدف أسمى، يلخص التأثير الدائم لحج الحج على هويات الأفراد ويعيش.

تندرج قصص رحلات الحج بشكل معقد روايات عن النمو الشخصي العميق، والتأمل الذاتي، والإيمان العميق الناشئ عن تجربة الحج التحويلية. تصور هذه الروايات بوضوح رحلة الحجاج إلى ما هو أبعد من مجرد الطقوس، وتصور التحديات التي يواجهونها، وبناء القدرة على الصمود، والوعي الذاتي المتزايد الذي تم تحقيقه. إن مناسك الحج، التي يرمز إليها بأعمال مثل الطواف ورجم الشيطان، لا يتم تصويرها على أنها واجبات دينية فحسب، بل كمنشطات لصحة روحية مكثفة. تعزز تجربة الحج المشتركة الشعور بالوحدة التي تتجاوز الحدود الثقافية، وتشكل هوية جماعية داخل المجتمع الإسلامي العالمي. غالباً ما يُظهر الحجاج العائدون نظرة متغيرة للحياة، تتميز بمنظور متجدد للأولويات والقيم، وارتباط كبير بهدف أسمى، يلخص التأثير الدائم للحج على هويات الأفراد وحياتهم.

الخلاصة التعبيرات الموضوعية في كتب الرحلات الحجازية تتكون الرغبة في أداء الحج، السعادة عند الحصول على فرصة أداء الحج، الاستعداد العاطفي للسفر إلى الحجاز، أفكار حول أداء الحج أثناء السفر، التعبيرات المبكرة عند رؤية الأماكن المقدسة لأول مرة، المشاعر أثناء استكشاف الأماكن المقدسة، والعواطف أثناء رحلة المغادرة والعودة وعند الوصول إلى أرض الولادة.

الباب الرابع: محمد حسين هيكل؛ الرحال البارز

الفصل الأول: حياة محمد حسين هيكل

- ولادته ونسبه
- طفولته وتعليمه
- مشاركته في السياسة

الفصل الثاني: محمد حسين هيكل في دور الأدب

- هيكل القصاص
- هيكل الروائي
- هيكل الناقد الأدبي
- هيكل الصحفي
- هيكل كاتب سيرة ذاتية
- أهم إنتاجاته الأدبية

الفصل الثالث: مؤلفات هيكل في أدب الرحلات

- أدب الرحلة عند محمد حسين هيكل
- عشرة أيام في السودان
- الشرق والغرب
- ولدي
- مذكرات الشباب
- في منزل الوحي
- خلاصة الرحلة
- منهج الكتاب

الفصل الأول

حياة محمد حسين هيكل

ولادته ونسبه

ولد محمد حسين هيكل في قرية كفر غنام بمحافظة الدقهلية بمصر عام 1888م لعائلة مصرية عريقة. نشأ هيكل في كنف عائلة محترمة، اشتهرت بالنزاهة والعمل الجاد والقيادة الحكيمة. وكان والده، حسين أفندي سليم هيكل، شخصية بارزة في المنطقة، حيث شغل منصب الزعيم الدائري للقبيلة. على الرغم من نشأته الريفية، حظيت عائلة هيكل بثقافة واسعة واهتمام بالتعليم الحديث والتكنولوجيا.¹⁶⁶

طفولته وتعليمه

ولد محمد حسين هيكل ونشأ في قرية مصرية، حيث وجد بيئة غنية بالتجارب المتنوعة وأجواء حميمية صديقة للبيئة. فكان يعمل في الحقل مع والديه وكبار السن، مستمتعًا بتعلم مهارات العمل الجاد والتعاون. وفي المساء، كان يلعب مع أصدقائه ورفاقه، منغمسًا في صداقات بريئة مليئة بالمرح. كما كان يجد متعة غامرة في تأمل جمال الطبيعة الخلابة في ريف مصر، مُستلهمًا من بساطتها وعذوبتها. وعلاوة على ذلك، كان يقضي أوقات فراغه في قراءة الصحف ومجلات الأطفال، شغوفًا بالاطلاع واكتشاف المعرفة. وهكذا، أصبحت القراءة عادة راسخة لدى محمد حسين هيكل منذ أيامه الأولى، مُمهدةً الطريق لشغفه الأدبي واهتمامه الدائم بالكتابة.

كان والدا محمد حسين هيكل يُكَنِّان طموحًا عظيمًا لتوفير تعليم رفيع المستوى لابنهما، مُدركين أهمية المعرفة في صقل شخصيته وإعداده لمستقبل باهر. ولذلك، حرصا على اختيار مسار تعليمي متميز يناسب قدراته واحتياجاته. وبدأ تعليمه المبكر في المنزل، مثلما كان شائعًا في ذلك الوقت، حيث تولّى والداه مسؤولية تعليمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وفي سن السابعة، التحق بمدرسة الشيخ إبراهيم جاد، وهي مدرسة مكتبية في القرية، حيث واصل تعلّم أساسيات اللغة العربية والعلوم الدينية إلى جانب حفظه لثلث القرآن الكريم. وبعد ذلك، انتقل إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة الجمالية الابتدائية، ومن ثم مدرسة الخديوي الثانوية، فأظهر تفوقًا أكاديميًا لافتًا خلال مسيرته التعليمية. في البداية، رغب

¹⁶⁶ ضيف. شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط:13. مصر، دار المعارف، ص/270.

والده في إرساله إلى إنجلترا لدراسة الهندسة، لكن ظروفًا عائلية اضطرتهم لإعادة التفكير. وأثناء ذلك، زارهم المفكر والسياسي المصري البارز أحمد لطفي السيد¹⁶⁷. اقترح السيد دراسة القانون بدلاً من الهندسة، مؤمنًا بأنها ستتيح لمحمد فرصًا أوسع لخدمة وطنه.

نتيجة لهذا القرار، حصل محمد حسين هيكل على درجة البكالوريوس في الحقوق عام 1908م. ثم نال شرف الحصول على درجة الدكتوراه في القانون عام 1909م. وبعد ذلك، أرسله والده إلى باريس عام 1911م بمنحة حكومية لمتابعة دراساته العليا. وهناك، التحق بجامعة السوربون العريقة، حيث حصل على درجة الدكتوراه عام 1912م. حصل هيكل على هذه الدرجة العلمية العالية من فرنسا عام 1912م، وقد حملت رسالته الدكتوراة بعنوان: دين مصر العام (La Dette Publique Egyptien)، وقد تناول فيها قضية الديون التي استدانها مصر في أثناء حفر قناة السويس، والتي كانت سببًا مباشرًا للتدخل الأوروبي في شؤون مصر السياسية والاقتصادية.¹⁶⁸

عاد هيكل إلى مصر في أغسطس 1912م، وبدأ حياته المهنية كمحامي بمدينة المنصورة. ومنذ عام 1917م فصاعدًا، ألقى بعض المحاضرات في الجامعة الوطنية المصرية. وفي عام 1922م، شغل منصب رئيس تحرير مجلة "السياسة" الشهيرة، مما فتح حقبة جديدة في حياته المهنية ودفعه إلى العمل كصحفي مرموق. إلا أنه ترك مهنة الصحافة عام 1937م، حيث تم تعيينه وزيراً للدولة بوزارة الداخلية في حكومة محمد محمود الثانية في 31 ديسمبر 1937م. ثم تقلد منصب وزير المعارف، حيث أحدث ثورة في النظام التعليمي من خلال إدخال اللامركزية، وإنشاء المناطق التعليمية، وتحديد المبادئ التوجيهية لسياسة وزارة التربية والتعليم، والتي ركزت على توسيع التعليم الابتدائي والأكاديمي، وجعل البرامج والمناهج ذات توجه وطني.

وبفضل كفاءته القانونية الاستثنائية، شغل هيكل منصب رئيس مجلس الشيوخ ومشرفًا للولاية. كما ترأس وفد مصر إلى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة والاتحاد البرلماني الدولي، مُثبتًا مهاراته الدبلوماسية الفذة.

¹⁶⁷ أحمد لطفي السيد (ولد في 15 يناير 1872 ب برقين، مصر - وتوفي في 5 مارس 1963، مصر) كان صحفيًا ومحاميًا، وناطقًا بارزًا باسم الحداثة المصرية في النصف الأول من القرن العشرين. شغل خلال مسيرته المهنية العديد من المناصب السياسية وغير السياسية، بما في ذلك عدة وظائف أكاديمية.

¹⁶⁸ وادي، طه (1996م)، هيكل رائد الرواية السيرة والتراث، ط 2. القاهرة: دار النشر للجامعات، ص/68.

مشاركته في السياسة

انخرط محمد حسين هيكل، وهو شخصية بارزة في السياسة المصرية، في العمل السياسي في وقت مبكر من حياته. نشأ هيكل في بيئة وطنية غرس فيه والده، شيخ أزهرى بارز، حب الوطن والشوق إلى الحرية. وقد قاده هذا بشكل طبيعي إلى النشاط السياسي، وهو ما تجلّى في مشاركته في جريدة "الجريدة" التي أسسها أحمد لطفي السيد عام 1907م، وذلك بينما كان لا يزال طالبًا في الحقوق. وكان من أوائل كتاب الجريدة التي لعبت دورًا محوريًا في تأسيس حزب الأمة في نفس العام، والذي انضم إليه هيكل فور تشكيله.

استمرت مسيرة هيكل السياسية لدى عودته من باريس عام 1912م. فبعد فترة وجيزة قضاه في مهنة المحاماة، تحول إلى التدريس في الجامعة عام 1917م. شارك بنشاط في ثورة 1919م وتم اختياره لاحقًا عضوًا بالأمانة العامة للجنة التي صاغت دستور 1923م.

وشهد عام 1923م لحظة مهمة تمثلت في مشاركة هيكل في تأسيس حزب الأحرار الدستوريين. وأصبح رئيس تحرير صحيفة الحزب، 'السياسة الأسبوعية'. وظل هيكل من أشد المدافعين عن أفكار الحزب الليبرالية، حيث قاد حملات ضد حزب الوفد بقيادة سعد زغلول باشا.

ازدهرت المسيرة السياسية لهيكل حيث شغل العديد من المناصب الوزارية، بما في ذلك توليه منصب وزير المعارف (التعليم) ست مرات بين عامي 1938م و1945م. كما تولى رئاسة مجلس الشيوخ عام 1945م، حيث ساهم في ترسيخ تقاليد دستورية راسخة.

ولقد سجل هيكل وهو على رأس وزارة المعارف إنجازات عظيمة أهمها :

- 1- قسم المحافظات إلى مناطق تعليمية، وجعل فيها قانونًا ونظامًا.
- 2- عمل على إنشاء جامعة الإسكندرية، حيث لم يكن في مصر سوى جامعة القاهرة وعين شمس.
- 3- نادى بأن يكون مدير دار الكتب ومدير مصلحة الآثار مصريين.
- 4- دعا بضرورة العناية بإعداد مدرس اللغة العربية.
- 5- نادى بفكرة إنشاء مجمع اللغة العربية.

6- أدخل مادة الرياضة البدنية في المراحل الدراسية المختلفة.

7- دعا إلى ضرورة استقلال الجامعات عن وزارة المعارف، وأن يكون للجامعة نظامها المستقل من حيث تعيين أعضاء هيئة التدريس، وترقياتهم ورواتبهم وسائر شئونهم.¹⁶⁹

وقد انضم هيكل إلى كثير من الهيئات العلمية؛ فكان عضوًا في الجمعية المصرية للقانون الدولي والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، واختير عضوًا في مجمع اللغة العربية سنة 1940م؛ فكان من الرعيل الأول لأعضاء المجمع، ويذكر له اقتراحه على المجمع بوضع 'معجم خاص لألفاظ القرآن الكريم'، فوافق المجمع على اقتراحه، وكان من أعضاء اللجنة التي تألفت لوضع منهجه.¹⁷⁰

سُجلت إنجازات محمد حسين هيكل في سجلات التاريخ المصري بأحرف من نور، وشهدت على أفكاره المبدعة ورؤيته النهضوية. وبفضل هذه الإنجازات، حظي هيكل بشرف تقلد منصب هام كان له أثرٌ عميق في حياة المتعلمين من أبناء مصر.

¹⁶⁹ وادي، طه (1996م)، هيكل رائد الرواية السيرة والتراث، ط 2. القاهرة: دار النشر للجامعات، ص/64-65

¹⁷⁰ شارع محمد حسين هيكل باشا، مقالة الواردة في موقع حكايات شارع، تم الوصول إليها: 2024/05/07، <https://streetstory.gov.eg/اسماء-الشوارع/محمد-حسين-هيكل-باشا>

الفصل الثاني

محمد حسين هيكل في دور الأديب

الإبداع الأدبي عند محمد حسين هيكل

رحلة الدكتور محمد حسين هيكل الأدبية والفكرية تأثرت بشكل كبير بشخصيات مؤثرة مثل الشيخ محمد عبده¹⁷¹ الذي دعا إلى الإصلاح الشامل والتعليم الحديث. خلال وجوده في أوروبا، ألف هيكل عمله الأول 'قصة زينب' الذي نُشر عام 1914م. بعد عودته، ارتبط بالأستاذ أحمد لطفي السيد، رائد المدرسة الحديثة، الذي شجع تطوره السياسي والفكري والثقافي، وحثه على استكشاف الأدب الإنجليزي. بالإضافة إلى ذلك، وجد هيكل صدى لقضية تحرير المرأة التي دعا إليها قاسم أمين، وعمل الاثنان معاً على إنشاء جامعة خاصة. ظل هيكل طوال حياته ثابتاً في معتقداته، مع إيمانه بالحوار المفتوح وتبادل الأفكار.

في عام 1921م نشر محمد حسين هيكل أول مجلد من كتاب 'حياة جان جاك روسو: آراؤه وتعليمه'، ثم نشر الجزء الثاني منه عام 1923م. وفي عام 1925م أصدر كتابه المهم الآخر 'أوقات الفرق' على ثلاثة مجلدات. في المجلد الأول يناقش المؤلف قيمة النقد الأدبي، مشيراً إلى الثقافة والحضارة الغربية في علاقتها بالفكر التقدمي في الحياة. علاوة على ذلك، تطرق هيكل إلى دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة في المجتمع المصري. أما في المجلد الثاني، فيتناول الدكتور محمد حسين هيكل وجهات النظر حول التاريخ والأدب، ويدعو الأمة المصرية إلى الحفاظ على تراثها الثقافي. وفي المجلد الثالث، يتطلع المؤلف إلى مستقبل الأدب المصري. وفي عام 1927م، نشر الدكتور محمد حسين هيكل كتابه المهم 'عشرة أيام في السودان' الذي يتناول فيه تطور ونمو الصحافة المصرية.¹⁷²

ظهرت مجلة 'السياسة الأسبوعية' العربية في عام 1926م، وأصبحت منبراً للفكر المعاصر والاتجاهات التعليمية الحديثة. وبرز الدكتور طه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد في الساحة الأدبية من خلال هذه المجلة، حيث أسسوا توجهاً جديداً في النقد الأدبي

¹⁷¹ يعدّ محمد عبده (1849-1905) عالماً ومُصلِحاً إسلامياً بارزاً في القرن التاسع عشر، لعب دوراً رئيسياً في تجديد الفقه والمؤسسات الإسلامية بما يتناسب مع العصر الحديث. ففي منصبه كمفتي للديار المصرية، قام بإصلاحات قانونية وإدارية وتعليمية، ساعياً لتطوير الفكر الإسلامي وتحريره من الجمود والتقاليد، رغم معارضة المحافظين. بالإضافة إلى واجباته الرسمية، ساهم أيضاً في تعليم طلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر، ليصبح من رواد النهضة العربية والمُجددين الإسلاميين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

¹⁷² ضيف. شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط: 13. مصر، دار المعارف، ص/271.

العربي. بإلهام من هؤلاء المفكرين، نشر هيكل كتابه الأهم 'تراجم مصرية وغربية' عام 1929م. يسلط الكتاب الضوء على حياة كليوباترا، كما يتناول هيكل فيه شخصيات قيادية دينية وسياسية ساهمت بشكل كبير في نهضة بلدانها، مثل مصطفى كامل وعبد الخالق ثروت وبطرس غالي وشكسبير. بالإضافة إلى ذلك، يتضمن الكتاب مقالات وطنية، كما يتناول كتابه 'ولدي' الذي نُشر في نفس الفترة ذكريات عن ابنه الراحل الذي توفي عام 1925م. ويكشف هيكل في الكتاب أيضًا عن رحلاته إلى أوروبا مع زوجته خلال فصلي الصيف لعامي 1926م و1927م. أما كتابه المهم الآخر 'ثورة الأدب' فصدر عام 1933م، ويشدد فيه على إحياء الحركات الأدبية المصرية. وهكذا، واصل هيكل نشر العديد من الكتب القيمة الواحد تلو الآخر، مؤكداً على قوة قلمه.¹⁷³

هيكل القصاص

على الرغم من انغماس هيكل في الحياة السياسية من خلال العمل الصحفي وتوليهِ مناصب وزارية، وقيادته للحزب، إلا أن نشاطه الأدبي ظلّ خصبًا ومتدفقًا. تميزت مؤلفاته في مجالات متنوعة مثل القصة، التاريخ، السير، النقد الأدبي، وأدب الرحلات. كان هيكل كاتبًا أصيلاً، رائدًا لا تابعًا، يفتح آفاقًا جديدة في ميادين الأدب. لم يكن معجبًا برأيه حد الغرور، بل سعى دائمًا وراء الحق، متنقلًا بين الدعوة إلى الحضارة الغربية تارة، وإلى الحضارة الفرعونية تارة أخرى، إلى أن استقر في ميدان الفكر الإسلامي، مؤمنًا بأنه وحده السبيل الذي ينبت ويثمر، ويحرك النفوس نحو النهوض والارتقاء.

بدأ محمد حسين هيكل مسيرته في كتابة القصة منذ عام 1911م، حيث كتب مجموعة من الأقاصيص قبل رحلته إلى باريس وخلال إقامته هناك، ونشر بعضها في الجريدة. لاحقًا، جمع هذه الأقاصيص في كتابه 'في أوقات الفراغ' الذي صدر عام 1925م.¹⁷⁴

تدور قصة 'انتقام من الجمود' التي نُشرت في كتابه 'في أوقات الفراغ'، حول عائشة، الفتاة البالغة من العمر 18 عامًا، التي تسعى للانتقام بقتل حبيبها عبد العزيز حسين بعد أن تخلى عنها تحت ضغط عائلته. تسلط القصة الضوء على الظلم الذي تشعر به عائشة، حيث يعاقب المجتمع النساء بينما يفلت الرجال من العواقب. وفي المحكمة، تعترف بالذنب لكنها توضح أن أفعالها كانت نتيجة للألم العاطفي والظلم

¹⁷³ المرجع نفسه، ص/271.

¹⁷⁴ عبد العزيز الدسوقي، القصة المصرية بعد ثورة على إلى وحتى ١٩١٩، المجلة العلوم، مارس 1966م، ص/41، السنة الحادية عشرة، العدد الثالث، بيروت، لبنان.

الاجتماعي. يستخدم هيكل هذه القصة لنقد المواقف المتجمدة تجاه المرأة في المجتمع المصري، كما أشار عبد العزيز الدسوقي الذي رأى فيها تصويرًا لواقع النساء آنذاك.¹⁷⁵

قصص هيكل، مثل 'أبيس' و'حديث الشباب'، تتناول مشاعر معقدة ونقدًا للمجتمع. في قصة 'حديث الشباب'، تعيش عائشة، الفتاة المتأملة والمنعزلة، حالة من التأمل الداخلي وتتلقى رسالة من صديقتها نفيسة التي تشاركها مشاعر الوحدة والشوق. تعبر الشخصيتان عن صراعهما العاطفي وشكوكهما حول المستقبل. تشكل هذه المواضيع الأساس الرمزي لأعمال هيكل اللاحقة، مثل رواية 'زينب'، التي تتناول أيضًا الصراعات العاطفية والاجتماعية.

نجد هيكل يتلمس جمال الطبيعة في ريف مصر، بتلالها وآثارها وتاريخها القديم، ويصور بساطة حياة الريف وسذاجتها بأسلوبه القصصي المميز، دون أن ينقل سلبيات هذه الحياة أو يفتش في جوانبها السلبية. تتناول أقاصيصه مثل 'إيزيس'، 'راعية هاتور'، 'أفروديت'، 'حكم الهوى'، 'الشيخ حسن'،¹⁷⁶ وغيرها هذا الشعور العميق بالارتباط بالطبيعة والحياة الريفية. أما قصته 'كفارة الحب'¹⁷⁷، فهي تعكس مأساة الزواج الذي يتم دون تعارف أو حب، وذلك بأسلوب رومانسي يبرز مشاعر الاعتراف والمأساة.

تدور قصص هيكل مثل 'كفارة الحب'، 'حكم الهوى'، و'الشيخ حسن' حول نفس الدائرة الفكرية التي عالجت روايته 'زينب'، حيث تتناول قضايا البيئة، ومشكلة الحب والزواج، والعلاقة بين الرجل والمرأة. تُعتبر هذه المحاولات جزءًا من تطوره الأدبي، إضافة إلى عشر أقاصيص أخرى نُشرت في مجلة 'المصور' عام 1955م.¹⁷⁸

عند البحث في خصائص هذه الأقاصيص، نجد أنها تمثل جزءًا من ثقافة هيكل وفكره الواقعي. فقد اعتبر هيكل قصصه تجسيدًا للواقع المصري الحقيقي، كما أشار في كتابه 'ثورة الأدب' بقوله: "نقلت حوادثها مما شهدت في دور القضاء وما قصة عليّ بعض زملائي المحامين حين كنت أشتغل بالمحاماة"¹⁷⁹. ويمكن الشعور بهذه الواقعية أيضًا في مقالاته القصصية التي ضمها كتابه 'في أوقات الفراغ'.

¹⁷⁵ المرجع نفسه

¹⁷⁶ وقد نشرت محمد حسين هيكل هذه القصص في كتابه ثورة الأدب 1933م.

¹⁷⁷ نشرت هذه الأقصوصة في السياسة الأسبوعية في 1933م.

¹⁷⁸ طه عمران وادي، الدكتور محمد حسين هيكل: حياته وتراثه الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص/111

¹⁷⁹ هيكل، محمد حسين، ثورة الأدب، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، مصر، 1948م، ص/150

هيكل الناقد الأدبي

أحمد لطفي السيد، المعروف بـ الأب الروحي للأمة المصرية، كان أحد تلاميذ السيد محمد عبده ومدير جريدة 'الجريدة' التي صدرت في 9 مارس 1907م وكانت لسان حال حزب الأمة. مثلت هذه الجريدة بداية جديدة في الحياة الثقافية المصرية، حيث ركزت على الإصلاح الاجتماعي، ونشر التعليم، وتعزيز فكرة الاستقلال. كما حملت لواء الحركة العقلية والأدبية والسياسية، وطالبت بالتعاون مع الدكتور طه حسين، وعبد القادر المازني، وعباس محمود العقاد، وعبد الرحمن شكري، وسلامة موسى الذين كتبوا أيضًا في جريدة الجريدة، دعا محمد حسين هيكل إلى دعم القانون الدستوري وغيره من الأهداف الاجتماعية. محمد حسين هيكل كان من أقرب تلاميذ لطفي السيد، وتأثر به وبأفكاره، حيث شجعه على الكتابة في 'الجريدة'، ونشر هيكل أول مقال له فيها حول حرية المرأة.¹⁸⁰

في كتابه 'أدب المقالة الصحفية في مصر'، يشير عبد اللطيف حمزة إلى أن محمد حسين هيكل كان من أوائل من كتبوا عن مستقبل الأدب المصري، مستشهدًا بمقاله 'أدب الفوضى'. كما كتب هيكل مقالًا آخر بعنوان 'فوضى اللغة'، دافع فيه عن استخدام العامية المصرية، مشيرًا إلى ضرورة إدراج كلمات مثل 'تليفون' و'أوتومبيل' في المعاجم اللغوية، وعدم تردد الأدباء في استخدامها في أعمالهم الفكرية والأدبية.¹⁸¹

لقد كان لمقالات محمد حسين هيكل النقدية التي نشرت أثناء حرب 1919م تأثير كبير على أفكاره الثورية بين القراء، حيث أكد على ضرورة إقامة حكومة حديثة في مصر تعتمد على الدساتير. بعد إلغاء الخلافة في تركيا عام 1924م، استنكر العلماء هذا القرار، لكن محمد حسين هيكل وبعض المفكرين المحدثين رحبوا به باعتباره انتصارًا للقومية العلمانية. هاجم هيكل بشدة المؤتمر الإسلامي المنتقد لإلغاء الخلافة عبر جريدة 'السياسة' التي كان رئيس تحريرها، بينما دعمت صحف الوفد موقفه. عندما صدر كتاب 'الإسلام وأصول الحكم' لعلي عبد الرازق، أثنى عليه هيكل ودافع عنه ضد الانتقادات، معتبرًا أن الخلافة ليست جزءًا من أصول الحكم الإسلامي. في عام 1926م، تطور الاتجاه نحو الأدب القومي حول حلقة السياسة الأسبوعية التي كان يرأس تحريرها محمد حسين هيكل. هيكل، إلى جانب علي عبد الرازق وطه

¹⁸⁰ هيكل، محمد حسين، مذكرات في السياسة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م، ج/1، ص/30

¹⁸¹ حمزة، عبد اللطيف، أدب المقالة الصحفية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م، ج/6، ص/18-19

حسين، سعى لتعزيز الشعور القومي وتكوين شخصية مصرية مستقلة بعيداً عن التأثيرات الشرقية والثقافة الإسلامية، مؤكداً أن الأدب يجب أن يعكس البيئة والعصر.¹⁸²

يرى محمد حسين هيكل أن الأدب العربي القديم لا يقدم نموذجاً يُحتذى به للأدباء المصريين المحدثين، ليس فقط لأنه قديم بل لأنه خارجي أيضاً. في نقده للأدب، يرفض محاكاة الأساليب القديمة ويعتبر أن الأدباء المصريين يغفلون جمال الطبيعة المصرية المحيطة بهم، بينما ينشغلون بوصف صحراء العرب. يؤكد هيكل أن الأدب الصادق يجب أن ينبع من التجربة الذاتية للأديب، وأنه لا يكفي حرية الفكر وحدها، بل يجب أن تترافق مع حرية الشعور، منتقداً الكتاب الذين يغفلون الكتابة عن بلادهم وتاريخها.¹⁸³

يتميز أسلوب محمد حسين هيكل السياسي في مقالاته بالصرامة والدقة، مما يعكس دراسته العميقة للحقوق وثقافته القانونية. يتسم هذا الأسلوب بعدة سمات، أهمها: كثرة استخدام المقدمات في كتاباته الأدبية والسياسية نتيجة لدراسته القانونية وممارسته البحث العلمي. يطرح أفكاره في إطار موضوعي يعتمد على تحليل دقيق للجزئيات حتى يصل إلى نتائج حتمية دون ملل أو فتور. كما يبرز التنظيم والتقسيم المنهجي في عرضه للأفكار، مما يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن، فيحس القارئ بمتعة فكرية وجمالية معاً. بالإضافة إلى ذلك، يظهر ميله إلى الاستطراد كوسيلة لتوضيح الأفكار وإثبات صحتها، ما يعكس اتساع ثقافته وعمق معرفته.

يتميز أسلوب محمد حسين هيكل في مقالاته بالصرامة والدقة، مما يعكس دراسته العميقة للحقوق وثقافته القانونية. يتسم هذا الأسلوب بعدة سمات، أهمها: كثرة استخدام المقدمات في كتاباته الأدبية والسياسية نتيجة لدراسته القانونية وممارسته البحث العلمي. يطرح أفكاره في إطار موضوعي يعتمد على تحليل دقيق للجزئيات حتى يصل إلى نتائج حتمية دون ملل أو فتور. كما يبرز التنظيم والتقسيم المنهجي في عرضه للأفكار، مما يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن، فيحس القارئ بمتعة فكرية وجمالية معاً. بالإضافة إلى ذلك، يظهر ميله إلى الاستطراد كوسيلة لتوضيح الأفكار وإثبات صحتها، ما يعكس اتساع ثقافته وعمق معرفته.

¹⁸² هيكل، محمد حسين، ثورة الأدب، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، مصر، 1948م، ص/37-41

¹⁸³ المرجع نفسه، ص/120

هيكل الصحفي

لعبت الصحافة العربية دورًا مهمًا في النهضة الأدبية الحديثة، وبدأت هذه النهضة مع الاحتلال الفرنسي لمصر الذي أسهم في التواصل مع الثقافة الأوروبية. جلب نابليون كتيبة من العلماء الذين أسسوا مكاتب ومختبرات علمية وأدبية، وقدموا نشرة لإطلاع أوروبا على الشؤون المصرية. تأثرت مصر بهذه التجارب، مما حفّز الرغبة في التعلم والمعرفة وساهم في النهضة العربية، التي تميزت بالعودة إلى الأدب الكلاسيكي والاهتمام بالأدب الأوروبي.

تأثرت الصحافة العربية بالصحافة الفرنسية، وشارك مفكرون مصريون بارزون، مثل محمد حسين هيكل، في تطويرها. كانت إسهامات هيكل في الصحافة العربية من أبرز التطورات في هذا المجال في مصر.

ذكر سابقًا أن محمد حسين هيكل كتب كثيرًا لجريدة 'الجريدة' عندما كان طالبًا في كلية الحقوق. نُشر مقاله الأول في هذه الجريدة عام 1907م. كان مقاله الأول حول حرية المرأة، وقد جذب انتباه أحمد لطفي السيد الذي أعجب بأسلوبه في الكتابة والموضوع الذي اختاره لعرض أفكاره وآرائه حول المرأة المصرية. كان لهذا المقال تأثير كبير في المجتمع.

وقد كتب محمد حسين هيكل نفسه عن تأثير هذه المقالة: "وما كان أعظم سروري يوم ظهر لي أول مقال فيها، لم يكن مقالًا سياسيًا ولكنه كان عن حرية المرأة. وقد أبدى لطفي السيد تقديره لأسلوب وطريقة تقديري فزاد ذلك في تشجيعي وجعلني أنشر في الجريدة ما أكتبه وكنت ألقى من بعض زملائي وإخواني من عبارات التشجيع ما زادني إقبالاً على الكتابة والنشر."¹⁸⁴

واصل محمد حسين هيكل تقديم مقالات أدبية واجتماعية لجريدة 'الجريدة' حتى عام 1911م، ثم اختلف مع أحمد لطفي السيد. قدم هيكل شكلاً جديدًا من المقالات يجمع بين عناصر المقال الصحفي والقصة القصيرة مكتوبة بلغة بسيطة. حتى أنه قدّم مقالات فلسفية عن القدر والقضاء والقدر في 'مجلة المقتطف' منذ عام 1917م. وخلال هذه الفترة، قام بترجمة دراسة حول النقد الأدبي والتاريخ للفيلسوف الفرنسي تايين.

¹⁸⁴ هيكل، محمد حسين، مذكرات في السياسة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م، ج/1، ص/30

كتب الدكتور طه عمران عن الصحافة العربية ومساهمة الدكتور محمد حسين هيكل: "أنها وجدت عن الأسلوب الذي يميل إلى الغريب أو المحسنات البلاغية، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لكاتب لم يتعمق الثقافة العربية حتى ذلك الحين. وقد بقيت السهولة اللغوية سمة من سمات المقال الصحفي عند هنكل دائما، إذ كانت عناية القصوي فيما يبدو، تتجه نحو المعاني والأفكار. ولعل هذا أثر من آثار ثقافته الفرنسية وهنا يمكن أن نذكر أن هذه السمة سمة حماية بالأفكار والمعاني مع سهولة اللغة فله لازمة من لوازم الكتابة الصحفية وغير الصحفية عند هيكل، وكل مطرا على المقالة الصحفية عنده فيما بعد أنها أصبحت أكثر حجية ومنطقية بسبب دراساته القانونية"¹⁸⁵.

خلال الحرب العالمية الأولى لم يكتب محمد حسين هيكل في الجريدة بل واجه مشكلة كبيرة في كتابة المقالات حيث كانت أغلب المجلات العربية على وشك الإغلاق. وقد كتب عن هذا الوضع: "لم أكن أنا وأصدقائي الكتاب الشبان قادرين على أن نكتب شيئا عن سياسة مصر فالرقابة على الصحف كانت تحول دون ذلك، بل لقد بلغ من شدة الرقابة أن عطل الكتاب السياسيون صحفهم وأن عطل لطفي السيد الجريدة والحزب لكن لم أستطع أنا وأصدقائي أن نحطم أقلامنا فلا نكتب، لذلك اتفقنا الشيخ مصطفى عبد الرزاق والأستاذ طه حسين والدكتور منصور فهبي وعبد الحميد حمدي على أن نشترك مع عبد الحميد في تحرير جريدته السفور"¹⁸⁶.

محمد حسين هيكل، إدراكًا لتأثير الحوار السياسي بين الأحزاب على الجانب الثقافي، أطلق 'مجلة السياسة الأسبوعية' لتعزيز التبادل الفكري بين الشرق والغرب. ورغم التحولات السياسية بعد ثورة يوليو 1952م، واصل اهتمامه بالصحافة وساهم في صحيفتي 'الأخبار' و'أخبار اليوم' خلال الفترة من 1954م إلى 1955م. لم يكن محمد حسين هيكل مجرد أسطورة في الحركة الأدبية، بل كان أيضًا مفكرًا دينيًا. من أجل تعزيز ونشر الإسلام، كتب مقالات عن الثقافة العربية والحضارة الإسلامية للمجلات العربية التي تصدر من المملكة العربية السعودية وباكستان.

¹⁸⁵ طه عمران وادي، الدكتور محمد حسين هيكل: حياته وتراثه الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص/153

¹⁸⁶ هيكل، محمد حسين، مذكرات في السياسة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م، ج/1، ص/75

تميزت كتابات محمد حسين هيكل الصحفية بالمنطق الحاد والنقد المباشر الجريء. بذل جهده لتحسين فن المقال الصحفي من حيث الشكل والمحتوى. خلال مسيرته الغنية والمليئة بالأنشطة الأدبية والفكرية والسياسية المتنوعة، كان محمد حسين هيكل رائدًا حقيقيًا وفارسًا شجاعًا في حركة التنوير المصرية.¹⁸⁷

الدكتور محمد حسين هيكل كان كاتبًا صحفيًا بارعًا، حيث تميز أعماله بالنقد الأدبي الذي تناول السياسة المصرية المعاصرة والحركات الأدبية. اهتم بتوثيق التطورات العلمية والتكنولوجية، وقدم أفكارًا فلسفية عميقة، مثل فلسفة البوذية والإسلام، من خلال مقالاته في مجلات مختلفة. كتب أيضًا عن أهمية الدين والعلم في نجاح الملك، وكان له العديد من المقالات التي تتناول الفلسفة الإسلامية والأساطير القديمة، مما يعكس تميزه الفلسفي بين الشرق والغرب.

هيكل كاتب سيرة ذاتية

الدكتور محمد حسين هيكل كان من أنجح كتّاب السير الذاتية في مصر. خلال حياته الجامعية، درس الكثير عن الشخصيات المختلفة، خاصةً من التاريخ المعاصر. تأثر في هذا السياق بالتراث الثقافي الغربي والفرنسي، وكان يقارن بين المفكرين الشرقيين والغربيين. كتب العديد من السير التفصيلية عن مجموعة من الشخصيات الشهيرة. التسلسل التاريخي لتلك السير يعكس تقدمه العلمي وتطور الثقافة العربية في مصر.¹⁸⁸

بعد نشر أول رواية عربية أصلية 'زينب' في عام 1914م، بدأ محمد حسين هيكل في كتابة السير الذاتية، حيث نشر الجزء الأول من سيرة 'جان جاك روسو' عام 1912م. سعى هيكل من خلال كتاباته إلى تعزيز العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، وأصدر الجزء الثاني في عام 1923م. من أبرز أعماله 'تراجم مصرية وغربية' في عام 1929م، الذي يسلط الضوء على الشخصيات المصرية ويعزز فهم النهضة الفكرية في مصر، حيث يثبت تفوق الثقافة المصرية القديمة على الغربية. يحتوي الكتاب على ثلث السير الذاتية المصرية والباقي عن المفكرين الغربيين.

¹⁸⁷ Nessa, Syeda Siratun , A Study on the Works of Muhammad Husayn Haykal with Special Reference To His Egyptian Social Novel Zaynab, A Thesis Submitted to Gauhati University for the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic, 2016,

في عام 1933م، نشر محمد حسين هيكل أهم أعماله في السيرة الذاتية 'حياة محمد'. ويُعتبر هذا الكتاب أفضل مساهمة أدبية لمحمد حسين هيكل. يعلق العديد من النقاد بأن هذه السيرة الذاتية هي من بين أفضل الكتب التي كُتبت عن حياة النبي محمد (ص). هذا الكتاب يُعد نقطة تحول في مسيرة هيكل الفكرية نحو توجه عربي وإسلامي، وهو التوجه الذي تمسك به حتى نهاية حياته، مدفوعاً بدراسته الواعية والموسعة للإسلام وحياة النبي وتقاليدده. في هذا الكتاب، حاول هيكل أن يتناول كل مرحلة من حياة النبي الحبيب، مثل طفولته، تجارته، مهمته، زيجاته، هجرته إلى المدينة، حروبه، معجزاته، خطابه التقليدية وغيرها من الدلالات. وقد أكد هيكل أن الثقافة العربية والدين الإسلامي يشكلان الطريق الصحيح نحو حضارة جديدة وراسخة. هذا الاعتقاد ينعكس في كتابات هيكل اللاحقة.

بعد النجاح الذي حققه كتاب 'حياة محمد'، كتب محمد حسين هيكل عملاً آخر يجمع بين السيرة الذاتية والفكر الفلسفي بعنوان 'في منزل الوحي' عام 1939م. ثم كتب 'الصديق أبو بكر' في عام 1942م و'فارق عمر' في جزأين عام 1944م، و'الخلافة الإسلامية والأرض الحرام' في عام 1964م، و'عثمان بن عفان' في عام 1968م. كانت هذه كتاباته الإسلامية، رغم أنه استمر حتى فترة قصيرة قبل وفاته في المساهمة بمقالات متنوعة في الصحف والمجلات.¹⁸⁹

هيكل الروائي

يُعتبر محمد حسين هيكل أحد أنجح الروائيين في مصر. خلال إقامته في باريس بدأ في كتابة الروايات، واختار الرواية لأنها تعكس الحياة الإنسانية الحقيقية. كتب روايته الأولى زينب بين عامي 1910م-1911م، لكنه نشرها في عام 1914م. تُعتبر زينب أول رواية عربية أصلية بالمعنى الفني الصحيح للكلمة. بعد نشر هذه الرواية، تقبلها الشعب العربي وشجع هيكل على الإبداع أكثر في هذا النوع من الأدب العربي. فقام بكتابة المزيد من الروايات، وفي فترة قصيرة نشر روايتين عربيتين أخريين، ما فتح آفاقاً جديدة في الأدب العربي المعاصر. عكست رواياته إبداعه العالي. إلى جانب زينب، كتب ثلاث روايات أخرى بأسلوب السرد الوصفي، وهي 'عشرة أيام في السودان'، 'ولدي'، و'في منزل الوحي'.

الروايات المذكورة أعلاه كشفت بوضوح عن براعة محمد حسين هيكل في الوصف. حاول من خلال رواياته تصوير الأحداث المادية للمجتمع المصري بالإضافة إلى العواطف والعادات والتقاليد الخاصة بالشعب

¹⁸⁹ Ibid, P/106-110

المصري. ونظرًا لإعجابه العميق، برز محمد حسين هيكل ككاتب اجتماعي بارز تعمق في المجتمع للتعبير عن مشاكله. في مجال الرواية العربية، ساهم في تطور هذا الفن الأدبي بشكل كبير.

محمد حسين هيكل قام بثلاثة عشر محاولة ناجحة في كتابة الروايات، بما في ذلك 'عدالة الحب' و'الشيخ حسن'. ركزت هاتان الروايتان على حياة الريف المصري، حيث كانت بساطة الحياة في القرى المصرية هي المحور الأساسي. من ناحية أخرى، عكست روايته 'عفو الحب' نضوج محمد حسين هيكل في فن الرواية العربية. استخدم في هذه الرواية أسلوب التحليل النفسي لاستكشاف أعماق شخصيات أبطاله طوال رواياته.

يمكن القول هنا أن روايات محمد حسين هيكل تقدم صورة حقيقية للمجتمع المصري. فقد استمد مواضيع رواياته من المجتمع، وركز على الجوانب الاجتماعية-الثقافية، الاجتماعية-السياسية، الاجتماعية-الاقتصادية، والأخلاقية. حاول من خلال رواياته أن يرفع وعي الشعب المصري حول جوانب السلوك البشري والشخصية.¹⁹⁰

أهم إنتاجاته الأدبية

يُعتبر محمد حسين هيكل واحدًا من أنجح الكتاب في مصر الحديثة. تناول في كتاباته مختلف الأنواع الأدبية في الأدب العربي الحديث. تميزت أعماله بالواقعية، والرمزية، والرومانسية، والاشتراكية. غالبًا ما كان يصور قريته وبلده في أعماله. من خلال قصصه القصيرة، ورواياته، وسيرته الذاتية، ومقالاته الأدبية، والمقالات الدينية، والعديد من الأنواع الأخرى للأدب العربي الحديث، سعى إلى الكشف عن أفكاره المتعلقة بالقيم الاجتماعية-السياسية، الاجتماعية-الثقافية، الاجتماعية-الاقتصادية، والأخلاقية. ونظرًا لغزارة إنتاجه، فإنه من الصعب ذكر جميع أعماله، وفيما يلي قائمة مختارة من أعماله:

1. زينب، 1914م؛ أول رواية مصرية أصلية حديثة.
2. جان جاك روسو، الجزء الأول 1921م، الجزء الثاني 1923م.
3. أوقات الفراغ، 1925م.
4. عشرة أيام في السودان، 1927م.
5. تراجم مصرية وغربية (سير شخصيات مصرية وغربية)، 1929م.

¹⁹⁰ Ibid, P/96-98

6. ثورة الأدب، 1933م.
7. حياة محمد (حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، 1935م.
8. في منزل الوحي، 1939م.
9. الصديق أبو بكر، 1942م.
10. الفاروق عمر، 1944م.
11. ولدي، 1944م.
12. تذكرة السياسة المصرية (مذكرات عن السياسة المصرية)، 1951م-1953م، الجزء الثالث من هذا الكتاب نُشر بعد وفاته في 1978م.
13. هكذا خلقت، 1955م.
14. إيمان، علم وفلسفة، 1964م.
15. الخلافة الإسلامية والأرض الحرام، 1964م.
16. القصة القصيرة المصرية، 1967م.
17. عثمان بن عفان، 1968م.
18. معراج الدين بيغ، وغيرها.

الفصل الثالث

مؤلفات هيكل في أدب الرحلات

أدب الرحلة عند محمد حسين هيكل

وُلد محمد حسين هيكل عام 1888م بمحافظة الدقهلية لعائلة ميسورة الحال، وقد تأهل من خلال نشأته هذه للسفر خارج البلاد لأول مرة في السابع من يوليو عام 1909م. في ذلك اليوم الذي وصفه في كتابه 'مذكرات الشباب' بأنه اللحظة التي وطئت فيها قدماه أرضاً غير مصر للمرة الأولى. غادر هيكل وسط مشاعر مؤثرة، حيث ودّعه أصدقاؤه وأهله بدموع وقُبَلات. كانت هذه الرحلة بداية لمجموعة من الرحلات التي سيقوم بها خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، حيث تنقل بين الدول لحضور مؤتمرات سياسية وصحفية، وأحياناً للترويج عن النفس. استمر في تدوين رحلاته حتى وفاته عام 1956م. خلال مسيرته في السفر، أصدر هيكل ثلاثة كتب تتعلق بتجربته في الرحلات، وهي 'شرق وغرب'، و'ولدي'، و'مذكرات الشباب'. تتسم كتابات هيكل عن السفر بلغة روائية غنية وشاعرية متدفقة، كما هو واضح في مقدمة كتابه 'ولدي'، حيث قام بتدوين رحلاته مع زوجته بحثاً عن الهروب من أحزان فقد ابنهما. هذه الرحلات لم تكن فقط تجربة للتعرف على العالم الخارجي، بل كانت وسيلة للهروب من الألم والبحث عن العزاء والراحة النفسية.

يقول حافظ محمود في مقدمة كتاب هيكل 'شرق وغرب' عن تخصص كتابات الرحلات لدى هيكل: "قل أن يكون هناك كاتب عربي يتعدد الجوانب كالدكتور محمد حسين هيكل في فكره وإنتاجه ... ومن هذه الجوانب التي سجلها في إنتاجه جانب الرحلات. ويمتاز أدب الرحلات عند الدكتور هيكل على غيره من الكتاب الذين عنوا بهذا الجانب قديماً وحديثاً بأنه قد انتقل بأدب الرحلات إلى شيء آخر نستطيع أن نسميه ثقافة الرحلات فهو في كل موقع يذهب إليه لا يكتفى بعبقريّة الوصف للطبيعة أو الناس، إنما هو حريص على أن يقدم لك فكرة تكاد تكون كاملة عن ظروف هذا الموقع سياسية كانت أو اجتماعية وما

تعكسه هذه الظروف على أهله .. ولعل هذا المعنى أوضح ما يكون عبر هذا الكتاب في باب الأقليات الإسلامية".¹⁹¹

إسهامات محمد حسين هيكل في أدب الرحلة تميزت بطابع خاص، حيث لم يكن يركز على وصف الأماكن أو تفاصيل الشعوب كما هو متعارف عليه في أدب الرحلة التقليدي. بدلاً من ذلك، كانت انطباعاته تعبر عن مقارنة بين ما شاهده في الغرب وما تركه في العالم العربي. رغم إعجابه ببعض جوانب الحياة الغربية، إلا أنه كان دائماً يحاول الموازنة بين الثقافتين، محاولاً الحفاظ على هوية وقيم الشرق في ظل انبهاره ببعض مظاهر التقدم الغربي.¹⁹²

عشرة أيام في السودان

نشر كتاب عشرة أيام في السودان في مصر سنة 1927م. هو مجموعة من الملاحظات والمعلومات التي جمعها محمد حسين هيكل خلال رحلته القصيرة إلى السودان، والتي استغرقت عشرة أيام فقط. رغم أن هذه الفترة قصيرة ولا تكفي للإحاطة بكل التفاصيل بشكل دقيق، إلا أنها كانت كافية ليكتسب هيكل الكثير من المعلومات ويحقق ما كان يتخيله. بصفته صحفياً، كان لهيكل فرصة مميزة لملاحظة الأمور عن قرب، حيث يعتبره الناس صوتهم الذي يمكنه نقل ملاحظاتهم وشكاويهم وآرائهم إلى الجمهور.

في كتابه عن رحلته إلى السودان، يوضح محمد حسين هيكل دوافعه للكتابة عن هذا البلد رغم زيارته لبلدان أخرى مثل سوريا. على الرغم من فترات إقامته الأطول في سوريا، فإنه شعر بالحاجة إلى تسليط الضوء على السودان بسبب الرابطة الطبيعية التي تجمعها مع مصر من خلال نهر النيل. هيكل يرى أن المصريين يفتقرون إلى فهم دقيق للسودان، مما دفعه لتقديم صورة واقعية عن السودان وأهمية العلاقة الأخوية بين البلدين.

هيكل يناقش أيضاً قضية مياه النيل وتوزيعها بين مصر والسودان، موضحاً أن العقوبات السياسية تسببت في نشر العداوة بين الشعبين. كمراسل وصحفي، شعر بواجبه في تقديم معلومات موضوعية وصادقة، بعيداً عن المجاملات السياسية. يؤكد في ختام الكتاب على أهمية توضيح الحقائق وتصحيح

¹⁹¹ هيكل، محمد حسين، شرق وغرب، دار الهلال، مصر، 1994م، ص/5

¹⁹² الزباني، محمد، "باريس ردت إلى طعام الحياة"... رحلات محمد حسين هيكل إلى أوروبا، موقع رصيف 22، نُشر في 19 أبريل 2022، وتم استرجاعها في 24 أكتوبر 2024، [1087400/article/net22.raseef://https](https://net22.raseef.org/article/1087400/article/net22.raseef://https) اريس-ردت-إلى-طعم-الحياة-رحلات-محمد-حسين-هيكل-إلى-

المفاهيم الخاطئة، ساعياً لتحقيق تفاهم أفضل بين المصريين والسودانيين، ويجد في ذلك سعادة كبيرة رغم أي تحديات.¹⁹³

يحتوي الكتاب على مجموعة متنوعة من الفصول التي توثق رحلته منذ مغادرته مصر وحتى عودته. يبدأ الكتاب برحلته من مصر إلى الخرطوم، حيث يقدم الخرطوم للنظرة الأولى انطباعاته الأولى عن المدينة. يستعرض أيضاً احتفالات عيد الملك أو يوم الملك، ويصف حكومة السودان في الخرطوم. كما يتحدث عن يوم قضاه في أم درمان، بالإضافة إلى حضوره حفلة افتتاح خزان سنار ومشروعات الري الكبرى. يخصص فصلاً لمصانع القطن في بركات وأهمية مشروع ري الجزيرة. يختتم الكتاب بمناقشة مشروعات الري الكبرى مثل يوم في جبل الأولياء، وزيارة حلفا وشلالها، وينتهي بالحديث عن العلاقة بين مصر والسودان قبل أن يقدم خاتمة موجزة حول رحلته.

الشرق والغرب

تم نشر محتوى كتاب شرق وغرب خلال العشرينيات من القرن العشرين. ولكن النسخة المتوفرة اليوم هي نسخة أعيد طبعها بمقدمة حافظ محمود. يقدم هيكل في كتابه تحقيقاً صحفياً عميقاً حول ظروف الأقليات الإسلامية في بعض دول أوروبا، حيث لا يقتصر على توثيق هذه الظروف بل يعلق أيضاً على الأحداث ويشير إلى كيفية تعامل العالم الإسلامي مع هذه الأقليات قبل أن تتفاقم الأزمات.

يستعرض محمد حسين هيكل في كتابه 'شرق وغرب' مجموعة من الرحلات التي تجمع بين الأدب والسياسة، حيث يبدأ الباب الأول بزياراته إلى عدد من الدول الأوروبية مثل إنجلترا، ألمانيا، والمجر، مستعرضاً أوضاع المسلمين والأقليات الإسلامية هناك، بالإضافة إلى مشاركته في المؤتمر البرلماني في هلسنكي وزياراته للولايات المتحدة. يتناول الباب الثاني الأماكن المقدسة في الشرق الأوسط، مع التركيز على أهميتها الدينية والتاريخية، حيث يستعرض هيكل الأماكن الإسلامية، المسيحية، واليهودية، وي طرح تساؤلات حول فقدان تلك الأماكن لبساطتها الأصلية. وفي الباب الثالث، يقدم وداعاً لأوروبا من خلال استكشاف جمال المدن الأوروبية، مثل باريس ومدريد، ويتناول مواضيع متنوعة تتراوح بين الأدب والثقافة والديمقراطية في البلدان الاسكندنافية، مما يعكس عمق تجربته ورؤيته للعلاقة بين الشرق والغرب.

¹⁹³ هيكل، محمد حسين، عشرة أيام في السودان، المطبعة العصرية، مصر، 1927م، ص/6-8

ولدي

نُشر كتاب "ولدي" في مصر عام 1931. الكتاب يُعد من أبرز الأعمال في أدب الرحلات، حيث يتناول فيه الكاتب ثلاث رحلات قام بها في عشرينيات القرن العشرين، وهي فترة تُعرف بالعصر الذهبي. تبدأ الرحلة الأولى بعد أن مر الكاتب وزوجته بظرف حزين، فقرر السفر كوسيلة للنسيان وإبعاد زوجته عن الحزن والتفكير. أما الرحلة الثانية فجاءت بعد عام من الرحلة الأولى. وفي رحلته الثالثة، قرر السفر بناءً على نصيحة طبيبه بعد تعرضه لحادث سيارة، ليكون السفر سبباً للتعافي والراحة.

وكان الموت هو المحور الذي صاغ من خلاله المؤلف تجربته في هذا العمل. أهدى محمد حسين هيكل الكتاب إلى ابنه الراحل 'ممدوح'، الذي اختطفه الموت، مما دفعه لتغيير عنوان الكتاب من 'خلال أوروبا'، الذي كان ينوي تقديمه كدليل سياحي لزوجته احتفاءً برحلتها إلى أوروبا، إلى 'ولدي' تخليداً لذكرى ابنه. تجلت إبداعية هيكل في استحضار مأساته في كل بلد زاره، حيث أشار إلى مدينة ميلانو التي لفتت انتباهه قبورها الفنية، والتي اعتبرها رمزاً للإبداع الإيطالي. ثم يستعرض مشاهد رحلاته بين البلدان الأخرى، وكأنه يتجول بعين السائح المستكشف، وقلب الأب المفجوع، وقلم الأديب المبدع.¹⁹⁴ في هذا الكتاب حاول محمد حسين هيكل أن يبين رحمته بالحب ورحمته بالحزن ورحمته بالعطف على الأطفال.

وذكر هيكل في هذا الكتاب: "وقد تركت هذه السنوات الثلاث التي حبيت إلينا الارتحال بعيدين عن مكان الذكرى الممضة آثاراً كانت الذكرى تتخلل بعضها فتزيده قداسة وجلالا والذكرى والرحيل وآثارهما هي التي أملت هذا الكتاب. وزوجي التي كانت الصورة الحية لقداسة الذكرى هي صاحبة الوحي لخير ما فيه، ولها من أجل ذلك الفضل الأكبر في تحريره فضلاً جعلني أطمع في إهدائه إليها. لكنها رأت أن يكون الإهداء لولدنا الذي تركنا إلى جوار ربه، والذي لو بقي حياً لكان اليوم يتدرج إلى الشباب ويمتع كهولتنا بما يفيض عنه من روعة الشباب وروائه".¹⁹⁵

مذكرات الشباب

كتاب مذكرات الشباب، كما قال أحمد هيكل المحامي في مقدمة نفس الكتاب الذي نشر في 1996م: "مذكرات الشباب من أول ما كتب الدكتور محمد حسين هيكل، وإن كانت هي آخر ما يصدر له، إذ تنشر

¹⁹⁴ هيكل، محمد حسين، ولدي، دار المعارف، القاهرة، 1931م، ص/8

¹⁹⁵ المرجع نفسه، ص/14

اليوم بعد وفاته بأربعين عاماً، فهي بذلك تكون قد بشرت قبل غيرها بظهور رائد كبير من رواد الفكر العربي الحديث منذ أوائل هذا القرن الذي يقترب الآن من نهايته".¹⁹⁶

مذكرات محمد حسين هيكل تبدأ مع رحلته إلى فرنسا عام 1909 لدراسة القانون، حيث حصل على الدكتوراه عام 1912، ليصبح أول مصري ينال هذا اللقب. وعلى الرغم من أدواره المتعددة كمحام، وصحفي، وسياسي، ووزير، إلا أنه كان يعتبر نفسه بالأساس مفكراً وكاتباً، وهو ما اعتز به طوال حياته. خلال تلك الفترة، كتب روايته الشهيرة 'زينب'، التي تطلبت منه جهداً كبيراً، مما أثر على انتظامه في كتابة المذكرات. تكشف المذكرات عن تنوع اهتمامات هيكل بين الفكر، والأدب، والسياسة، والقانون، وتوضح كيف دمج بين ثقافته الفرنسية والعربية في كتاباته. تناولت المذكرات قضايا اجتماعية وفكرية، مثل العائلة والمرأة والطلاق، التي كانت ذات تأثير في ذلك الوقت ولا تزال لها أهمية حتى اليوم. كما يعرض فيها هيكل نقاشاته حول الدين والفلسفة وتأثير رحلاته في تشكيل آرائه، مما يجعلها تجربة شخصية غنية يمكن للقارئ أن يشعر بارتباط وثيق بها.¹⁹⁷

هذا الكتاب ليس مجرد سرد لرحلة، بل يتضمن العديد من الكتابات التي يمكن اعتبارها سرداً أدبياً للرحلة، وذلك بفضل تقنيات الكتابة التي استخدمها الكاتب. مذكرات محمد حسين هيكل تكشف شغفه بالرحلات، حيث واصل السفر بعد عودته من باريس، رغم انقطاعه خلال الحرب العالمية الأولى. رحلاته إلى لبنان وفلسطين في 1924 تعكس التحولات العميقة التي شهدتها حياته. تعد هذه المذكرات مصدراً مهماً لدراسة شخصيته المتنوعة وتراثه الفكري والأدبي، وقد أوصى الباحثون بنشرها لما تحتويه من يوميات تبرز تطور أفكاره وتأثير تلك الرحلات على مسيرته.¹⁹⁸

جاء الكتاب على ثلاثة أقسام: القسم الأول: رحلتي إلى أوروبا: السفر، باريس وضواحيها، في الرفييرا، باريس مرة أخرى، في انكلترا، في سويسرا، في لوسرن، في إيطاليا، في مصر. القسم الثاني: ما بعد المذكرات: أدب اللغة الفرنسية، تطور فكرة المسؤولية في العصور المختلفة. كتاب مفتوح إلى لجنة تنقيح قانون الأحوال الشخصية، الاقتصاد السياسي وقواعد الأخلاق. القسم الثالث: ما بعد المذكرات: وأخيراً.

¹⁹⁶ هيكل، محمد حسين، مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1996م، ص/1 مقدمة الكتاب.

¹⁹⁷ المرجع نفسه، ص/2-3

¹⁹⁸ المرجع نفسه، ص/4

في منزل الوحي

رحلة محمد حسين هيكل إلى الحج في عام 1936م كانت امتداداً لفترة فكرية وروحية بدأت مع تأليفه كتاب 'حياة محمد'، حيث رغب في الاتصال المباشر بمهد الرسالة ومنزل الوحي. ورغم تردده بين الرغبة في أداء الحج والعوامل التي كانت تعيقه، إلا أنه قرر في النهاية القيام بهذه الرحلة التي تركت أثراً عميقاً في حياته. وقد صاغ هيكل تجربته في كتابه في منزل الوحي، الذي صدر بعد عودته من الحج في 1939م، حيث وصف فيه بشكل دقيق الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الجزيرة العربية في منتصف القرن العشرين، ليصبح مرجعاً قيماً للباحثين والمحققين حول الحجاز في تلك الفترة.

كتب هيكل في منزل الوحي بأسلوب أدبي رفيع، مزج فيه بين المشاهدة العينية والبحث التاريخي والرؤية العاطفية. زار الأماكن التي شهدت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، محاولاً استحضار سيرة النبي واستخلاص العبر والمثل منها. جمع هيكل في كتابه بين التاريخ والجغرافيا والثقافة، وقدم دراسة فريدة للأراضي المقدسة تعكس روح العصر ولغة الفكر. اعتمد على أسس البحث الديني والتاريخي الحديث، وقدم وصفاً دقيقاً وجمالاً لغوياً استثنائياً، حتى يشعر القارئ وكأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حي أمامه.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي: "أما في منزل الوحي فكتاب ذاتي أكثر منه موضوعياً، لأن فكرته الأولى هي وصف الرحلة الحبيبة إلى ديار رسول الله - فخواتر الزائر المشوق ترفرف على قلمه، فتتيح له من الأشواق والمواجد ما لا تُتيحه مصادر التاريخ فإذا ألم بالحدث التاريخي حين يزور موقعه المكاني فهو إمام تزدهم فيه المشاعر المؤمنة، وتنطلق الأشواق الحبيسة إلى أبعد مرمى تصل إليه."¹⁹⁹ ، وكذلك عبر عن رأيه في تأثير هذا الكتاب بقوله: "أقرر في صدق أنني لم أجد كتاباً ملك علي مشاعري، واستحوذ على تفكيري في أثناء مطالعته ككتاب ... وقد مضى على تأليفه خمسة وستون عاماً، ولا يزال بريقه الخالب يجلب إليه المثقفين من القراء في حبّ، واندفاع حتى إنهم يصحبونه معهم في رحلة الحج المباركة."²⁰⁰

¹⁹⁹ البيومي، محمد رجب، محمد حسين هيكل الأديب السياسي المؤرخ ورائد الكتابة، دار القلم، دمشق، 2001م، ط1، ص/96

²⁰⁰ المرجع نفسه، ص/34

خلاصة الرحلة

وتحدث في الباب الأول عن عزم السفر إلى مكة، وبين تلك المخاوف التي حال دونها. ثم تحدث عن الميناء الذي انتهت إليه الباخرة، وعن العمرة بمكة، ووقفه عرفات، وعن أيام التشريق، كما يتحدث في الباب الثاني عن البلد الحرام، وعن عبد العزيز آل سعود عاهل الحرمين، وعن الجمعة في الحرم، وعن مشهد الكعبة يوم الحج الأكبر، وعن آثار مكة المتمثلة في غار حراء، وغار ثور وغيرهما.

أما الباب الثالث فخاص بالطائف، وأثارها، وقد تحدث الكاتب عن أسواق العرب تفصيلاً وشمولاً بما لم يتحدث به أحد من قبله، وفي الباب الرابع تحدث عما بين الحرمين المكي والمدني من مشاهد، وهو حديث موجز بطبيعة موضوعه

أما الباب الخامس فخاص بمدينة الرسول وهو أقوى أبواب الكتاب تحليلاً، واستيعاباً ووصفاً إذ أفاض في حديثه عن المسجد النبوي، والمدينة الحديثة، وآثار المدينة القديمة، وجنة البقيع، وقبر حمزة سيد الشهداء - رحمه الله كما كانت وقفته الشاعرة أمام الحجرة النبوية الشريفة من أنفس ما قال الكتاب في هذا الصدد، متنقلاً إلى الكلام عن ظاهر المدينة، وزيارة الوداع.

وجاء الباب السادس، والأخير ليتحدث عن بدر، وشهداءها، وعن أوبة الرضا، منتهياً إلى الخاتمة وهي ذات شأن في إيضاح مستقبل الإسلام، وما يقوم في وجهه من العوائق، ومن الواجب أن تكون موضع دراسة مستوفاة لدى من يهتمون بهذه الشؤون، وهذا العرض السريع لأبواب الكتاب يدل دلالة على محتواه، ويدل دلالة العنوان فحسب، لأن ما تحت العنوان من الخواطر المؤمنة لج زاخر موج، يهز النفس بجيشانه، وتدفعه، واصطفاه.

منهج الكتاب

في كتابه 'منزل الوحي' يوضح الدكتور محمد حسين هيكل منهج كتابته، مبيناً أن الهدف منه ليس توثيق التاريخ الإسلامي، بل تسجيل تأملات ووقفات شخصية عاشها في مواقع الوحي، حيث استحضرت مواقف النبي محمد ﷺ. في هذه اللحظات، كانت نفسه تتجرد من كل تأثير خارجي، ساعياً لالتماس القدوة والعبرة من حياة النبي. هيكل يشير إلى أنه شعر في كثير من الأحيان كأنه يعيش بين الصحابة، يسمع كلامهم ويرى مواقفهم، متمنياً لو أنه كان معهم ليشارك في جهادهم ويحقق النصر العظيم. كما

أشار إلى أنه رغم ممارسته النقد لبعض الأوضاع الراهنة في البلاد المقدسة، إلا أنه ركز بشكل أساسي على تتبع آثار النبي، سعياً لفهم السر الذي جعل هذه الأرض مهد الوحي ومصدر العبرة.²⁰¹

²⁰¹ هيكل، محمد حسين، في منزل الوحي، المكتبة العصرية، لبنان، 2006م، ص/11،17،18.

الباب الخامس: دراسة تحليلية كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل

الفصل الأول: تقنيات السرد في كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل

- السرد وأهميته في أدب الرحلة
- المكان في كتاب 'في منزل الوحي'
- أنواع الزمن في كتاب 'في منزل الوحي'
- الشخصيات في كتاب 'في منزل الوحي'

الفصل الثاني: الخصائص الفنية في كتاب 'في منزل الوحي'

- الخصائص الفنية في أدب الرحلة
- الوصف في كتاب 'في منزل الوحي'
- التناسل في كتاب 'في منزل الوحي'

الفصل الأول: تقنيات السرد في كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل

السرد وأهميته في أدب الرحلة

· مفهوم السرد

المفهوم اللغوي: ترد كلمة سرد في المعاجم اللغوية العربية في المفهوم الغالب في سياق معان تفيد التوالي والإتصال والانتظام، حيث جاء السرد في القاموس المحيط بمعنى 'النسج والنسج'.²⁰²

المفهوم الاصطلاحي: نجد السرد بمعنى "قص حدث أو أحداث، أو خبر أو أخبار، سواء كان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال".²⁰³ وقد تكشف دلالة السرد المعجمية اللغوية والاصطلاحية "كونه الأداة الأساسية الفاعلة في عملية بناء النص، فهو أداة لنسج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص القصصي".²⁰⁴

· أهمية السرد

يشمل السرد الطريقة والأسلوب المستخدم لسرد القصة، ويتأثر بعوامل مثل الراوي، والسرد نفسه، والطبيعة المتأصلة في القصة. في قلب عملية السرد يكمن فن تحويل الأحداث الحقيقية أو المتخيلة، بما في ذلك وصف الأفعال مع ارتباطاتها وعواقبها المعقدة. وتقع مسؤولية اختيار وتوظيف الآليات للتعبير عن هذه الأفعال على عاتق الراوي. ومن خلال وعي الراوي بالقصة يتم نقل الحادثة، حيث يشكلون وينقلون الأحداث المتكشفة إلى الجمهور، مما يجعل السرد عملية ديناميكية ومتعمدة لسرد القصص.²⁰⁵

وللسرد تعريفات شتى تتركز في أنه الطريقة التي تروى بها القصة، ومنها "أنه عملية يستطيع الشخص من خلالها أن يتواصل مع غيره، ضمن إطار قصصي 'الحكي'، مثل: رسالة يرسلها الشخص إلى غيره، فيكون

²⁰² أبادي، الفيروز، القاموس المحيط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1999، ج 1، ص/417.

²⁰³ وهبة، مجدي، المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص/198.

²⁰⁴ العاني، شجاع، البناء الرواية الحرب في العراق، دار شؤون الثقافة العامة، بغداد، 1964، ص/187.

²⁰⁵ إبراهيم، ميساء سليمان، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق،

عندها المرسل هو السارد، والمرسل إليه هو المسرود عليه، والسرد هو الرسالة أو اللغة أو الطبيعة اللفظية التي من خلالها تنتقل هذه الرسالة".²⁰⁶

وهذا يعني أن السرد الأدبي له مقومات منها:

- أن يحتوي على قصة ما تحوي أحداثاً

- أن يكون هناك آلية معينة تنقل بها هذه القصة، وهي السرد، وبما أن السرد آلية تنقل بها القصة، فيجب أن يكون هناك: سارد، و مسرود، و مسرود له.

أما في هذا الفصل تحت عنوان تقنيات السرد في كتاب 'في منزل الوحي' لمحمد حسين هيكل، فتناولنا فيه المكان وأنواعه الزمن وأنواعه وأهميته مفهوم الشخصية وأبعادها ووظيفتها وعلاقتها بالمكونات السردية. بعد ذلك استشهد الباحث بجمل نموذجية من الكتاب توضح استخدام هذه التقنيات السردية.

²⁰⁶ كنعان، شلوميت ريمون، التخيل القصصي - الشعرية المعاصرة، ترجمة حسن حمامة، دار الثقافة الدار البيضاء، الأولى، 1995م،

المكان في كتاب 'في منزل الوحي'

تعريف المكان

جاء في لسان العرب: "المكان الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع".²⁰⁷ "ومكان جمع أمكنة، جمع أماكن، وهو موضع مفعول من كون مكان الجريمة، مكان لقاء، هو من العلم بمكان، أي له فيه قدرة ومنزلة، هذا مكان هذا أي بدله".²⁰⁸

أما المكان في مفهومه الفني يتجلى في ذلك: "الانزياح والتحول والنفي عن أمكنة الواقع حيث يصبح للمكان خلقة أخرى في النص".²⁰⁹

وذهب 'عزدين مناصرة' أن المكان "ليس عملاً طارئاً، فهو ذلك الفضاء الفسيح الذي يحتضن عمليات التفاعل والتخاطب والتناغم بين الذات والعالم الخارجي. وفي غياب الإطلاع على أسرار المكان وأبعاده يكون التواصل معه صعباً، فتكثر دواعي الانفصال عنه".²¹⁰

يذكر هيكل في مقدمة رحلته إلى الحج أهم الأماكن التي زارها في الحجاز وأهميتها في تاريخ الإسلام ومدى تأثيرها على حياته الشخصية.

"وكان حديث الآثار الصحيحة التي وقفت عندها كلُّ البلاغة في التعبير عما تدل عليه وتوحيه إلى النفس من أي الجلال والعظمة، فجبل حراء والغار في قمّته، ومسجد عدّاس بالطائف، ومسجد العقبة وجمرتها، وجبل ثور ومختبأ رسول الله وأبي بكر بالغار فيه، والطريق الذي سلكه النبي إلى المدينة حين هجرته من مكة، ومسجد قباء، والمسجد النبوي والآثار الكثيرة المختلفة بالمدينة، وميدان بدر حيث وقعت الغزوة الأولى بين قريش والمسلمين، هذه المواقع وما إليها كانت تثير أمام ذهني ذكريات مليئة بالحياة كأنما حدثت بالأمس، وكانت توحى إليّ معاني الإكبار والإعظام وتزيدني إجلالاً لهذه الأماكن في صمتها

²⁰⁷ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، مج 6، 1997، ص/83.

²⁰⁸ حموي، صبيحي، أنطوان نعمة المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001، ص/1351.

²⁰⁹ عزدين المناصرة، نقلا عن مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011، ص/27.

²¹⁰ المرجع نفسه، ص/36.

العميق لم يغير منه توالي القرون، ولقد كان ما أوحته هذه الأماكن مما حاولت تصويره في هذا الكتاب أبلغ من كل ما استطاع قلبي أن يصفه أضعافاً مضاعفة.²¹¹

يحظى المكان المقدس بمنزلة عظيمة في قلوب الناس لما له من أهمية تاريخية ومكانة دينية، إذ يُمكنهم من أداء شعائرهم الدينية بعمق روحاني بعيداً عن مغريات الحياة. في هذه الأماكن، يسمو إيمان المرء ويشعر بالقرب من خالقه، مما يجعله يسعى لتجديد ذاته بأفعال الخير والابتعاد عن الأخطاء. يصبح المكان المقدس دافعاً لتبني سلوكيات صالحة، وكأن المؤمن يُعاد خلقه بروح نقية تسعى إلى العبادة والتقوى. وغالباً ما يكون الهدف من الذهاب إلى هذه البقاع الطاهرة هو تأدية فريضة الحج، وتطهير النفس من الذنوب، واستعادة الصفاء الداخلي. يقول فؤاد قنديل: "كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة، تلبية لنداء الرحمن و توبة وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب وعهداً للسير على الصراط المستقيم وأملاً في المغفرة".²¹²

ينقسم المكان في هذا الكتاب إلى مقدس وعادي، مما يعكس أسلوباً مميزاً في أدب الرحلات الحجازية، حيث تُصوّر الأماكن المقدسة وغير المقدسة بأسلوب سردي ينبض بالروحانية في كل تفاصيله. كتب الحج تتناول وصف الأماكن بروحانية عميقة، تبرز من خلال السرد الذي يمزج بين الهيبة الدينية والجمال الروحي للمواقع.

· الأماكن المقدسة في كتاب 'في منزل الوحي'

يقدم محمد حسين هيكل في كتاب 'في منزل الوحي' وصفاً بديعاً للأماكن المقدسة التي تمتد من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، مجسداً أثرها العميق على نفوس الحجاج. يستهل هيكل سرده من المسجد الحرام حيث تربع الكعبة المشرفة، مركز الإسلام الأول، ويتحدث عن شعائر العمرة والحج حول الكعبة، وصولاً إلى الصفا والمروة التي ترتبط بقصة السعي وتضحية السيدة هاجر. كما ينقل شعوره في عرفات، رمز التوبة والغفران، ثم يعرج إلى غار حراء حيث بدأ الوحي، وغار ثور الذي شهد رحلة الهجرة المباركة. وفي المدينة المنورة، يتأمل في المسجد النبوي، ويستذكر الصحابة المدفونين في جنة البقيع، مروراً بأماكن شهدت

²¹¹ حسين، هيكل، محمد. في منزل الوحي. لبنان، المكتبة العصرية، 2006، ص/11

²¹² قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2002م، ص/19.

غزوات كأحد وبدر، مؤكداً الرباط الروحي والتاريخي الذي يجمع هذه المواقع ويجعلها محطات مهمة في رحلة الحج.

مكة المكرمة

الهدف الأساسي للحجاج هو القدوم إلى مكة أولاً لأداء العمرة قبل الحج إذا وصلوا مبكرًا. ومن يقرب وصولهم من وقت الحج يؤدون العمرة كذلك. لذا فإن دخول مكة وأداء العمرة يمثلان الهدف الأول لكل من يسافر إلى الأراضي المقدسة، وبعدها يتوجهون إلى الأماكن الأخرى المرتبطة بمكة وتاريخها. وقد قرر الكاتب هيكل أيضًا أداء العمرة رغم تعبته من السفر الطويل.

| التوضيح | ذكر المكان في الرواية |
|---|---|
| <p>تُعبر هذه السطور عن شوق حسين هيكل لأداء شعائر العمرة فور وصوله إلى مكة المكرمة رغم التعب والمشقة الناتجة عن السفر الطويل. إنه يعكس رغبة المؤمن في التوجه مباشرةً إلى بيت الله الحرام والسعي بين الصفا والمروة، مستلهمًا قصة هاجر وسعياً بحثاً عن الماء لابنها إسماعيل.</p> | <p>1. وسألني الرجل: أأوتر أداء شعائر العمرة لفوري أم أرجئها للصباح كيما أنال بعض الراحة من مشقة السفر؟ أما أنا فأثرت الأداء ولم تمل نفسي إلى الإرجاء، ولعله الهوى إلى بيت الله وإلى حرمة، وإلى الصفا والمروة حيث سعت هاجر المصرية سبعاً تلتمس الماء لابنها إسماعيل هو الذي دفعني؛ كي أسارع إلى أداء هذه الشعائر رغم الجهد والمشقة، وسألت: أ يوجد إلى إتمام الطواف والسعي في هذه الساعة المتأخرة من الليل سبيل؟ فقل لي: إن الحرم مفتوح ليل نهار، وإن الناس يطوفون ويسعون في كل ساعة منهما. (ص/55-56)</p> |

| | |
|---|---|
| <p>في فصل "آثار مكة" يعبر هيكل عن رغبته في زيارة الأماكن ذات الأهمية الدينية والتاريخية المحيطة بمكة، على أمل أن يجد فيها قيمة علمية تخلد ذكرى من بنوا المساجد ودفنوا في مقابرها. يرى هيكل في هذه الزيارات فرصة للتأمل في إرث السابقين وإحياء ذكراهم التاريخية.</p> | <p>2. ولقد أردت أن أقوم بزيارة هذه الأماكن التي يُضفي أهل مكة عليها ثوب التاريخ لَعَلِّي أجد فيها من الفائدة العلمية ما يشيد بذكرى الذين شادوا المساجد والذين يرقدون الرقدة الأخيرة في المقابر. (ص/161)</p> |
| <p>الأماكن المقدسة في مكة المكرمة وما يتعلق بها</p> | |
| <p>المسجد الحرام</p> <p>الحرم هو المكان الأهم في مكة، حيث تُؤدّى مناسك العمرة بالكامل داخل قدسية المسجد الحرام ومحيطه، كما تشمل مناسك الحج أيضاً الطقوس المتعلقة بالحرم. وقد كان الكاتب متشوقاً جداً لدخول الحرم فور وصوله إلى مكة.</p> | |
| <p>يصف الكاتب المسجد الحرام برؤية تجمع بين روعة الحاضر وأثر التاريخ، متأملاً الكعبة وهي قائمة بأمن وسلام، متذكراً توحيد إبراهيم وإسماعيل لقواعده كقابلة للناس.</p> | <p>1. وارتسمت صورة البيت أمام بصيرتي منذ أقام إبراهيم وإسماعيل قواعده مثابةً للناس وأمنًا يقيمون الصلاة ويذكرون الله عنده، وبلغت بابًا قائمًا وسط صحن المسجد، قال مطوّفي: إنه موضع بابه في عهد الرسول؛ فأجلت طرفي بين هذا الباب والبيت العتيق. (ص/56)</p> |

| | |
|---|--|
| <p>يصف الكاتب مسجد الحرام بتصميمه البسيط وجماليته الهادئة التي تتماشى مع عظمته، حيث تظهر القباب والجدران بأسلوب فني متناغم مع هذه البساطة. ورغم أن الأبواب والجدران الخارجية تفتقر لبعض التفاصيل الجمالية، إلا أن بساطتها تضيء على المسجد روحانية، مع استثناء باب علي الذي يمتاز بتفاصيل فنية أعمق.</p> | <p>2. وقباب المسجد وجدرانه بسيطة، وفيها مع ذلك فن يتفق مع هذه البساطة، أما أبواب المسجد المؤدية إلى الطرق المحيطة به فأقل من قبابه فنًا وأكثر منها بساطة، خلا باب عليّ، وجدران المسجد من الخارج لا فن فيها، بل تَزَوَّرُ عين رجل الفن عن بعض جوانبها ازورارًا. (ص/62-63)</p> |
|---|--|

الكعبة المشرفة

كانت الكعبة محور جذب الإسلام ومقصد الحج، فهي ليست مجرد مبنى، بل رمز عميق للإيمان الإسلامي. إن رؤية بيت الله للمرة الأولى في الحياة هي لحظة لا تُنسى لكل مسلم.

| | |
|---|---|
| <p>يصف الكاتب تجربته أمام الكعبة بأنها لحظة مهيبة تهزّ كيانه وتملأه بخشوع عميق، إذ استقبلت عيناه الكعبة وسط المسجد بشوق لم يجد له قلبه عنه منصرفًا. لقد كانت الكعبة مألوفةً له، وكأنما رآها من قبل في طفولته عندما شاهد كسوتها في القاهرة، ومع ذلك فقد تملكه شعور جديد من الرهبة والجلال. حين رفع الدعاء عند رؤيتها، ازداد شعوره بالخشوع والرهبة، محرّكًا في نفسه الإحساس بالسلام والإجلال لبيت الله.</p> | <p>1. وما لبثت حين تخطّيت الباب والمكان المسقوف من المسجد بعده حتى تبدت لي الكعبة قائمةً وسط المسجد، وقد انسدل على جدرانها لباسها الأسود المطرز بوشي الذهب، تبدّت لي دون أن يلفتني أحد إليها، وتبدّت وكأنني عرفتها وطفّت بها قبل ذلك مرّات، وما لي لا أعرفها وقد رأيت كسوتها يطاف بها في القاهرة منذ طفولتي؟! تبدّت لي الكعبة قائمة وسط المسجد، فشدّ إليها بصري، وطَفَر نحوها قلبي، ولم يجد فؤادي عنها منصرفًا، ولقد شعرت لمرآها بهزة تملأ كل وجودي، وتحركت قدمي نحوها وكليّ الخشوع</p> |
|---|---|

| | |
|--|---|
| | <p>والرهبة، وقلت إذ وقع نظري عليها ما ألقى المطوف علينا أن نقوله: اللهم أنت السلام ومنك السلام، حَيِّنا ربنا بالسلام، فزادني تحرك شفقي بهذه الألفاظ مهابة ورهبة. (ص/56)</p> |
| <p>حظي هيكل بفرصة ذهبية للدخول إلى الكعبة والصلاة في المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ، مما أثار بداخله شعورًا عميقًا بالغبطة والرضا الروحي. عبّر عن تواضعه أمام مقام النبي، مستشعرًا عظمة المكان واستغرق في العبادة والاستغفار بخشوع تام. تجربته داخل الكعبة كُتبت في فصل "في جوف مكة".</p> | <p>2. وصعدتُ الدَّرجُ ودخلت البيت العتيق، وتلقاني الشيخ الشيبلي أول دخولي فحيَّاني هَسًا بَشًّا، وأشار لي بيميناه إلى علامتين في إزاء الجدار الذي يقابل الباب، وقال: هنا يصلي الإنسان ركعتين في المكان الذي صَلَّى فيه رسول الله ﷺ، فتقدَّمتُ نحو المكان أصلي ركعتين، وما أذكر أني شعرت في حياتي بمثل ما شعرت به في هذه اللحظة من غبطة ورضًا، تباركت ربي! أقف أنا الآن حيث كان يقف عبدك ورسولك، وأعبدك مخلصًا لك الدين كما كان يعبدك؟! ليتني أستطيع السمو بفضلك إلى هذا الرضا، ولكن غفرانك! أين الروح الذي يستطيع السمو إليك سمو من اصطفيته لرسالتك، ويطمع في أن يبلغ من الصفاء ومن الحب لبني الإنسان ما بلغ نبيُّك الكريم؟! وأتممت صلاتي، وبقيت في جلستي أستغفر الله وأعبده وأستعينه، ولعل السَّادن أدرك ما أنا فيه فتركني في استغفاري</p> |

| | |
|--|--|
| | وإدكاري. (ص/145) |
| <p style="text-align: right;">الصفاء والمروة</p> <p>الصفاء والمروة هما شعائر مقدسة في مكة، تجسد قصة الإيمان والصبر للسيدة هاجر، التي سعت بين الجبلين بحثًا عن الماء. يمثل هذا السعي رمزًا للعطاء الإلهي، ويذكر المؤمنين بأهمية الصبر والثقة في الله، مما يجعل هذه التجربة روحانية تعزز ارتباطهم برهبهم.</p> | |
| <p>يصف الكاتب تجربته في السعي بين الصفاء والمروة بعمق روحاني، حيث شارك الآخرين تلاوة الأدعية والاستغفار، متأثرًا بالأجواء الإيمانية وبجموع الساعين من حوله. لاحظ تنوع اللهجات والأصوات التي تملأ الدعاء، مما أضاف إلى تجربته إحساسًا بوحدة المؤمنين رغم اختلاف ثقافتهم وخلفياتهم.</p> | <p>1. وعلونا بعض درج الصفاء ثم استقبلنا المسعى ورفعنا أيدينا، وأعلننا نيتنا السعي سبغًا بين الصفاء والمروة سعي العمرة، ثم هبطنا الدرج وسرنا. وانتقلنا من الصفاء إلى المروة ونحن ندعو بما يدعو به مُطَوِّقنا ونستغفر كما يستغفر، والمثون من الساعين يدعون كذلك ويستغفرون، وبلغنا المروة واقتحمنا صفوف السَّاعين إلى درجها، واستقبلنا المسعى وسعينا وكَبَّرنا وعدنا إلى الصفاء ندعو ونستغفر، والناس من حولنا يصنعون صنيعنا يدعون ويستغفرون، ولقد كنت تسمعهم رافعي أصواتهم في لهجات مختلفة، منها البدويُّ النجديُّ الذي يعلو بنفسه عن أن يتخذ من مطوف إمامًا. (ص/59-60)</p> |
| <p>يشير الكاتب إلى التحولات التي طرأت على منطقتي الصفاء والمروة، حيث غطت المباني الحديثة على المشهد الطبيعي المفتوح، وأخفت السماء وزادت المسعى تعقيدًا وانعطافًا.</p> | <p>2. وخرجنا من المسجد إلى المسعى، وهو يقع على مقربة من باب الصفاء، وكان المسعى إلى صدر الإسلام طريقًا مستقيمًا ينقص</p> |

| | |
|--|--|
| <p>يبدو الكاتب متأملاً ومتحسراً على فقدان الرؤية الأصلية بين الصفا والمروة التي كانت تسمح باتصال مباشر مع الطبيعة والجمال السماوي.</p> | <p>طوله عن الميلين، ويصل بين ربوتي الصفا والمروة، وكان متصللاً بما حوله من فسيح الصحراء، تطل عليه الجبال المحيطة بمكة؛ أما اليوم ومنذ بضع مئات من السنين قد أحيط بالمباني والعمارة التي طغت عليه، وقد أحيل كل من الربوتين إلى درج أقيمت حوله جدران تحجب بين الساعين وفسحة الجو وبهاء السماء، وقد بلغ من طغيان المباني أن اعوجَّ المسعى اعوجاجاً يحول دون رؤية الصفا من المروة أو المروة من الصفا، وتخترق المسعى طرق تسير فيها الإبل والدواب والعربات والسيارات، وقد كان هذا الطريق إلى سنوات مضت كله الرمال؛ أما الآن فقد رُصف بالحجر رصفاً غير منتظم.) (ص/63)</p> |
| <p style="text-align: right;">عرفات</p> <p>عرفة هي الموقع الذي يشهد الوقوف العظيم خلال فريضة الحج، حيث يكتمل الإيمان ويستجاب الدعاء. كما أنها المكان الذي ألقى فيه النبي محمد ﷺ خطبته الأخيرة، مؤكداً على قيم الوحدة والمساواة بين المسلمين، مما يجعل هذا اليوم من أبرز محطات الحج في التاريخ الإسلامي.</p> | |
| <p>الوقوف على عرفات يعد من أبرز مناسك الحج، حيث يستحضر الكاتب قدسية اللحظة وأثر المكان بربطه بوقفة النبي محمد ﷺ في حجة الوداع. يسترجع الكاتب الزمن الماضي الذي يتعلق بمكان، مشهداً النبي وهو يلي</p> | <p>1. وانتقلت بهذا التصور في هنية من بيئة المكان إلى بيئة الزمن، وطويت القرون القهقري إلى أكثر من ثلاثمائة وألف سنة مضت، وامثلت النبي العربي محمداً ها</p> |

| | |
|--|--|
| <p>ويستغفر بنفس الإحرام والخضوع، مما يضيف على تجربته روحانية عميقة وشعورًا بالاتصال مع التاريخ المقدس.</p> | <p>هنا فوق عرفات في حجة وداعه، محرماً كإحرامنا، ملبياً كتلبيتنا، مستغفراً كاستغفارنا، خاضعاً لله خضوعنا، عبداً لله كعبوديتنا له، امتثلت هذا النبي العربي وقد تخطى السنين. (ص/69)</p> |
| <p>يصف الكاتب في عرفات الترابط الاجتماعي بين الحجاج والسكان المحليين، حيث يُقبل الحجاج على شراء الأضاحي من الأعراب لتوزيعها صدقات على المحتاجين، مما يعكس روح التكافل والعطاء بين المؤمنين.</p> | <p>2. وتجارة الحياة في عرفات تتصل بالحج وبالصدقات التي تهوي بها أفئدة الحجيج إلى الفقراء والمساكين ممن يطوفون بهم، الحجيج تهوي أفئدتهم إلى إطعام الجائع والبر بالمحروم؛ لذلك يسير الأعراب بقطعان من الغنم يبيعونها من يذبحونها لساعتهم ويتصدقون بها على ذوي الحاجة من إخوانهم المؤمنين. (ص/70)</p> |
| <p style="text-align: right;">غار حراء</p> <p>غار حراء هو المكان الذي عاش فيه النبي محمد ﷺ فترة من حياته، حيث كان يتأمل ويتعبد قبل أن يُنزل عليه الوحي. يقع الغار على قمة جبل النور بالقرب من مكة، ويعتبر رمزاً للروحانية والبحث عن الحقيقة. في هذا الغار، تلقى النبي أولى آيات القرآن الكريم، مما جعله نقطة انطلاق الرسالة الإسلامية. يُعتبر غار حراء مكاناً مقدساً يحظى باحترام المسلمين، حيث يجسد لحظة محورية في التاريخ الإسلامي ويعكس عميق الاتصال بين الإيمان والروحانية.</p> | |
| <p>يشير الكاتب إلى جاذبية جبل حراء التي تتعلق بها الأنظار وتأسر المشاعر بفرادته وعزله عن الجبال المحيطة، مشهراً قمته المخروطية ببرج يتوجه إلى السماء، مما يضيف عليه طابعاً فريداً. على الرغم من عدم قدسية</p> | <p>1. ومذ وقع نظري على حراء حين ذهابي إلى قصر الملك غداة وصولي إلى مكة تعلق به نظري وشُدَّت إليه مشاعري، وتمثل لي حيثما ذكرته بهذه العزلة العجيبة التي</p> |

| | |
|---|---|
| <p>المكان كجزء من الشعائر، فإن التاريخ الروحاني لجبل حراء، حيث بدأ الوحي، يمنحه هيبة وجاذبية استثنائية للزائرين.</p> | <p>تفرد بها عمًا حوله من الجبال، وهذه الاستقامة المخروطية في انطلاقه إلى السماء، استقامة تجعله أدنى إلى برج شاده الإنسان منه إلى جبل قائم بين عشرات من الجبال حوله. (ص/176-177)</p> |
| <p>يشعر الكاتب بعظمة جبل حراء، حيث شهد الخلوة الروحية العظيمة التي أعدت النبي محمد ﷺ للنبوة، فالمكان اكتسب أهمية خاصة كموضع بداية الوحي، مما يجعله رمزًا يجذب القلب والروح ويثير المشاعر.</p> | <p>2. على هذا الجبل؛ حراء، كانت خاتمة التمهيد والتهذيب والإعداد قبل الرسالة، إذن لقد شهد حراء هذه الرياضة الروحية العظيمة منذ هدى الله محمدًا إلى الحق حتى أضاء أمامه سبيل هذا الحق بنور الرؤيا الصادقة، وإلى أن أوحى إليه النبوة ليكون من بعدُ بشيرًا ونذيرًا، وليس ثمة موضع نعرفه في العالم شهد هذا كله، فلا جرم — وذلك شأنه — أن يتعلق به الذهن، وأن يتوجه له القلب، وأن تشد إليه المشاعر. (ص/177)</p> |
| <p>يصف الكاتب تجربته بالقرب من غار حراء بشعور يغمره بالرهبة، وكأنه يستحضر لحظة نزول الوحي على النبي ﷺ في هذا المكان المقدس. تجسدت أمامه الأصوات والنور الباهر، فشعر بالخوف المهيب والتأثر العميق، وكأنه يشهد بداية الرسالة بنفسه.</p> | <p>3. حُيِّلَ إِلَيَّ وأنا في موقفي من الغار أني أرى هذا المشهد الفدَّ في التاريخ، وأنني أسمع هذه الأصوات لم أسمع قط مثلها، وصَقَّدَنِي الفزع مكاني وأقمت أنتظر ما يكون من بعدُ، فإذا النور الباهر يترفع. (ص/188)</p> |

غار ثور

غار ثور هو المكان الذي احتفى فيه النبي محمد ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من قريش أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة. يقع الغار على جبل ثور قرب مكة، ويُعد رمزاً للثبات والإيمان العميق، إذ قضى فيه النبي وصاحبه ثلاثة أيام، معتمدين على حماية الله رغم الخطر الكبير المحيط بهما. يعد الغار شاهداً على معاني التضحية والثقة بالله، ويحتل مكانة خاصة في قلوب المسلمين الذين يرون فيه قصة الصبر والعزيمة، وقدرة الإيمان على تجاوز الصعاب.

1. ها أنا ذا أمام فهوة الغار الذي احتفى به النبي العربي من كيد أعدائه حين أذن الله له في الهجرة من مكة إلى يثرب؛ وأمسك أنفاسي على شدة اضطرابها في صدري لأحدّق في داخله علّني أرى السر العظيم الذي يستجُم منذ أربع وخمسين وثلاثمائة وألف سنة في مَهَابَةِ ظلمته. (ص/188)

يشعر الكاتب بقدسية غار ثور، حيث استشعر رهبة اللحظة التي لجأ فيها النبي ﷺ إليه هرباً من كيد قريش خلال الهجرة. يُمسك أنفاسه المضطربة محاولاً أن يلتمس سر هذا المكان العتيق، الذي ظل شاهداً على الحدث العظيم منذ أكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً.

2. بلَغْتُ هذا الموضع من الصورة الذهنية التي ارتسمت في نفسي إذ عاد صاحبي الذي لزمني في صعودي وأعانني فيه، فلما رأته لم أمهله أن قلت له: هلمّ بنا إلى الغار نلتمس الدخول إليه. (ص/197)

يشعر الكاتب بروحانية عميقة حين يقف أمام غار ثور، حيث يتخيل نفسه وصاحبه كالنبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه في لحظة الهجرة. إنه يستحضر تلك التجربة التاريخية العظيمة في مشهد حيّ، مما يملؤه بالرهبة والانجذاب نحو الدخول إلى الغار لاستشعار تلك اللحظات المباركة.

المدينة المنورة

المدينة المنورة، هي المدينة التي هاجر إليها النبي محمد ﷺ واستقبلته بأهلها الكرام، الأنصار، الذين أظهروا أروع الأمثلة في الإيثار والنصرة. تُعد المدينة مهد بناء الدولة الإسلامية الأولى، حيث وضعت فيها أسس المجتمع الإسلامي وقيم العدل والمساواة. تضم المسجد النبوي الذي يحتوي على الروضة الشريفة، ومقابر شهداء أحد، والبقيع، فتحمل معالمها رموزاً للإيمان والرفقة النبوية. يراها المسلمون ملاذاً روحياً ووجهة للتقرب، لما فيها من سكينه وسلام يستشعرونه حينما يزورونها، معتبرينها موطن المحبة والألفة بين المسلمين.

| التوضيح | ذكر المكان في الرواية |
|---|--|
| يرى الكاتب أن المدينة المنورة تحمل روح الجهاد، تمامًا كما كانت عندما هاجر النبي إليها، فأصبحت معقل الدفاع والتضحية في الإسلام. ويشير إلى أن مكة تبقى رمزاً للسلام بينما المدينة تجسد جانب القوة والثبات، وهذان الوصفان يعكسان مكانة المدينتين في حياة المسلمين وتاريخهما عبر الأزمان. | 1. إذا كانت مكة مدينة السلام فهذه المدينة لا ريب مدينة الجهاد، كذلك كانت يوم هاجر النبي إليها، وكذلك بقيت من بعده طيلة عهد خلفائه الراشدين. هذان وصفان أفاء الله أحدهما على مكة، والآخر على المدينة، فبقي لهما على عهد النبي، لم يتغير ولم يتبدل، وكان حقاً أن يبقى ما بقي للمسلمين على الأرض سلطان. (ص/329) |
| في هذه السطور، يعبر الكاتب عن شغفه بمعرفة تاريخ ومعالم المدينة المنورة، حيث يتطلع بشوق للتعرف على الأماكن المقدسة فيها من جبال ومساجد وهضاب، ما يعكس تقديره للمكان وأهميته الروحية والتاريخية. | 2. والسيارة تتقدم ومنازل المدينة وطرقها تبدو أمام النظر، فأما هذا الخلاء الفسيح أماناً فتلك المناخة، وأما ما بينها وبين محطة السكة الحديدية فجبال ومساجد وهضاب حاولت أن أعرف شيئاً |

| | |
|--|---|
| | من أمرها. (ص/335) |
| <p>الأماكن المقدسة في المدينة المنورة وما يتعلق بها</p> | |
| <p>المسجد النبوي</p> <p>المسجد النبوي في المدينة المنورة هو ثاني أقدس موقع في الإسلام، ويحتضن قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مما يجعله مقصدًا روحيًا هامًا للمسلمين. يجسد المسجد النبوي الوحدة الإسلامية والسكينة، حيث يعكس تصميمه وروعة بنائه عبق التاريخ وقيم الإيمان والرحمة.</p> | |
| <p>يعبر الكاتب عن شوقه العميق وتميئته النفسية لزيارة المسجد النبوي والسلام على النبي، مستحضراً صوراً ذهنية وصفها كتب الرحلات والصور الشمسية. هذا الترقب يعكس الاحترام العميق والتقدير لهذه اللحظة الروحانية في حياته.</p> | <p>1. تَخَطَّيْتُ باب السلام أتبع مضيبي وفي ذهني من هذا المسجد النبوي صورة خيِّلها فيه ما اطلَّعتُ عليه من كتب الرحلات إلى الحجاز، وما في هذه الكتب من أوصاف وصُور شمسية، وتخطيت باب السلام وكلي التَّوق للوقوف أمام الحجرة النبوية والسلام على صاحبها — عليه أفضل الصلاة والسلام. (ص/339)</p> |
| <p>يعبر الكاتب عن رهبة روحية عميقة واحترام لا نظير له أثناء وقوفه أمام الحجرة النبوية، حيث يشعر بمهابة تفوق تلك التي اختبرها مع الملوك والعظماء. هذا الموقف يملأه بجلال روجي فريد، يجعله يتجاوز كل التجارب السابقة في حياته.</p> | <p>2. أقمت مكاني هنيئة شاخصاً إلى هذه الحجرة، مأخوذ الذهن عن التفكير، متجهاً بقلبي إلى هذا الدليل الذي يتلو أمام ما يقتضي الموقف تلاوته، حذراً أن يفوتني منه شيء، وكأنني في حضرة ملك أُؤدِّي مراسم الإجلال والإكبار، كلا، بل كان الموقف أكبر من حضرة ملك، فقد لقيت ملوكاً وتحدثت إليهم، ولقيت</p> |

| | |
|---|--|
| | <p>بعضهم وما أزال في صدر الشباب، فلم أجد للقياهم مثل هذه المهابة، ولا امتلأت نفسي أمامهم بشيء من هذا الإكبار، ووقفت أمام قبور ملوك وفراعين وأباطرة وعظماء فلم أشعر بشيء من الجلال الروحي الذي أخذ على تفكيري المسالك وأنا في هذا الموقف. (ص/340)</p> |
| <p>الكاتب في هذه اللحظة كان متعمقاً في العبادة والخشوع، مما جعله يغض الطرف عن فحص تفاصيل المنبر.</p> | <p>3. ولم أحاول التحديق في المنبر تحديق الفاحص؛ لأن حالي النفسية في هذه اللحظة لم تكن حال فحص أو تحقيق، بل كانت حال عبادة وتهجد وتوجه خالص إلى الله. (ص/341)</p> |
| <p>جنة البقيع</p> <p>جنة البقيع هي مقبرة تاريخية تقع بجوار المسجد النبوي في المدينة المنورة، وتحضن رفات العديد من الصحابة وأهل بيت النبي محمد ﷺ. تعتبر البقيع مكاناً مقدساً للمسلمين يرمز للتواضع والاتحاد، حيث يقصدها الزوار للدعاء والاستذكار، تيمناً بمن سكنوها من أهل الإيمان.</p> | |
| <p>الكاتب يعبر عن تأمله العميق في الموت والحياة بعد زيارة البقيع، حيث يتساءل عن مصير الأرواح وتأثير إرث الأجيال السابقة في حياتنا.</p> | <p>1. زرتُ البقيعَ وتخطيتُ أثناء القبور، ووقفت على كل قبر وصَلَّيْتُ على صاحبه واستغفرت الله له، ثم وقفت متأملاً أتدبر ما أمامي وتناجيني نفسي: «أويموت الذين يسبقوننا إلى القبور؟! أم أنهم يُنقلون من عالمنا هذا إلى العالم الآخر فتنحل أجسامهم إلى عناصرها الأولى وتبقى</p> |

| | |
|---|---|
| | <p>أرواحهم بين يدي بارئها يُحاسبها على ما قَدَّمَتْ؟ وما قَدَّم الذين قبلنا لا يزول بزوالهم بل ينتقل إلينا ويصبح ميراثنا عنهم، تتأثر به حياتنا حتى لكأنهم بيننا. (ص/403)</p> |
| <p>شعر الكاتب برابطة عميقة مع قبور البقيع وكأن ساكنيها من أقربائه، فبدت له أحزانهم حديثة لم تزل.</p> | <p>2. ومع تسوية قبور البقيع بالأرض اليوم وعدم إعلامها إلا بهذه الأحجار الموضوعة حولها، لقد شعرتُ إذ وقفت أمام بعضها بهزة نفسية كأنما بيني وبين ساكنيها أقرب الأواصر، وكأنهم دُفِنوا لأمسهم ولما تجفَّ العبرة عليهم. (ص/403)</p> |
| <p style="text-align: right;">أحد</p> <p>أحد هو جبل قريب من المدينة المنورة شهد غزوة أحد، إحدى أهم المعارك في تاريخ الإسلام، التي دارت بين المسلمين وقريش في السنة الثالثة للهجرة. هذا المكان يرمز للصبر والتضحية، حيث يرقد شهداء أحد، ومنهم عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب، ويزور المسلمون هذا الموقع تقديرًا لدروس الإيمان والشجاعة التي تجسدها.</p> | |
| <p>في هذه العبارة، يعكس الكاتب تقديره العميق لجبل أحد من خلال استحضار حديث النبي ﷺ، مما يضيف على الوصف بُعدًا روحانيًا يرتبط بحب متبادل بين الجبل والمؤمنين، مع التركيز على التفاصيل الجمالية لصخوره الحمراء وقممته الناتئة.</p> | <p>1. وألقيتُ نظرةً إلى ناحية أحد فذكرت قول رسول الله عنه: «هذا جبل يحبنا ونحبه». واستقر نظري على صُخوره الحمراء وعلى الرؤوس الكثيرة الناتئة على سطحه. (ص/419)</p> |
| <p>في هذه الفقرة، يتأمل الكاتب في شخصية حمزة بن</p> | <p>2. وذهبت أمتثل حمزة وهذه الصفات فيه</p> |

| | |
|---|--|
| <p>عبدالمطلب، مستعرضًا صفاته الجسدية والمعنوية، مثل قوته ومهابته، وكيف تميز بحبه لله ورفضه لعبادة الأصنام. يعكس النص احترام الكاتب العميق لهذا البطل الذي فضّل الجهاد في سبيل الله على العيش في رفاهية، مبرزًا تضحياته وإيمانه الثابت رغم مكانته الاجتماعية المرموقة.</p> | <p>وأنا واقف على القبر أجيل بصري في الميدان الفسيح حولي، هذا رجل آتاه الله من فضله بسطة في القوة، ومهابة في القلوب، ونعيمًا بالحياة ومحبة من الناس، وكان له أن يستمتع وهذه صفاته برفه العيش وطمانينة البأس، وأن يستريح إلى مكانته من قومه واحترامه فيهم، لكنه لم يَطْبُ نفسًا بعبادة قومه الأصنام، ولم يُطِقْ أن يسبَّ أبو جهل الوثني ابن أخيه الداعي إلى الله، فضرب أبا جهل فشجّه وأعلن على ملأ الناس إيمانه. (ص/414-415)</p> |
| <p style="text-align: right;">بدر</p> <p>بدر هي موقع تاريخي شهد غزوة بدر الكبرى، أولى المعارك الفاصلة في الإسلام التي جرت بين المسلمين وقريش في السنة الثانية للهجرة. في هذا المكان، حقق المسلمون نصرًا تاريخيًا برغم قلة عددهم، مما عزز مكانتهم وقوة إيمانهم، وأصبح بدر رمزًا للنصر بفضل التوكل على الله ووحدته الصف، وما زال يذكر كمعلم من معالم التضحية والإيمان.</p> | |
| <p>حين اقترب الكاتب من قبور شهداء بدر، استحوذ عليه الشعور بالتاريخ الحي، فتجسدت أمامه تفاصيل المعركة وأبطالها العظام، وكأنه يرى الصحابة مجتمعين حول الرسول. هذه اللحظة ملأت وجدانه بالتقدير والإجلال، محوِّلة أفكاره كليًا إلى بطولات الإسلام الأولى.</p> | <p>1. وتخطينا مصعدين هضابًا تقع عندها قبور الشهداء الأولين، شهداء بدر الكبرى، وما لبثت حين اقتربت من هذا المكان أن نسيت الوهابيين والأشراف وغزوتهم، وأن هان عندي أمرها، فقد تعلق كل حسي بهذا المكان الذي طالما رسمته من قبل أمام ذهني، واستيقظت</p> |

| | |
|--|--|
| | <p>في ذاكرتي أدق التفاصيل من هذه الغزوة الأولى بين محمد وخصومه، وكدتُ أرى أبا بكر وعمر وحمزة وعليًا حاقين من حول الرسول. (ص/470)</p> |
| <p>يتأمل الكاتب في معركة بدر وقد حجها الغبار وكأنها مفصولة عن الزمان والمكان، رمزًا خالدًا لقوة الإيمان بالله وحده. هذا التصوير يعكس عظمة تلك اللحظة التاريخية ويعطيها طابعًا روحانيًا خالدًا.</p> | <p>2. لا أرى أمامي إلا غبارًا ثار نَقْعُهُ فحجَبَ الميدانَ وما فيه، وكأنما اقتطعه من نطاق الزمان والمكان ليجعله على الدهر آية لقوة الإيمان المتصل بالله، له الملك وله الأمر كله، وهذا هو الجو الآن ينكشف فأرى. (ص/474)</p> |

الأماكن العادية في كتاب 'في منزل الوحي'

ربط المكان العادي بسياق كتاب في منزل الوحي يُضفي متعة خاصة على القراءة. وتنقسم هذه الأماكن إلى فئات متعددة: الأماكن الخارجي، الأماكن المفتوحة، الأماكن المغلقة، والأماكن التاريخية، وغيرها. ويشمل الكتاب جميع هذه الأنواع، إلا أن بعضها فقط تمت مناقشته هنا.

• الأماكن الخارجية

هذه أماكن لا ترتبط مباشرة بالمعتقدات الإسلامية أو بمناسك الحج والتاريخ الإسلامي، ولكنها تُستخدم هنا بمهارة، حيث ترتبط بتدفق الكتاب وإضفاء طابع روحاني عليها. ومن خلال السرد، تصبح هذه الأماكن جزءاً مهماً في رحلة الحج، مما يُكسبها بعداً روحياً أو إلهياً.

| الأماكن الخارجي في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|---|---|
| التوضيح | ذكر المكان في الرواية |
| <p>المكان المنطلق: السويس</p> <p>مدينة السويس، الواقعة على خليج السويس في مصر، تُعد بوابة هامة لقناة السويس، حيث تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط عبر ميناء بورت توفيق. بدأ الكاتب رحلته للحج من هذا الميناء، حيث انطلقت السفينة نحو ميناء جدة ليبدأ شعائر الحج.</p> | |
| <p>يصور الكاتب رحلته إلى الباخرة وكأنها بداية رحلة مقدسة من بور توفيق في السويس، مستوحياً من مشهد البحر الأحمر وأمواجه المتلاحقة كأنها رسائل قادمة من جدة ترحب به وتدعوه إلى التوجه نحو البيت الحرام. يجسد وصفه بمهارة إحساس الشوق والرغبة تجاه</p> | <p>1. وبلغنا السويس، وأخذنا أوراق سفرنا، وأقلتنا السيارات إلى بور توفيق وإلى مرسى الباخرة 'كوثر'، وعلونا الباخرة ولما يكن الزوال قد آذن، وجعلت أطوف في أرجائها ألتمس من أعرف من المسافرين معي</p> |

| | |
|---|--|
| <p>الرحلة الروحانية المنتظرة.</p> | <p>عليها، وألقيت نظري على مياه البحر الأحمر في خليج السويس، فذهب خيالي مع الأمواج يتقلب بعضها فوق بعض، فخلتها آتية من جدة تحيينا وتعلن إلينا أنها في انتظار تحركنا إلى مرفأ البيت الحرام. (ص/35)</p> |
| <p>في هذه التأملات، يعبر الكاتب عن دهشته وإعجابه بوحدة الرسالات السماوية التي تربط بين الأنبياء وتجمعهم في الإيمان بالله. يرى في رحلة الحج اتصالاً رمزياً بين الماضي والحاضر وبين سيناء ومكة، في تأكيد على وحدة الإيمان ووحدة خالق الوجود.</p> | <p>2. يا عجباً! أيُّ خاطر هذا الذي يجول الساعة بنفسي وأنا أسطر مشاهدي؟! إن هذه البواخر تقوم بحجاج المسلمين من السويس إلى جدة لتصل بين مرفأ سيناء حيث كلم الله موسى، وبين مرفأ مكة حيث نزل الوحي على محمد، والذين يؤمنون برسالة محمد يؤمنون بإبراهيم وموسى وعيسى والنبين من قبل، لا يُفَرِّقون بين أحدٍ منهم، وهم لله مسلمون، تبارك الله ذو الجلال! إن كل ما في الحياة ليوحي اتصال الوجود كله في الزمان والمكان في وحدة هي الحُجَّة البالغة على وحدة باري الوجود - جلَّ شأنه.. (ص/36)</p> |
| <p style="text-align: right;">جدة</p> <p>جدة، بوابة الحرمين الشريفين، مدينة ساحلية تاريخية تتميز بموقعها الاستراتيجي على البحر الأحمر. تُعدّ ميناءً رئيسياً يربط بين مختلف الدول الإسلامية، حيث تكون أول نقطة يصل إليها الحجاج عند قدومهم لأداء فريضة الحج، مما يجعلها محطة أساسية للحجاج والمعتمرين قبل انتقالهم إلى مكة المكرمة.</p> | |

| | |
|--|---|
| <p>يعبّر الكاتب عن إعجابه بجدة من خلال تصويره لعماراتها الحديثة وتخطيطها الجميل، مما يعكس تطور المدينة وتقدمها. تبرز هذه الأوصاف جمال المدينة وجاذبيتها، حيث تظهر بشكل واضح حتى في ظلمة الليل.</p> | <p>1. اقتربنا من جدة وبدأت لناظرنا دورها وعماراتها، وازدادت وضوحًا على رغم نزول الظلام، وكان مظهرها يغري بالظن أنها خططت تخطيطًا جميلًا وبنيت على الطراز الحديث.. (ص/50)</p> |
| <p>يصف الكاتب الطريق خارج جدة بروح شاعرية، حيث يتأمل جمال الصحراء في هدوء الليل، مع النسيم العليل وضوء القمر الذي يغمر الوديان والكثبان الرملية بلمسة ساحرة. هذا الوصف يعكس رؤيته العميقة لجمال الطبيعة وسكونها في أراضي الجزيرة العربية.</p> | <p>2. وتابعت السيارة طريقها إلى خارج جدة وإلى ما وراءها من فضاء، وكان الليل قد اشتمل هذه الأرجاء جميعًا في صمته ورقة نسيمه، وأجلت بصري فيما حولي وجعلت ألتمس صورة بلاد العرب المرتسمة في دخيلة نفسي، فإذا ضوء القمر يسعد الليل بلجّته ويرسل تحيةً عذبة إلى صمت هذه الأودية قامت كثبان الرمل عن جانبيها.. (ص/52)</p> |
| <h3>الطائف</h3> <p>الطائف وجهة يقصدها بعض الحجاج رغم أنها ليست جزءًا من مناسك الحج، إذ يستمتع الزائرون بأجوائها المعتدلة ومعالمها التاريخية المرتبطة بالسيرة النبوية. كما تتميز المدينة بجبالها العالية ومزارعها، مما يجعلها ملاذًا شهيرًا خلال فصل الصيف في المملكة. في هذا الكتاب، خصص هيكل الفصل الثالث بأكمله لشرح الطائف نفسها.</p> | |
| <p>يشير الكاتب إلى الطائف كإحدى أقدم المدن في بلاد العرب، ويعتبرها بعضهم قديمة بقدرٍ يفوق مكة والمدينة. ويستند في ذلك إلى أسطورة تقول إن أرض الطائف أُحضرت من الشام بعد بناء الكعبة، بناءً على</p> | <p>1. الطائف مدينة من أقدم المدن في بلاد العرب، ولعله لا يغلو من يحسبها أقدم من مكة أو من المدينة، وإن كانت الأساطير تذهب إلى أن بقعة الأرض التي</p> |

| | |
|--|--|
| <p>دعاء إبراهيم عليه السلام.</p> | <p>تقوم منطقة الطائف عليها لم توجد ببلاد العرب إلا بعد أن أقام إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، فقد ذكروا أن إبراهيم لما جاء بهاجر وبإسماعيل إلى وادي مكة فأقام قواعد البيت توجه إلى الله بقوله: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ. عند ذلك أمر الله الملائكة فانتزعوا قطعة من أرض الشام ووضعوها في المكان الذي تقوم الطائف به، (ص/240)</p> |
| <p>يصف الكاتب بادية الطائف بأنها شاسعة وواسعة بما يكفي لتشكيل مملكة بحد ذاتها، لو أنها عمّرت مثل بعض الممالك الصغرى في أوروبا.</p> | <p>2. وبادية الطائف فسيحة مترامية الأطراف تجعل من الطائف قُطْرًا كاملاً ومملكة، لو أنها عمّرت لكانت كبعض الممالك الصغرى بأوروبا،. (ص/254)</p> |

• الأماكن المفتوحة

في كتاب في منزل الوحي، تحظى الأماكن المفتوحة بدور بارز في السرد، حيث تشمل الصحاري الشاسعة، والكثبان الرملية، والطرق الممتدة، والأودية الهادئة التي يعبرها الحجاج. تعكس هذه الأماكن طبيعة الحجاز الساحرة ورمزيتها الروحية، إذ تشكل فضاءً للتأمل والخشوع أثناء رحلة الحج، وتبرز الترابط بين الإنسان والطبيعة في سياق الرحلة الإيمانية.

| الأماكن المفتوحة في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|---|--|
| البحر | |
| <p>البحر في أدب الرحلات الحجازية يحمل أبعاداً رمزية وجمالية عميقة، حيث يُصور كوسيلة اتصال بين العوالم والأماكن، وكتجربة ذاتية وروحانية تعكس مشاعر الحجاج أثناء الانتقال إلى الأراضي المقدسة. يُضفي البحر على السرد تنوعاً في التصوير، إذ يجمع بين العظمة والخوف، وبين التأمل والرغبة.</p> | |
| ذكر المكان في الرواية | التوضيح |
| 1. وألقيتُ نظري على مياه البحر الأحمر في خليج السويس، فذهب خيالي مع الأمواج يتقلب بعضها فوق بعض، فخلتها آتية من جدة تحيينا وتعلن إلينا أنها في انتظار تحركنا إلى مرفأ البيت الحرام، (ص/35) | يُبرز الكاتب في هذا الوصف الطبيعة الحية للبحر الأحمر، حيث تتجلى الأمواج وكأنها رسل ترحب بالحجاج وتدعوهم إلى مكة. يعكس المشهد ارتباطاً روحانياً عميقاً بين الطبيعة والهدف الإيماني للرحلة. |
| 2. والشمس ساطعة يبعث ضياؤها إلى الأفئدة دفناً ينعشها ويزيل كل مخاوفها أن يصيبها من غدر البحر سوء، وهل يغدر البحر بمن أتوا إلى بيت الله حاجين | يصف الكاتب مشهداً يعكس الطمأنينة والتفاؤل، حيث يمتزج دفاء الشمس المشرق بالسكينة الروحية للحجاج، مما يبديد مخاوفهم من أخطار البحر. يربط السرد بين الطبيعة والمقصد الديني، مما يعزز الشعور بالأمان |

| | |
|---|--|
| والثقة في الرحلة المباركة. | معتمرين؟ (ص/47) |
| كثبان الرمل | |
| وصف الكاتب كثبان الرمل بحيوية وجلال، حيث أضفى عليها طابعًا حيًا يحيط بالأودية بانسجام مع الجبال الشامخة، مما يعكس عظمة الصحراء وامتدادها. | 1. وأجلت بصري فيما حولي وجعلت ألتمس صورة بلاد العرب المرتمسة في دخيلة نفسي، فإذا ضوء القمر يسعد الليل بلجته ويرسل تحية عذبة إلى صمت هذه الأودية قامت كثبان الرمل عن جانبيها، وارتفعت جبال يحجب سقف السيارة عنّا قننها، (ص/51-52) |
| يصف الكاتب المشهد بإحساس عميق يجمع بين الطبيعة والإيمان، حيث تحيط الأودية بكثبان الرمل وتحجمها الجبال، وقد أتشحت من جلال هذا النداء المنبعث من قلوب كلها الإيمان والإذعان بما ملأها خضوعًا وإذعانًا. (ص/52) | 2. والأودية تحيط بها كثبان الرمل وتحجمها الجبال عما وراءها تردّد تلبية الملبين من أهل هذه القوافل، وقد أتشحت من جلال هذا النداء المنبعث من قلوب كلها الإيمان والإذعان بما ملأها خضوعًا وإذعانًا. (ص/52) |
| جبال | |
| يُبرز السرد عن الجبال البعد الروحي والتاريخي لتلك الأماكن، حيث تُصور الجبال مثل جبل النور وثور كرموز للتأمل والتجربة النبوية. يتضمن هذا الكتاب وصفًا للعديد من الجبال مثل جبل الرضوى، جبل ثبير، جبل كر، جبل كراء، وما إلى ذلك، ويضيف وصف الجبال بُعدًا جماليًا وجغرافيًا يعكس تأثير | |

| | |
|---|---|
| الطبيعة على الرحالة ومشاعرهم. | |
| <p>يُبرز الكاتب قدسية <u>جبل النور</u> وغار حراء باعتبارهما معلمين بارزين في السيرة النبوية، حيث شهد الغار نزول الوحي لأول مرة. تعكس هذه الزيارة ارتباط المسلمين العميق بالمواقع التي تحمل بُعدًا روحيًا وتاريخيًا في حياتهم.</p> | <p>1. هؤلاء يحرصون على أن يصعدوا جبل النور، وأن يصلوا إلى الغار الذي اتخذته محمد مقرًا، والذي جاء إليه جبريل أثناء مقامه به يلقي عليه أول ما جاء به من القرآن: <u>اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ</u>، وهؤلاء يرون في الجبل وفي الغار فوقه أقدس مكان تجب له الزيارة بعد حج البيت، (ص/176)</p> |
| <p>يُبرز الكاتب أهمية جبل ثور وغاره في السيرة النبوية كرمز لصمود الهجرة النبوية التي شكلت نقطة تحول تاريخية فارقة بين عهدي الوثنية والتوحيد.</p> | <p>2. وجبل ثور وغاره يتصلان بهذه القصة أبلغ اتصال، وجدير بكل ما اتصل بها أن يخلد على التاريخ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد أصبحت الهجرة مبدأ تاريخ لذاتها، فإنها فصلت على الزمان بين عهد الوثنية والشرك بالله وعهد التوحيد القائم على أسس الأسس الروحية والعقلية والخلقية. (ص/191-192)</p> |
| الأسواق | |
| <p>يُبرز سرد الأسواق في أدب الرحلات الحجازية دورها كمراكز للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث تعكس تنوع الشعوب والأنشطة المرتبطة بالحج. كما توثق تلك السرديات التراث المحلي وعاداته، مما يُضفي طابعًا حيويًا على وصف المكان والزمان.</p> | |

| | |
|---|---|
| <p>وصف سوق الطائف يُبرز التشابه الثقافي بين أسواق الحجاز ومصر، مع تسليط الضوء على تفاصيله الحياتية الأصيلة.</p> | <p>1. مررنا بسوق الطائف في انحدارنا من مسجد ابن عباس إلى مسجد الهادي، وسوق الطائف كما رأيت أشبه شيء بما نراه في حوانيت القاهرة إذ نمُرُ بالفحّامين والمُعزّيلين وتحت الربيع، (ص/247)</p> |
| <p>يُبرز السرد مشاهد الأسواق في منى وعرفات وسط أجواء الحج، حيث تمتزج أضواؤها الحيوية بالروحانية، مما يعكس استعداد التجار والحجاج لأداء المناسك في تناغم بين التجارة والعبادة.</p> | <p>2. حتى طالعتنا أضواء كثيرة منتشرة عن يسارنا، تلك أضواء سوق منى يتأهب أصحابها لإفاضة الناس من عرفات بعد غد إليها، ثم مررنا بعد قليل بضوء أقل من ضوء منى دلنا على أننا إزاء المزدلفة، وتابعتنا التصعيد في الجبل على هون بين هضاب ورمال انبسطت عنها أشعة اللجين من ساهر السموات، وحاذينا بناء، ذكر أهل مكة أنه مسجد نَمِرة، بدت بعده أضواء قيل: إنها سوق عرفات، (ص/67-68)</p> |

· الأماكن المغلقة

في كتاب في منزل الوحي، تبرز الأماكن المغلقة مثل السفن التي تقل الحجاج، والمساجد كمراكز للعبادة، والغرف التي تتيح لحظات من الراحة والتأمل أثناء الرحلة. تعكس هذه الأماكن تجربة داخلية مليئة بالخشوع والسكينة، حيث تشكل فضاءات روحية واجتماعية تُعمق ارتباط الحجاج بمقاصد الرحلة ومناسكها.

| الأماكن المغلقة في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|---|---|
| السفينة | |
| لسفينة في أدب الرحلات الحجازية ليست مجرد وسيلة نقل، بل تمثل عنصراً سردياً يضفي أبعاداً متعددة على النصوص، تجمع بين المشقة والراحة، وبين التجربة الجماعية والتأمل الفردي. يُوظف الكُتّاب السفينة كرمز للتنقل الجسدي والروحي في آنٍ واحد. | |
| التوضيح | ذكر المكان في الرواية |
| الوصف يصور السفينة التي تقل الحجاج إلى مكة ليس مجرد سفينة، بل كرمز إيماني مُشرق. فهي شعلة من نور الحق ترشد المؤمنين في رحلتهم. والحجاج أنفسهم مصدر فخر كبير، فهم الذين يهللون ويكبرون بأصواتهم مجيبيين النداء المقدس، والمجاهدون في سبيل الله، والناسيون هموم الدنيا ليتفرغوا تماماً لعظمة جلاله. | 1. لن تكون هذه الباخرة في تلك الساعات القدسيّة مطية أجسام تجري فوق الماء، بل قبساً من ضياء الهدى ونور الحق أفضّته على عبادك فعادوا به إليك مهللين مكبرين مستجيبين إلى ندائك القدسي الأطهر، باعك كلُّ منهم نفسه مجاهداً في سبيلك، ونسي كلُّ منهم هذه الحياة الدنيا فانيًا في جلال جنابك.. (ص/34-35) |
| يشير الكاتب إلى أن السفينة وأجواءها قد اكتست بطابع | 2. ولو أن «كوثر» كانت مسافرة في رحلة |

| | |
|--|---|
| <p>من الروحانية والتوقير، حيث تحوّل كل شيء فيها من أجواء الترفيه إلى أجواء العبادة والتأمل تماشياً مع مقصد الرحلة إلى بيت الله.</p> | <p>الصيف إلى أوروبا لسمعنا الموسيقى على العشاء، ولشهدنا فيلماً من أفلام السينما المسلمية إن لم تحرك الموسيقى شجن ذوي الشجن إلى الرقص، أما وهي مسافرة إلى بيت الله بالذين يريدون وجهه فقد نسيَتْ ما أَلْفَتْ من ألوان المسرّة الساخرة، واتشحت برداءٍ من الحكمة هو وحده الجدير بوجهتنا، (ص/40)</p> |
| <p>يشعر الكاتب بالحنين إلى صوت إذاعة مألوف من مصر ليخفف من ملل السفر، لكن سكون الليل وهدوء السفينة يعمقان شعوره بالروحانية. فبدلاً من الاعتماد على التسلية، يجد سكينه قلبه في ذكر الله وتلبية دعائه، مما يحول أجواء السفينة إلى حالة من التأمل والتقرب الروحي.</p> | <p>3. واشتد بي الشوق أن أسمع إذاعة من مصر على الأقل أتداوى بها من ملال السفر على الماء، فلما جنّني الليل واشتملت الباخرة سكينته ولم أسمع إذاعة ولا موسيقى، تداويت عن طمأنينة العاطفة بطمأنينة القلب، وادّكرت ما أنا مقبل عليه، فطابت إلى سكينه القلب نفسي، وجعلت من ذكر الله وتلبية دعائه أنيسي،.. (ص/40)</p> |
| <h3>المساجد</h3> <p>في أدب الرحلات الحجازية، يحتل سرد المساجد مكانة بارزة تعكس قيمتها الروحية والتاريخية. يبرز الكتاب جمالها المعماري وأثرها في النفوس، مما يجعلها محطات للتأمل والخشوع خلال الرحلة.</p> | |
| <p>يوضح الكاتب الطابع البسيط للمساجد الأثرية في مكة مقارنة بالمسجد الحرام، الذي يظل الوجهة الرئيسية للعبادة. يُبرز الوصف بساطة التصميم والهيكل، مما</p> | <p>1. المساجد الأثرية بمكة لا شيء من الجمال ولا من الفن فيها، ولا عجب، فهي لم تُقَم للعبادة ولا لاجتماع الناس بها، فالناس</p> |

| | |
|---|---|
| <p>يعكس تركيز هذه المساجد على الروحانية والعبادة بدلاً من الزخرفة أو الفخامة.</p> | <p>من أهل مكة ومن زائريها من حجيج بيت الله يقصدون المسجد الحرام ولا يقصدون مسجداً غيره؛ لذلك نرى هذه المساجد الأخرى لا تزيد على مربع من الأرض تحيط به جدران غاية في البساطة، يعلو من ناحية المحراب سقف ساذج يستند إلى عمود ليست دون السقف سداجئةً في بنائها، وَقَلَّ أن تجد بالمسجد حصيراً أو قشاً أو أي فرش يُشعرك أن الناس يصلون فيه، بل الأرض فيه عارية يكسوها التراب، (ص/166)</p> |
| <p>يُبرز الكاتب أهمية المواقع الدينية في منى من خلال وصف مسجدي الكوثر والخيف، حيث يرتبط الأول بحدث ديني مميز بوحى سورة الكوثر، والثاني بتاريخه كموقع عبادة مركزي في الصدر الأول من الإسلام. يعكس السرد الأهمية الروحية والتاريخية لهذه الأماكن في تعزيز تجربة الحج ومكانتها في الذاكرة الإسلامية.</p> | <p>2. وبمئى مسجدان يقعان في سفح ثبير، وأحدهما أقرب إلى طريق مكة من الآخر، فأما الأول فمسجد الكوثر، وهو مسجد صغير يقوم في مكان يروى أن النبي ﷺ كان به حين أوحى الله إليه سورة الكوثر، أما الآخر فمسجد الخيف، وهو أكبر مسجد بين مكة وعرفات بعد المسجد الحرام، وكان أكبر من المسجد الحرام في الصدر الأول من الإسلام. (ص/86)</p> |
| <p>يسلط الكاتب الضوء على مسجد الخيف في منى كموقع ذي أهمية تاريخية ودينية عميقة. يربط بين الأحداث النبوية العظيمة التي وقعت فيه، مثل صلاة النبي ﷺ في حجة الوداع، والاجتماعات التاريخية للأحزاب، مما يبرز مكانته كرمز للعبادة والتواصل بين المسلمين عبر</p> | <p>3. ومسجد الخيف قديم العهد، حتى لتروي بعض كتب التاريخ أن أربعين أو خمسة وأربعين نبياً صلّوا فيه، ويذكر بعضهم حديثاً عن الرسول ﷺ أن هذا المسجد هو الذي تباعث فيه الأحزاب من العرب</p> |

| | |
|---|--|
| <p>العصور.</p> | <p>واليهود على قتال محمد والمسلمين بالمدينة، وأن الأحزاب خرجوا منه لغزوة الخَنْدَق، وبمسجد الخيف صلى رسول الله في حجة الوداع حين مقامه بمئى أيام التشريق، ولا يزال المسلمون يصلون به يوم النحر وأيام الجمرات، فهو وحده الذي يتسع لعشرات الألوف منهم إذ يجتمعون للعبادة والتعارف. (ص/86)</p> |
| <p>يعرض الكاتب أهمية مسجدي الراية والجن، موضحًا ارتباطهما بأحداث تاريخية وروحانية في حياة النبي ﷺ. يُبرز مسجد الراية كرمز لانتصار الفتح، بينما يُشير إلى مسجد الجن كموقع للوحي إلى الجن، مما يثري السرد بعمق ديني وتاريخي يعكس أهمية المكان في السياق الإسلامي.</p> | <p>4. وقفنا قبالة مقبرة المعلاة عند مسجدين متجاورين؛ أحدهما مسجد الراية، والآخر مسجد الجن، وسُيَّ الأول مسجد الراية لما يذكر من أن الرسول ﷺ ركز رايته عام الفتح حيث يقوم اليوم هذا المسجد، وسُيَّ الآخر مسجد الجن؛ لأن الله أوحى إلى النبي في هذا المكان الذي كان الجن يستمعون فيه إليه: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. (ص/166)</p> |

تحليل سرد الأماكن في كتاب 'في المنزل الوحي'

في أدب الرحلة الحجازية، يعد المكان تقنية سردية مركزية تعكس البُعد الروحي والتاريخي للموقع، حيث يتحول من مجرد فضاء جغرافي إلى عنصر يضحج بالمعاني الدينية والانفعالات النفسية للرحالة. لا توجد مكان هنا تتم تصويرها كأماكن عادية، بل كفضاءات إيمانية تمنح القارئ بُعدًا جديدًا لتجربة الحج، إذ يُوظف المكان ليكون شاهداً على مشاعر التقديس والرهبنة، مما يعمق اتصال الرحالة بروحانية المكان ويمنح السرد ثراءً وقرباً وجداناً.

يبرز الكاتب مهارته في وصف الأماكن المقدسة وغير المقدسة، متناولاً العمق الروحي والرمزية الدينية لتلك الأماكن. ليس من المستغرب أن يجد الكاتب روحانية في الأماكن المقدسة مثل المسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرها من المواقع المقدسة. ومع ذلك، من اللافت أنه يربط حتى الأماكن غير المقدسة بقدسية الإسلام وروح الحج.

يبدأ هيكل بسرد الأماكن المفتوحة مثل البحر الأحمر وخليج السويس، مستخدماً أسلوباً تصويرياً يعكس تفاعل الطبيعة مع رحلة الحجاج الروحية. بينما يشاهد الأمواج في ميناء سيوس، يتخيلها رسائل قادمة من جدة تدعوه هو ورفاقه من الحجاج إلى أداء مناسك الحج. ففي وصفه للبحر، يظهر مدى ارتباط الأمواج بوصول الحجاج إلى مكة، ليجعل من المكان رمزاً يجسد وحدة الزمان والمكان في خدمة العبادة.

ينتقل السرد من الأماكن المفتوحة إلى الأماكن المغلقة داخل مكة المكرمة، حيث يصف المسجد الحرام والكعبة المشرفة بعبارات تمتزج فيها البساطة والجلال. يعكس الكاتب العلاقة الوثيقة بين قدسية المكان وتفاعل الحجاج الروحي معه، إذ يجعل من الكعبة والمسجد الحرام مركزاً روحياً يمثل المحور الأساسي للرحلة. كما يعرض أماكن مثل غار حراء وغار ثور، مع التركيز على عمق ارتباطها بالتاريخ الإسلامي والرسالة النبوية.

أما في المدينة المنورة، فقد قدّم هيكل وصفاً يتجاوز الجوانب المادية ليشمل أبعاداً تاريخية وروحانية. تناول الكاتب المسجد النبوي وجنة البقيع ومسجد قُباء، مشيراً إلى أهميتها الدينية والتاريخية. يبرز السرد كيف أن المدينة المنورة تشكل موطناً للطمأنينة والسلام الروحي للحجاج، حيث يقفون على إرث النبي صلى الله عليه وسلم ويستشعرون روح الإسلام.

في الختام، يدمج هيكل بين وصف الأماكن المقدسة وغير المقدسة مثل الطائف وجدة، يغوص عميقاً في تصوير جميل للروحانية، رابطاً تجربته بحجاج آخرين في جدة ومستحضراً الأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الأماكن عبر الزمن، مسلطاً الضوء على دورها في تعزيز تجربة الحج رغم أنها ليست من الشعائر الأساسية. يتضح من خلال الكتاب أن السرد المكاني كان أداة فعالة في نقل مشاعر الإيمان والانتماء إلى الأماكن المقدسة.

• خلاصة تحليل سرد الأماكن في الكتاب

1. المكان في أدب الرحلة الحجازية يعكس معاني روحية ودينية.
2. الأماكن تُصور كشواهد على مشاعر التقديس والانفعال النفسي للحجاج.
3. وصف البحر الأحمر وخليج السويس يعكس تفاعل الطبيعة مع رحلة الحجاج الروحية.
4. الأمواج تُصور كرمز للاتصال بين الزمان والمكان في تجربة الحج.
5. الكعبة والمسجد الحرام يوصفان ببساطة وجلال يبرز قدسيتهما وتأثيرهما الروحي.
6. غار حراء وغار ثور يتم ربطهما بالتاريخ الإسلامي والرسالة النبوية.
7. المسجد النبوي ومسجد قباء وجنة البقيع تُبرز كأماكن طمأنينة وسلام روحي.
8. يتم ربط أماكن المدينة المنورة بتاريخ الإسلام وتجربة الحجاج الروحية.
9. أماكن مثل الطائف وجدة تُبرز بأبعاد روحانية وتاريخية.
10. الأماكن غير المقدسة تعزز تجربة الحج رغم أنها ليست من الشعائر الأساسية.
11. السرد المكاني ينقل مشاعر الإيمان والانتماء إلى الأماكن المقدسة بعمق.

أنواع الزمن في كتاب 'في منزل الوحي'

تعريف الزمن

في المفهوم اللغوي جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ "الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيرة في المحكم الزمن والزمان هو العصر وجمع لكلمة زمن، وأزمان، وأزمنة، وزمن زامن، وأزمن الشيء طال عليه الزمان والاسم في ذلك الزمن والأزمنة وأزمن واحد زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد ويكون الزمان أحد شهرين إلى ستة أشهر".²¹³

وقال ابن منظور: "الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة، وعلى مدة الدنيا كلها والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه".²¹⁴

يعد الزمن من بين العناصر الأساسية التي تبنى عليها الرواية إذ يستحيل علينا إيجاد فعل سردي معزول عن الزمن لكونه يكتسب معاني مختلفة "ولأنه يأخذ أبعاد شتى في مختلف المجالات الاجتماعية، والنفسية والعلمية...".²¹⁵

²¹³ ابن منظور، لسان العرب، ج 13، صادر بيروت، 1992، ط1، ص/192.

²¹⁴ المصدر نفسه، ص/192.

²¹⁵ النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004 ط1، ص/16.

أنواع الزمن في كتاب 'في منزل الوحي'

الزمن الموضوعي/ الزمن الطبيعي

يتسم الزمن الطبيعي بحركته المتقدمة إلى الأمام باتجاه الآتي ولا يعود إلى الوراء أبداً "ويكون متسلسلاً ويبدأ من نقطة معينة ثم يسير إلى الأمام حتى تنتهي القصة والأحداث تكون مرتبة بحسب الزمان حدثاً بعد آخر دونما ارتداد في الزمان".²¹⁶

| الزمن الموضوعي في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|--|
| التوضيح | ذكر الزمن الموضوعي في الرواية |
| <p>يستخدم الكاتب تقنية الزمن بدقة في سرد رحلته للحج، حيث يوثق الأحداث بشكل متسلسل بدءاً من التحضيرات كالإجراءات الرسمية والتطعيمات وحتى موعد سفره المحدد في 25 فبراير 1936م (2 ذو الحجة 1354 هـ). يعكس هذا السرد اهتمامه بتفاصيل الزمن لإبراز الجوانب الروحية والعملية للحج، مما يمنح القارئ شعوراً بالواقعية والترتيب ويبرز التداخل بين المقدس والدنيوي في التجربة.</p> | <p>1. ونزلت على حكم الإجراءات الرسمية التي تجب على من يفرض الحج، فقدّمت بذلك طلباً إلى الحكومة ودفعت نفقات السفر، وأسلمت نفسي للتطعيم ضد الجدري والحصن ضد الكوليرا والتيفود، وحددت موعد سفري على الباخرة «كوثر» التي تبحر السويس يوم الثلاثاء 25 من فبراير سنة 1936م. (ص/33)</p> |
| <p>يُظهر الكاتب دقة في تصوير الزمن من خلال تحديد مراحل رحلته بوضوح، حيث يصف أداءه لعمرة التمتع فور وصوله إلى مكة، مشيراً إلى أن ذلك حدث قبل يومين فقط من بدء مناسك الحج الأكبر. يعكس هذا السرد ترابط الأحداث الزمنية في الرحلة، مما يعزز شعور</p> | <p>2. فلما أتممت أشواط السعي السبعة وقف بي المطوّف عند حَلّاقٍ في حانوت من الحوانيت التي تزحم المسعى قصّ لي بعض شعرات من جانب رأسي الأيمن، وبارك عليّ أن أتممت عمرتي، وبذلك آن</p> |

²¹⁶ زعرب، صبيحة عودة، غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2006،

| | |
|--|---|
| <p>القارئ بالاستمرارية والانسجام بين الطقوس والمراحل الزمنية.</p> | <p>لي أن أعود إلى منزلي وأن أحل إحرامي إحلال التمتع، كيما أعود إليه بعد يومين حين أؤدي فريضة الحج الأكبر. (ص/60)</p> |
| <p>يبرز الكاتب أهمية الزمن في السرد من خلال تحديد دقيق ليوم "التروية" (8 ذو الحجة) وتفكيره بمراحل الحج التالية، بدءاً من عرفات إلى المشعر الحرام ثم منى، وحتى طواف الحج وسعيه. يعكس هذا التسلسل الزمنية الدقيق ترابط المناسك ويُظهر التزامه الديني ووعيه بأهمية الوقت في أداء الفريضة.</p> | <p>3. أصبحت يوم الإثنين الثامن من ذي الحجة، يوم التروية، أفكر في عرفات والذهاب إليها محرماً والمبيت بها، وقضاء ما يجب من شعائر الحج فيها والنزول عنها إلى المشعر الحرام بالمزدلفة، وإلى الصخرات بمئى لأتمم بعد ذلك طواف الحج حول الكعبة وسعيه بين الصفا والمروة، فأكون قد قضيت الفرض الخامس من فرائض الدين الحنيف، (ص/65)</p> |
| <p>يُبرز الكاتب في يوم عرفة أهمية هذا اليوم باعتباره الركن الأعظم للحج، مستشهداً بحديث النبي ﷺ: "الحج عرفة" وبتفاصيل القرآن عن الوقوف بعرفة والإفاضة منه. يعكس هذا السرد أهمية الزمن في ترتيب المناسك، حيث يُظهر يوم عرفة كمحور أساسي يربط بين شعائر الحج ويؤكد مكانته الزمنية والروحية.</p> | <p>4. وأجاب أحد الحاضرين بقوله: من المأثور عن النبي — عليه السلام — أنه قال: «الحج عرفة»، ولقد ورد في القرآن ذكر عرفات والإفاضة منه بعد الوقوف به، والمشعر الحرام وذكر الله عنده؛ فالقول: بأن فرائض الحج لم ترد في القرآن فيه تجاوز غير جائز. (ص/76)</p> |
| <p>يصف الكاتب أيام التشريق، التي تأتي بعد الإفاضة من عرفات والمبيت بمزدلفة، كفترة زمنية تمتد لثلاثة أو أربعة أيام يقضيها الحجاج في منى لرمي الجمرات. يعكس السرد التزام بين الطقوس وتسلسلها الزمني، مع</p> | <p>5. يقف الناس إذ يُفيضون من عرفات عند المشعر الحرام يذكرون الله عنده، ثم ينحدرون إلى منى ليقيموا بها أيام النحر ثلاثة أو أربعة يرمون أثناءها الجمرات،</p> |

| | |
|---|--|
| <p>تسليط الضوء على استمرارية تسمية "أيام التشريق" التي ورثها الإسلام من التقاليد العربية وأضاف إليها بُعدًا دينيًا.</p> | <p>وكان العرب قبل الإسلام يسمون أيام النحر هذه أيام التشريق، ولم يمح الإسلام هذا الاسم وإن غلب عليه أيام النحر، (ص/78)</p> |
| <p>يُظهر الكاتب التزامه بالتسلسل الزمني لمناسك الحج عند وصفه مغادرته من عصر اليوم الثالث من أيام النحر بعد رمي الجمرات. يعكس هذا السرد دقة الزمن في إنهاء مرحلة من المناسك والانتقال إلى مكة لإتمام باقي الشعائر، مما يُبرز التنظيم الزمني المتناغم للحج.</p> | <p>6. أزمعتُ الانصراف عن مئى عصر اليوم الثالث من أيام النحر، ومررنا بالجمرات فرجمناها، ثم أقلتنا السيارة تؤم مكة، (ص/92)</p> |
| <p>يحدد الكاتب بدقة زمن مغادرته مكة إلى المدينة عصر يوم الاثنين 23 مارس (29 من ذي الحجة)، مما يُظهر التزامه بالسرد الزمني المتسلسل في رحلته. يُبرز هذا التحديد أهمية الزمن في تأطير الأحداث وربط وداع مكة بأبعادها الروحية والاجتماعية، مما يمنح القارئ شعورًا بالتواصل والاستمرارية بين مراحل الرحلة.</p> | <p>7. خرجنا إذن من مكة عصر يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر مارس بعد أن ودعني بدار مضيبي من أنست إليهم وأنسوا إلي من شباب مكة، (ص/307)</p> |
| <p>يوظف الكاتب الدقة الزمنية والتسلسل في سرد انتقاله من المدينة المنورة إلى بدر، مشيرًا إلى توقيت مغادرته عصر الجمعة، 11 محرم/3 أبريل، وترتيباته للرحلة قبل مغادرة الباخرة ظهر الأحد. يعكس السرد اهتمامه بالربط بين التزامات الوقت والتنقل بين الأماكن، مما يُبرز التنظيم الزمني الذي يطبع رحلته وتفصيلها الروحية والتاريخية.</p> | <p>8. في غدٍ نبرح المدينة لأزور بدرًا وشهداءها ولأدرك الباخرة التي تُبحر من ينبع إلى السويس، فغدُ الجمعة، والباخرة تبحر ظهر الأحد، (ص/455)</p> <p>9. خرجنا إذن من المدينة عصر الجمعة، الحادي عشر من شهر المحرم، الثالث من شهر أبريل، نقصد المُسجِد لِقضاء الليل «بأوتيلها» والقيام بكرة الصباح إلى</p> |

| | |
|--|--|
| | بدر، (ص/463) |
| <p>يُظهر الكاتب استمرار استخدامه الدقيق للزمن في السرد عند وصف وصوله إلى الطور ظهر الأربعاء 8 أبريل، مُبيناً تفاصيل يومه بدءاً من تناول الطعام على السفينة إلى النزول للمحجر.</p> | <p>10. وأرسينا بالطور ظهر الأربعاء الثامن من أبريل، فتناولنا طعام الغداء على ظهر السفينة، ثم نزلنا إلى المحجر، (ص/486)</p> |
| <p>يواصل الكاتب الالتزام بتوثيق الزمن بدقة في سرد رحلته، مشيراً إلى خروجه من المحجر إلى السفينة "كوثر" ظهر السبت 11 أبريل.</p> | <p>11. خرجنا من المحجر إلى «كوثر» ظهر السبت الحادي عشر من أبريل، فلما وقع نظري عليها وتخطيتُ رصيف المرفأ إليها هزني إحساس كذلك الذي يهزنا حين نلقى صديقاً، (ص/487)</p> |
| <p>يختتم الكاتب رحلته بتوثيق دقيق لوصوله إلى السويس صباح الأحد، مما يعكس التزامه بالسرد الزمني الطبيعي الذي كان حاضراً طوال رحلته. يشير إلى الفترة الزمنية بين توقف محركات الباخرة وما تبعها، مما يضيف إحساساً بالواقعية ويُبرز أهمية الزمن كإطار يُنظم التجربة ويعكس اختتامها بترتيب منطقي ومتناسق.</p> | <p>12. وبلغنا السويس صباح الأحد، وفي الساعة التي انقضت بين وقوف محركات الباخرة، (ص/487)</p> |

الزمن الوصفي

الزمن الوصفي "هو إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية للقارئ على زمن الحالة البدئية الوصفية للشخصيات العوامل".²¹⁷

يتميز هذا النوع من الزمن بحضوره القوي في الأعمال الأدبية وخاصة النصوص الرحلية، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور الأحداث وحركة الشخصيات. يُساهم الزمن في تشكيل بنية الرحلة وظروفها، مما يعكس تجربة الكاتب ويُضفي واقعية على السرد.

| الزمن الوصفي في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|---|--|
| التوضيح | ذكر الزمن الوصفي في الرواية |
| وصف الكاتب الأجواء العامة والمشاعر أثناء صعود الأميرة خديجة وحاشيتها إلى الباخرة. هنا يستخدم الزمن الوصفي لتقديم صورة حية عن الحشد وردود أفعال الناس، مما يجعل القارئ يتخيل المشهد بدقة. | 1. ولقد أحدث صعودها وصعود حاشيتها إلى الباخرة هَرْجًا بين الذين سبقوهم إليها، ولم أجد لهذا الهرج مسوغًا إلا في كثرة المؤدِّعين الذين كانوا أضعاف المسافرين إلى الحج عددًا؟ (ص/37) |
| يصور الكاتب لحظة روحانية غامرة على سطح الباخرة، حيث يتغير حال الحجاج بالكامل من حيث المظهر والتصرفات والروحانية، ليعيشوا لحظة نقاء خالصة تتجاوز شواغل الحياة الدنيا، مع التركيز على الطهارة والإخلاص في الاستعداد للحج. | 2. ثم نلتقي جميعًا على سطح الباخرة وقد تغير لباسنا، وتغيرت تحيتنا، وتغير حديثنا، جميعًا نلبس غير المخيط، ونحيي بالتلبية، وننسى من شئون الحياة كل شيء سوى الحج ومناسكه، يا لرهبة الموقف وروعة جلاله! يجب أن ننسى كل شيء إلا أننا جند الله لبئنا دعاءه، ويجب |

²¹⁷ عدي، عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، علم الكتب الحديث، الأردن، 2011،

| | |
|---|---|
| | <p>أن يكون كلامنا طاهرًا، وقلوبنا طاهرة، وأعمالنا طاهرة، وأن يكون كل وجودنا خالصًا لله وحده، خالصًا إخلاص صدق لا تشويه شائبة ولا ترقى إليه ريبة من أوهام هذه الحياة الدنيا. (ص/42)</p> |
| <p>يستخدم الكاتب الزمن ليخلق تباينًا بين الليل والصورة الذهنية لبلاد العرب، مما يمنح القارئ شعورًا بالهدوء والتأمل في المشهد. يجمع النص بين الحاضر المتجسد في نسيم الليل وضوء القمر، والماضي الذي يظهر في صورة بلاد العرب المترسمة.</p> | <p>3. وتابعت السيارة طريقها إلى خارج جدة وإلى ما وراءها من فضاء، وكان الليل قد اشتمل هذه الأجزاء جميعًا في صمته ورقة نسيمه، وأجلت بصري فيما حولي وجعلت ألتمس صورة بلاد العرب المترسمة في دخيلة نفسي، فإذا ضوء القمر يسعد الليل بلجته ويرسل تحية عذبة إلى صمت هذه الأودية قامت كثنان الرمل عن جانبيها، (ص/51-52)</p> |
| <p>في هذه الفقرة، يوظف الكاتب الزمن لربط الحاضر بالماضي بطريقة ديناميكية. في البداية، يستحضر مشهدًا زمنيًا مستمرًا حيث تترافق السيارة مع الجبال والقوافل التقليدية.</p> | <p>4. وانطلقت السيارة في طريق مني تسيرنا جبال العقبة عن يسارنا وطلّاع «ثبير» عن يميننا، وفي لحظة غابت الإبل ولم يبق يزحمننا منها قافلة ولا بعير؛ ذلك أنا خرجنا عن طريقنا إلى طريق آخر استحدثته الحكومة القائمة، وخصت به السيارات تنفيسًا عن القوافل وعن السيارات جميعًا، (ص/67)</p> |
| <p>الزمن في النص يتغير فجأة مع انهيار المطر دون سابق إنذار، مما يعكس عنصر المفاجأة والطبيعة غير</p> | <p>5. وآنًا لكذلك إذ تفتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر، هَمَى غير منذر برشاش أو مؤذن</p> |

| | |
|--|--|
| <p>المتوقعة للحدث. يتبع ذلك استجابة سريعة ومنظمة تعكس مرونة البشر في مواجهة الطوارئ، حيث لجأوا إلى سيارة "اللوري" واتخذوا تدابير وقائية لحماية أنفسهم.</p> | <p>برذاذ، أين أين المفرة؟! طار أحد أصحابنا إلى حيث النساء والأطفال، فألفاهم أحكموا أمرهم إذ لجئوا إلى سيارة كبيرة من سيارات «اللوري»، ونشروا فوقهم قماشاً من الخيمة التي سقطت أثناء احتمائهم بها، فوقاهم المطر والريح، (ص/73)</p> |
| <p>الزمن الوصفي هنا يُظهر حالة التناقض بين الأصالة والحدثة، حيث يصف مكة بأنها لم تتأثر بروح العصر الحديث، مما يضع القارئ أمام مشهد يعكس الثبات التاريخي وعدم مواكبة التغيير.</p> | <p>6. ما أستشف منه روح عصرنا الحاضر في العمارة أو في نظام الحياة، فعدت من محاويتي مقتنعاً بأن مكة القديمة الخالدة ما تزال بريئة من هذا الروح، وإن لم يبق فيها كذلك شيء من الروح العربي القديم مما تحدثنا به تواريخ مكة من عدة قرون. (ص/95)</p> |
| <p>يصور الحالة التاريخية لجبل حراء وتغيراته الزمنية تحت تأثير الحكام والظروف السياسية، مما يعكس التحول بين الماضي والحاضر.</p> | <p>7. ويتجه بعضهم بنظره إلى حراء وإلى الغار الذي بأعلاه، ولقد قلَّ عدد هؤلاء بعد حُكْم النجديين الحجاز، وبعد أن هدموا القبة التي كانت مقامة فوق هذا الجبل، (ص/176)</p> |
| <p>هنا يظهر الزمن الوصفي مجدداً لتقديم صورة دقيقة عن منزل فليبي، موقعه، وتصميمه، مما يُساعد القارئ</p> | <p>8. وفي صباح يوم الإثنين زرتُ «فليبي» بمنزله على موعد بيننا، وأفضيتُ إليه بأنني</p> |

| | |
|---|--|
| <p>على تصور المشهد وإدراك الطابع البسيط لمنزله مقارنة بمنازل مكة الأخرى.</p> | <p>ذاهب إلى الطائف بعد الظهر، ويقع منزل «فلي»²¹⁸ بحي جَزُول في أطراف مكة فوق ربوة يسيرة الارتفاع. (ص/228)</p> |
| <p>في هذا المقطع، يظهر الزمن الوصفي من خلال وصف المكان والزمان المتعلق بالحدث التاريخي الذي يرتبط بالحصار الإسلامي للطائف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. الزمن الوصفي يُستخدم هنا لإحياء ذكرى الماضي من خلال ربط الموقع الجغرافي (مسجد ابن عباس وقبور الصحابة) بالحدث التاريخي، مما يضيف طابعاً تصويرياً يجمع بين الماضي والحاضر.</p> | <p>9. وذهبت بنا السيارة إلى مسجد ابن عباس القائم حيث كان جيش المسلمين الذين حاصروا الطائف على عهد النبي، والمجاور لقبور الصحابة الذين استشهدوا في هذا الحصار، إذ تقع القبور في مكان مسور بجوار المسجد من ناحية الشمال. (ص/243-244)</p> |
| <p>في هذه الجملة، يُستخدم الزمن الوصفي ليظهر كيف أن الشخص في لحظة محددة، بعد تقدمه في المسجد، يغمره شعور مفاجئ يفقده القدرة على التذكر والتصور العقلي الذي كان يملكه مسبقاً عن المكان. يُبرز هذا الانتقال من التصور الذهني إلى الواقع الحسي، مما يعكس تأثير المكان على الحواس والمشاعر.</p> | <p>10. لكنني ما لبثت حين تقدمت في المسجد خطوات فاشتملني شَفَقُهُ الرهيب أن نسيت ما كان ماثلاً في ذهني من صور المسجد والحجرة مما اطلعت عليه في الكتب أو سمعته من حديث مَنْ سبقوني إلى هذا المكان،</p> |

²¹⁸ كان هاري سانت جون بريدجر فيلي (Harry St John Bridger Philby) (1885م – 1960م)، المعروف أيضاً باسم جاك فيلي أو الشيخ عبد الله، مستعرباً ومستشاراً ومستكشفاً وكاتباً وضابط استخبارات استعماري بريطانيًا. اعتنق الإسلام عام 1930م وأصبح لاحقاً مستشاراً لابن سعود.

الزمن التاريخي

الزمن التاريخي "وهي المرحلة التاريخية التي جرت فيها الأحداث المقدمة روائياً، كما يقصد بالزمن التاريخي، الزمن الذي يتخذ التاريخ موضوعاً للحكي".²¹⁹

هدف السرد الزمني التاريخي في رحلة الحج هو تقديم رؤية شاملة وعميقة للتجربة الدينية والروحية التي يعيشها الحاج أثناء أداء مناسك الحج، بالإضافة إلى توثيق الحقائق التاريخية والمعالم الإسلامية التي مر بها. يهدف محمد حسين هيكل من خلال هذا السرد إلى نقل صورة حية للأماكن المقدسة، والأحداث التاريخية التي شكلت جزءاً من رحلة المسلم عبر العصور، مما يسمح للقارئ بتلمس الرابط بين الماضي والحاضر ويُغني الذاكرة الثقافية والتاريخية للأمة الإسلامية.

| الزمن التاريخي في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|--|
| التوضيح | ذكر الزمن التاريخي في الرواية |
| يربط النص بين المشاهد الدينية الحاضرة والوقائع التاريخية المرتبطة بالكعبة المشرفة، مما يعزز الشعور بالمهابة والرهبية تجاه الأماكن المقدسة. يبرز السرد دور الرسول الكريم في حل النزاع حول وضع الحجر الأسود، مما يعكس حكمته وعدالته التي صارت جزءاً من تاريخ المكان. | 1. قال مطوّفي: إنه موضع بابه في عهد الرسول؛ فأجلت طرفي بين هذا الباب والبيت العتيق، وذكرت ما حدث قبل مبعث محمد حين كانت قريش تجدد بناء الكعبة، ثم اختلفت قبائلها أيها يضع الحجر الأسود مكانه، وبلغ منها الخلاف أن كادت الحرب الأهلية تنشب بينها، ثم أشار عليهم أبو أمية بن المغيرة المخزومي أن يجعلوا الحكم في خلافهم أول من يدخل من باب الصفا، وكان محمد أول من دخل منه، فارتضوا حكمه، فجعل |

²¹⁹ يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط3، 2006، ص/42.

| | |
|---|---|
| | <p>الحجر على ثوب رفعه رؤساء القبائل جميعاً من أطرافه، ثم أخذه هو فوضعه مكانه. (ص/56)</p> |
| <p>يُبرز النص البعد التاريخي والروحاني لموقف النبي ﷺ في حجة الوداع، حيث يُضفي السرد عمقاً وجداناً على تجربة الكاتب بإعادة إحياء هذه اللحظة التاريخية. يتيح الانتقال بين الحاضر والماضي استحضار القيم الإيمانية التي تربط المسلم المعاصر بتاريخ هذه البقاع المقدسة.</p> | <p>2. وجلست مكاني على سجادة صلاة سحبتها من داخل القبّة، وتركت لتصوري عنانه، وقد ارتسم كل ما تشتمله السموات والأرض حولي في دخيلة نفسي، وانتقلت بهذا التصور في هنيهة من بيئة المكان إلى بيئة الزمن، وطويتُ القرون القهقري إلى أكثر من ثلاثمائة وألف سنة مضت، وامتثلت النبيّ العربيّ محمداً ها هنا فوق عرفات في حجة وداعه، محرماً كإحرامنا، مليباً كتليبينا، مستغفراً كاستغفارنا، خاضعاً لله خضوعنا، عبداً لله كعبوديتنا له، امتثلت هذا النبي العربي وقد تخطى السنين، (ص/69)</p> |
| <p>يجسد النص لحظة فارقة في التاريخ الإسلامي من خلال تصوير مشهد نزول الوحي على النبي محمد ﷺ في غار حراء بجبل النور، حيث يُبرز السرد أجواء الرهبة والنورانية التي صاحبت هذا الحدث العظيم. يعكس الوصف التفصيلي تأثير اللحظة على النبي ﷺ وقوة الرسالة التي بدأت بكلمة "اقرأ"، مما يؤكد أهمية الموقع باعتباره رمزاً لبداية الدعوة الإسلامية.</p> | <p>3. رأيت محمداً متمطياً في الغار الموحش وعلى مُحيّاه الجميل سيما الرضا وكأنما يتقلب من هذا الصخر في فراش وثير، وإني لأحدق في قسّات وجهه وقلبي كله الرضا والحب، إذ رأيت هذا الوجه أضاءه نورٌ للألاء زاده جمالاً، ورأيت ابتسامه مطمئنة ترتسم على ثغر تنم شفاته الرقيقتان عن معاني التأمل وعظيم الأمل، وأُخِذْتُ بما رأيت، وازددت</p> |

| | |
|---|--|
| | <p>بصاحب الوجه المنير شغفًا، (ص/187-188)</p> |
| <p>يبرز النص مكانة غار ثور في تاريخ الهجرة النبوية، مستعرضًا رهبة المشهد وعظمتها، حيث احتفى النبي محمد ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه من أعدائهم في لحظة فارقة من الدعوة الإسلامية. يعكس الوصف التصويري الجلال التاريخي للموقع والتأمل العميق في رمزيته كملاذ للأمان والإيمان في مواجهة المحن.</p> | <p>4. ها أنا ذا أمام فهوة الغار الذي احتفى به النبي العربي من كيد أعدائه حين أذن الله له في الهجرة من مكة إلى يثرب؛ وأمسكُ أنفاسي على شدة اضطرابها في صدري لأحدِّق في داخله علني أرى السر العظيم الذي يستجمُّ منذ أربع وخمسين وثلاثمائة وألف سنة في مهابة ظلمته، ووقفت حيث أنا مشدوها مأخوذاً لا أدري أتقدم للخطوة الأخيرة فيما بعد فوهة الغار إلى سطح القمة أتفياً ظل صخرة جاثمة تقوست فوقها تحمها من لظى الشمس أوقات الهاجرة، أم أظل حيث أنا مُمسكةٌ يدي بالصخرة حتى لا تنزلق قدمي، محدقًا من فوهة الغار في داخله، أم أدخل الغار لأقيم حيث أقام الرسول ﷺ في أدق الساعات التي مرت به منذ بعثه الله نبيًا وهاديًا ورسولًا؟ (ص/194-195)</p> |
| <p>يسلط النص الضوء على موقفٍ من سيرة النبي محمد ﷺ أثناء رحلته إلى الطائف، حيث يظهر معاناته وصبره أمام إيداء قريش ولجوءه إلى حائط عتبة وشيبة بن ربيعة. يعكس المشهد تجليات الرحمة الإلهية عبر عدّاس النصراني، الذي أظهر تعاطفه وتأثره ببركة النبي، مشيرًا</p> | <p>5. فالتجأ منهم إلى حائط لشَيْبة وعُتْبة ابني ربيعة وجلس إلى ظل شجرة فيه، ورفع طرفه إلى السماء يشكو إلى ربه سوء ما حلَّ به، وراه ابنا ربيعة ورأيًا ضراعتة وما هو فيه من سوء حال، وبعثنا مع غلامهما عدّاس النَّصراني بقطْف من عنب يروي</p> |

| | |
|--|---|
| <p>إلى تأثير النبي في القلوب رغم الظروف الصعبة.</p> | <p>به ظمأه ويرفه به عن نفسه، ومدَّ النبي يده إلى العنب، وقال: باسم الله، ثم أكل، ودهش عدَّاس لما رأى وسأل محمدًا عن شأنه، فلما علم أنه نبي أقبل عليه يقبِّل رأسه ويديه، وحدَّر صاحبا الكرم غلامهما من أن يؤمن به، فنصرانية عدَّاس خير عندهما من هذا الذي يدعو محمد إليه، (ص/242)</p> |
| <p>يسلط النص الضوء على دور سوق عكاظ كمسرح تاريخي وثقافي شهد حضور النبي محمد قبل البعثة وبعدها، مما يربط السوق بسياق الدعوة الإسلامية. ويبرز الحوار عن قس بن ساعدة إعجاب النبي بالبلاغة والفصاحة، مما يعكس تقدير الإسلام للعلم والحكمة.</p> | <p>6. كان أهل مكة يشهدون عكاظًا كما قدمت، وكان أبناؤهم يخرجون معهم إليها كما يخرجون معهم اليوم إلى عرفات وميِّ، وكان محمد يشهدا مع أهله ويشهد ما يجري فيها، وكان يشهدا بعد ذلك في سنين كثيرة: شهدها العام الذي خطب فيه قُسُّ هذه الخطبة، وسمعه يلقيها وأعجب به غاية الإعجاب، فلما بعثه الله نبيًّا وأكمل للمسلمين دينهم وأن لوفود العرب أن تجيء إلى النبي تعلن إليه إسلامها، قَدِم عليه وفد إياد يومًا، فقال لهم: «ما فعل قُسُّ بن ساعدة؟» قالوا: «مات رسول الله.» قال: «كأنِّي أنظر إليه بسوق عكاظ على جَمَلٍ له أُورَق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه.» قال رجل من القوم: «أنا أحفظه يا رسول الله.» وتلا عليه الخطبة، فقال رسول الله: «يرحم الله قُسًّا! إني</p> |

| | |
|--|---|
| | <p>لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أُمَّةً وحده.»</p> |
| <p>يجسد النص بيعة الرضوان كمحطة فارقة في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث تجلت فيها شجاعة الصحابة ووحدة صفهم تحت قيادة النبي محمد ﷺ. كما يعكس المشهد موقف قريش المتردد تجاه المسلمين، وما ترتب عليه من صلح الحديبية، الذي كان خطوة استراتيجية فتحت آفاقاً جديدة للدعوة.</p> | <p>7. انظر إنهم يتزاحفون إليه يريد كل أن يسبق صاحبه إلى البيعة، لقد امتلأت نفوسهم حماسة ونظراتهم جدّة وعزمًا، وهو واقف تحت الشجرة يتلقى بيعتهم مغتبط النفس مطمئن القلب مما يرى، ها هم أولاء فرغوا من البيعة، وها هو ذا يضرب بإحدى يديه على اليد الأخرى بيعة لعثمان كأنه حاضر معهم، والآن انصرف القوم ينظمون صفوفهم ويعدّون للقتال عدّتهم، يا لهم من جنود بواصل في سبيل الله! ما أعذب ابتسامه أبي بكر! وما أحدٌ نظرة عمر! ما هذا؟ إنهم يحدقون إلى ناحية مكة كأنما يريدون أن يحرقوا أهلها بلهب نظراتهم، (ص/311)</p> |
| <p>يسلط النص الضوء على موقف سراقه بن جُعشم أثناء هجرة النبي ﷺ، حيث تحوّلت نيته من مطارد طامع في المكافأة إلى داعمٍ يضلّل الآخرين عن أثر النبي وصاحبه. يعكس المشهد التأثير العميق لشخصية النبي ﷺ ومكانته حتى بين خصومه، مما أسهم في تعزيز أمان رحلته التاريخية.</p> | <p>8. فللقُدِيد في نيا هجرة الرسول ذكر وأثر، عندها أدرك سُرَاقَة بن جُعْشُم محمداً وأبا بكر ليعود بهما إلى مكة أسيرين أو يقتلها فيفوز في الحالين بالإبل المائة التي جعلتها قريش لمن يردُّ محمداً إلى مكة حيًّا أو ميتًا بعد فراره منها وإخفاق فتياها في العثور عليه، وعندها كَبَا جَوَاد سراقه بفارسه كَبُوَّةً عنيفة طرحت الفارس أرضاً وجعلته يتطير ويؤمن بأن الآلهة مانعة منه ضالته، هنالك وقف ونادى المهاجر</p> |

| | |
|--|--|
| | <p>العظيم وصاحبه: «أنا سُراقَة بن جُعْشُم، أنظروني أكلُمكم، فوالله لا أريبكم ولا يأتِيكم مني شيء تكرهونه.» وطلب إلى محمد، فأمر أبا بكر فكتب له كتابًا يكون آية بينه وبين النبي، وأخذ سُراقَة الكتاب وعاد أدراجه، وجعل يُضَلِّل الذين يطاردون محمدًا وصاحبه كيلا يلحق بهما منهم أحد. (ص/314)</p> |
| <p>يبرز الكاتب في هذه الفقرة دور الخليفة عمر بن عبد العزيز في تطوير المسجد النبوي وإضافة عناصر معمارية مميزة مثل الرخام والفسيفساء والمآذن، مما يعكس اهتمامه بتعظيم الأماكن المقدسة. كما يُظهر الحوار الذي أجراه مع أهل المدينة حرصه على إشراكهم في القرارات المتعلقة ببناء القبلة، لضمان الحفاظ على روح التاريخ والعبادة.</p> | <p>9. وهدم عمر بن عبد العزيز المسجد في سنة ثمان وثمانين، أو في سنة إحدى وتسعين — على اختلاف في الرواية — ثم أدخل فيه حجرات أزواج النبي، وبنى له أربع مآذن، وفرش أرضه بالرخام، ووسّى حوائطه بالفسيفساء، وكسا سقفه بالذهب، وجعل أساطينه من المرمر، فلما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي وقال لهم: «تعالوا احضروا بُنيان قبلتكم، لا تقولوا: غيّر عمر قبلتنا.» (ص/355-356)</p> |
| | <p>10. صَه! فأنت هنا أمام عرين الأسد، وهذه الجبال والأودية مما حولك كلها مجاله، فيها كان يجول ويصول، أثناءها كان يصيح بفرائسه من شجعان قريش، فإذا هي تنهدت إلى الأرض رعبًا وفزعًا، هذا جبَل</p> |

| | |
|--|---|
| | <p>أُحْدُ أَمَامِكَ، وَهَذَا جَبَلٌ سَلَعٌ مِنْ خَلْفِكَ، وَهَذَا وَادِي قَنَاةٍ يَجْرِي بَيْنَهُمَا، وَهَذِهِ الْبَسَاتِينُ تَمْتَدُّ هُنَا وَهُنَاكَ عَنْ يَمِينِ وَعَنْ شِمَالِ وَرَاءَ هَذَا الْمَهْمَةِ الَّذِي ظَلَّ خَلَاءً مِنْ هَيْبَةِ صَاحِبِ الْعَرِينِ، مَا لِي أَرَاكَ الآنَ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا، وَمَا يَبْكِيكَ؟ (ص/410)</p> |
|--|---|

تحليل سرد الزمن في كتاب 'في المنزل الوحي'

محمد حسين هيكل، في رحلته إلى الحج، يقدم سردًا يعتمد على تسلسل زمني دقيق و متماسك، مما يبرز أهمية الزمن كأداة سردية في فهم التجربة الروحية للحج. يبدأ هيكل بوصف تفاصيل التحضيرات للسفر، مما يُظهر اهتمامه بتوثيق كل مرحلة من رحلته. ينتقل بين الأحداث بترتيب منطقي بدءًا من مغادرته وطنه، مرورًا بتفاصيل الرحلة البحرية إلى جدة، ومن ثم الانتقال إلى مكة. هذا الاستخدام المتسلسل للزمن يسمح للقارئ بفهم السياق التاريخي والجغرافي للرحلة، ويعطي إحساسًا بالواقعية ويجعل القصة تنبض بالحياة. كما أن هيكل يركز على وصف التغيرات النفسية والجسدية التي يمر بها في كل مرحلة، مما يعكس تطور تجربته الروحية بشكل متدرج.

في مكة، يواصل هيكل استخدام الزمن كوسيلة لتوضيح تفاصيل مناسك الحج بترتيبها الصحيح، مثل الطواف، السعي، الوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة ومنى. يتيح هذا الترتيب للقارئ ليس فقط فهم أهمية كل ركن من أركان الحج، بل أيضًا معايشة التجربة وكأنه يرافق الكاتب في رحلته. كما يبرز السرد الزمني التحديات التي واجهها هيكل، سواء كانت جسدية أو نفسية، وكيف أسهمت هذه التحديات في تعميق فهمه للإيمان والتقرب إلى الله.

يستخدم الكاتب في كتابه الزمن الوصفي كأداة سردية رئيسية تُضفي عمقًا وتجسيدًا للتجربة الروحية والإنسانية للحج. يعتمد هيكل على الوصف التفصيلي للأحداث في لحظات زمنية محددة، مما يتيح للقارئ تصور التجربة بوضوح وكأنها تحدث أمامه. يُظهر هذا الاستخدام كيفية تداخل الزمن الشخصي والزمن الشعائري، حيث يعكس السرد تسلسل المناسك كما عايشها الكاتب، مثل الطواف والسعي والوقوف بعرفة، مع التركيز على الحالة النفسية والانفعالات الشخصية في كل لحظة. الزمن الوصفي هنا لا يقتصر على تأريخ الأحداث، بل يمتد ليشمل وصف المشاهد الطبيعية، مثل البحر والصحراء، وما تحمله من رمزية روحية تعزز من تجربة الحج. من خلال هذه التقنية، يربط هيكل بين الزمن الخارجي والزمن الداخلي، مما يجعل السرد وسيلة للتأمل والبحث عن المعنى الروحي العميق في كل لحظة من الرحلة.

في مذكرات رحلة الحج لمحمد حسين هيكل، يُوظف الزمن التاريخي كوسيلة سردية فعّالة تمزج بين الماضي والحاضر لربط القارئ بالأحداث العظيمة التي شهدتها المواقع المقدسة. يعتمد هيكل على استدعاء اللحظات المفصلية من السيرة النبوية، مثل حجة الوداع وغار حراء وسوق عكاظ وبيعة الرضوان، ليضع

القارئ في سياقها التاريخي والروحي. هذا الاستدعاء لا يقتصر على سرد الوقائع، بل يصحبه تصوير مشاعره الشخصية وانهاره بالمكان الذي يحتفظ بأثار هذه الأحداث، مما يعمق شعور القداسة والانتماء. التقنية تُبرز التفاعل بين الفرد والتاريخ، حيث يتم إعادة إحياء الماضي بنظرة معاصرة، مما يجعل النص يتجاوز كونه وصفًا مكانيًا إلى تجربة تأملية تجمع بين الزمان والمكان والروح.

في ختام الرحلة، يعكس هيكل تطورًا داخليًا واضحًا، مستعرضًا ما اكتسبه من دروس روحية وإنسانية، مما يجعل الزمن في هذه الرحلة ليس فقط إطارًا للسرد، بل أيضًا أداة لتوضيح رحلة النمو الشخصي والروحاني.

خلاصة تحليل سرد الزمن في الكتاب

1. محمد حسين هيكل يعتمد على تسلسل زمني دقيق ومتناسك في سرد رحلته إلى الحج.
2. يبدأ السرد بتفاصيل التحضيرات للسفر مما يُظهر أهمية توثيق كل مرحلة.
3. الانتقال بين الأحداث يتم بترتيب منطقي من مغادرة الوطن إلى الوصول إلى مكة.
4. تسلسل الزمن يبرز السياق التاريخي والجغرافي للرحلة ويعطي إحساسًا بالواقعية.
5. الكاتب يصف التغيرات النفسية والجسدية في كل مرحلة، مما يعكس تطور تجربته الروحية.
6. يعرض مناسك الحج بترتيبها الصحيح مثل الطواف والسعي والوقوف بعرفة والمبيت في مزدلفة ومنى.
7. السرد الزمني يساعد القارئ على فهم أركان الحج ومعايشة التجربة وكأنه يرافق الكاتب.
8. يبرز السرد التحديات الجسدية والنفسية التي واجهها هيكل خلال الرحلة.
9. الزمن الوصفي يُستخدم لتفصيل الأحداث والمشاهد الطبيعية بشكل حي.
10. الكاتب يربط بين الزمن الشخصي والزمن الشعائري مما يعمق تجربة السرد.
11. يدمج بين الزمن التاريخي والحاضر عبر استدعاء أحداث السيرة النبوية المهمة.
12. هذا الدمج يعزز الإحساس بالقداسة والانتماء للمواقع التاريخية.
13. النهاية تعكس تطورًا داخليًا وهيكل يعرض الدروس الروحية التي اكتسبها.
14. الزمن يُستخدم كإطار للسرد وأداة لشرح رحلة النمو الروحي والشخصي.

الشخصيات في كتاب 'في منزل الوحي'

تعريف الشخصية

جاء في لسان العرب مادة (ش. خ. ص): "الشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه والشخص كل جسم له إرتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشخص يعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، وشخص ببصره، أي رفعه، وشخص الشيء عينه وميزه عما سواه".²²⁰

إن فهم مصطلح "الشخصية" يخضع لوجهات نظر مختلفة من النقاد والباحثين، نظرا لدورها المحوري باعتبارها القوة الدافعة وراء التطور السردى داخل العمل الأدبي. ويعتبر المحور الأساسي المسؤول عن التأكيد على الأحداث، حيث يتحمل العبء الأولي في إقناع الجمهور بأهمية وقيمة القضايا المطروحة في القصة. تم العثور على تعريف أكثر دقة للمفهوم في "نظرية الرواية"، حيث توصف الشخصية بأنها الوسيط الذي ينسج من خلال جميع العناصر السردية. ويشمل ذلك اختلاق اللغة، ونقل الحوار أو استقباله، وبناء المونولوج، وتنفيذ الأحداث، والمساهمة في تصعيد الصراع أو تفعيله من خلال السلوك والأهواء والعواطف. وبحسب عبد الملك مرتضى، فإن هذا التوصيف يؤكد الدور الأساسي الذي لا غنى عنه للشخصية في تشكيل اللغة والأحداث والحوار. وهناك تعريف آخر يصفها بأنها القطب الذي يدور حوله الخطاب السردى، وهو بمثابة العمود الفقري الذي ترتكز عليه الرواية بأكملها²²¹. في جوهرها، تسلط هذه التفسيرات الضوء على الشخصية كأداة أساسية وضرورية، مع التركيز على موقعها المركزي في بنية العمل الأدبي وديناميكيته.

الشخصية الرئيسية

في قلب السرد، توجد شخصية رئيسية تدور حولها الرحلة بأكملها. تتولى هذه الشخصية دور القائد، وتدفع العمل إلى الأمام. من المهم أن نلاحظ أن الشخصية الرئيسية لا يجب بالضرورة أن تكون بطل السرد؛ بل هم نقطة الارتكاز، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية المركزية²²². وفي سياق

²²⁰ ابن منظور، لسان العرب مادة (ش. خ. ص)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1992، ص/36.

²²¹ عبد الملك مرتضى في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998، ص/91.

²²² صبيحة عودة زعرب غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص/131.

روايات الرحلة، تلعب هذه الشخصية دورًا مهمًا في تشكيل عملية سرد القصص. ويقدم شريط أحمد شريط منظورًا آخر، حيث يحدد الشخصية الرئيسية بأنها الشخصية الفنية التي يختارها الراوي لتمثل جوهر ما يهدفون إلى تصويره أو التعبير عنه من أفكار ومشاعر. وتتميز هذه الشخصية الفنية باستقلالية الفكر وحرية الحركة داخل النص السردى²²³. وهكذا تصبح الشخصية الرئيسية نقطة محورية تأسر انتباه القراء، خاصة عند الخوض في تعقيدات فهم العمل الأدبي.

في كتاب "في منزل وحي" المؤلف نفسه شخصية رئيسية. كل سرد القصة تدور من خلاله بشكل جميل.

²²³ شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص/45

| الشخصية الرئيسية في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|--|
| التوضيح | ذكر الشخصية الرئيسية في الرواية |
| <p>هذا المقتطف يوضح بجلاء أن المؤلف هو الشخصية الرئيسية في الرحلة، حيث يصف أفكاره ورغباته وقراراته المتعلقة بالرحلة إلى الحجاز، مما يبرز دوره الفعال في التخطيط والتفكير في الرحلة.</p> | <p>1. فلما كانت سنة 1921م وبدأت أكتب «حياة محمد» شعرت بعد التقدم فيها بالرغبة الملحة في الذهاب إلى الحجاز، ولما سَيَّرْتُ شركة مصر للملاحة البحرية باخرتها الأولى «زمزم» إلى الأماكن الإسلامية المقدسة في سنة 1924م، علمت أن في نيَّتها تسيير هذه الباخرة في أكتوبر من تلك السنة كيما تطوِّع لمن شاء قضاء العمرة في شهر رجب، إذ ذلك لم أتردد وصممتُ على انتهاز الفرصة لتنفيذ ما اعتزمته، لكن قلَّة الإقبال على هذه الزيارة الرجبية لم تسمح بتسيير الباخرة فلم تتم الرحلة، وأسفتُ لفوات الفرصة، وبقيتُ على عزمي أن أزور الحجاز وبلاد العرب وأن أقوم فيهما بكل ما أستطيع من الدراسات. (ص/25)</p> |
| <p>هذا المقتطف يعزز فكرة أن المؤلف هو الشخصية الرئيسية في الرحلة، حيث يعبر عن مشاعره الشخصية تجاه مكة وتطلعاته الروحية، مما يظهر ارتباطه العميق بالتجربة الشخصية والتأملات التي مر بها أثناء</p> | <p>2. وقد ودعتهم وودعتُ مكة راجياً أن يكتب الله لي العودة إليها راضي النفس مطمئن القلب سعيداً أن فتح الله لي أثناء المقام بها آفاقاً من الشعور والتفكير ما كان</p> |

| | |
|---|---------------------|
| <p>أحوجني إلى أن تنفتح أمامي! لأرى من خلالها هذا العالم العظيم الجليل؛ عالم الحقيقة والرضا.</p> | <p>إقامته هناك.</p> |
|---|---------------------|

الشخصيات المرجعية

الشخصية المرجعية هي شخصية ترتكز على خلفية مرجعية ملموسة وواقعية، مستوحاة من السياقات التاريخية أو الدينية أو الاجتماعية. وهذه الشخصية المرجعية، كما تم تعريفها، متجذرة في الواقع غير النصي الذي تشكله الظروف الاجتماعية أو التاريخية السائدة. في الرحلة قيد النظر، نشهد هيكل يقوم بأدوار مختلفة، ويجسد شخصيات تتأثر بشكل واضح بمراجع مختلفة. هنا، يجلب المؤلف إلى الحياة شخصيات متشابكة بعمق مع الإطار التاريخي أو الديني أو الاجتماعي الأوسع، مما يضيف طبقات من العمق والأصالة إلى السرد. ونرى هيكل في رحلته هذه تجسيده لبعض الشخصيات ذات المرجعيات المختلفة:

| <p>الشخصيات الدينية في كتاب 'في منزل الوحي'</p> | |
|---|--|
| <p>الشخصيات الدينية في الإسلام، مثل الأنبياء والرسل وأولئك الذين لهم نسب مباشر من النبي محمد، يُحترمون من أجل أهميتهم الروحية وتعاليمهم. حياتهم مرتبطة بالأماكن المقدسة مثل مكة والمدينة، وقصصهم تلهم الإيمان من خلال إخلاصهم ومعجزاتهم واستشهادهم.</p> | <p>ذكر الشخصيات الدينية في الرواية</p> |
| <p>1. النبي محمد ﷺ</p> | <p>1. فكرت في هذا الموقف الأخير للرسول وطوافه بالبيت وطواف مائة ألف من</p> |
| <p>يتم هنا تصوير النبي محمد ﷺ كشخصية قوية ومثابرة رغم تقدمه في السن، حيث يسرع في الطواف</p> | <p>1. فكرت في هذا الموقف الأخير للرسول وطوافه بالبيت وطواف مائة ألف من</p> |

| | |
|--|--|
| <p>مع المسلمين. يُظهر النص كيف كان النبي يُحفز أصحابه بالاستمرار في العبادة مع الشعور بالقوة والقدرة، مما يعكس شجاعته وإصراره على المشاركة في الطقوس رغم تحديات العمر.</p> | <p>المسلمين وراءه وهو مع ما جاوز الستين يسرع في أشواط الطواف الأولى والمسلمون يسرعون إسراعه، وهو يذكر وهم يذكرون يوم طاف في عمرة القضاء ومعه ألفان، وهو يسرع ويقول لأصحابه: «اللهم ارحم امرأاً أراهم اليوم من نفسه قوة.» (ص/158)</p> |
| <p>يُصوّر الكاتب النبي محمد ﷺ كقائد عظيم وأب رוחي للمسلمين، يطلب النصر من الله بصدق ويقين في معركة بدر. يظهر النبي في الدعاء كالشخص الذي يعتمد كلياً على الله لتحقيق النصر، مما يعكس تواضعه وإيمانه العميق بتوجيه الله في مصير الأمة الإسلامية.</p> | <p>2. فبدر هي الغزوة الأولى في الإسلام، التقى فيها الإيمان والشرك، فنصر الله الإيمان بجنده وعزّزه بأيّده، ووقف فيها رسول الله يستنجز ربه النصر الذي وعده ويقول في دعاء وابتهال: «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلاًها تحاول أن تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وَعَدْتَنِي! اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد.» فلما أتم الله النصر للمسلمين فيها على خصومهم كان ذلك الفتح الأول الذي استقر به الأمر للمسلمين من بعد. (ص/463)</p> |
| <p>2. آدم عليه السلام</p> | |
| <p>في هذا النص، يُصوّر آدم عليه السلام كأول عابد لله في الأرض، مكلّفاً ببناء الكعبة استجابة لأمر الله واستعادة للصلة الروحية المفقودة مع الملائكة. يظهر دوره كرمز للطاعة والعبادة، حيث يلتزم بتوجيهات الله لبناء البيت والطواف به، ما يعكس بداية ارتباط الإنسان بالأماكن</p> | <p>1. وفي رواية تفرد ابن لهيعة في نسبتها إلى النبي ﷺ أنه قال: «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لي بيتاً، فخطّ لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل، حتى إذا أجابه الماء نودي من تحته</p> |

| | |
|---|---|
| <p>المقدسة كوسيلة للتقرب إلى الله.</p> | <p>حسبك يا آدم، فلما بنيا أوحى الله — تعالى — إليه أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه.» (ص/148)</p> |
| <p>في هذا النص، يُصوّر آدم عليه السلام كأول عابد لله في الأرض، مكلّفًا ببناء الكعبة استجابة لأمر الله واستعادة للصلة الروحية المفقودة مع الملائكة. يظهر دوره كرمز للطاعة والعبادة، حيث يلتزم بتوجيهات الله لبناء البيت والطواف به، ما يعكس بداية ارتباط الإنسان بالأماكن المقدسة كوسيلة للتقرب إلى الله.</p> | <p>2. وقيل: إن جبريل جاء بالحجر الأسود من الهند حيث هبط به آدم من الجنة؛ وكان أبيض ناصعًا، فاسودّ من خطايا الناس، وقيل: بل كان الله استودعه جبل أبي قُبَيْس حين طوفان نوح، فجاء به جبريل ووضعه في مكانه وبني إبراهيم عليه، وهو حينئذٍ يتلألأ نورًا حتى لقد أضاء بنوره شرقًا وغربًا وشمالًا ويمينًا إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية، وإنما سوّدته أنجاس الجاهلية وأرجاسها. (ص/150)</p> |
| <p>3. إبراهيم عليه السلام</p> | |
| <p>في هذا النص، يتم تصوير النبي إبراهيم عليه السلام كأول من بنى الكعبة وفقًا للمعتقدات الإسلامية، مما يبرز مكانته العظيمة في تاريخ الدين. يُظهر النص أيضًا كيف يختلف المؤرخون في تأويل من قام ببناء البيت، ولكن المشهور بين العلماء هو دور إبراهيم في رفع قواعد الكعبة، مما يعزز مكانته كمؤسس لهذا المكان</p> | <p>1. فالقرآن صريح في: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، وفي أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعوا قواعد هذا البيت، مع ذلك رأى بعض المؤرخين أن يجعل الملائكة بناء البيت قبل أن يبرأ الله الأرض ومن عليها، وأن آدم بناها بعد ذلك، وذكر بعضهم أن</p> |

| | |
|--|---|
| <p>المقدس.</p> | <p>شيئاً أول من بنى الكعبة، فأما المشهور عن أكثر العلماء فهو أن أول من بنى البيت إبراهيم؛ بهذا قال علي بن أبي طالب وجزم به ابن كثير في تفسيره. (ص/147)</p> |
| <p>هنا صور الكاتب النبي إبراهيم عليه السلام كأول من نصب الأعلام حول الكعبة لتحديد حدود الحرم وتعظيمه، وهو دور يعكس مكانته العالية في رعاية وتقديس المكان المقدس. كما يُذكر أن هناك آراء مختلفة حول من قام بذلك بعد إبراهيم، مما يُظهر أهمية هذا العمل في تاريخ مكة وتطور حدود الحرم على مر العصور.</p> | <p>2. يذهب قومٌ إلى أن الحرم كان محدوداً من عهد جرهم بالحدود القائمة هذه الأعلام عندها، بل يذهب بعضهم إلى أن إبراهيم عليه السلام هو أول من نصب الأعلام تعظيماً للبيت وتشريقاً، ويقول آخرون: إن إسماعيل بن إبراهيم هو الذي نصب هذه الأعلام، ويذهب قوم إلى أن قصياً هو الذي عين هذه الحدود حين أمر بالبناء حول الكعبة، ويقال: إن عدنان أول من وضع أنصاب الحرم، وإن قريشاً نصبتها بعد ذلك في عهد النبي وقبل هجرته من مكة، وفي قول يرجحه بعضهم أن النبي وضع حدود الحرم عام الفتح ونصب الأعلام حوله، ثم نصّبها عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم معاوية بن أبي سفيان، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، وقد أمر جماعة من الملوك والأمراء بتجديد هذه الأعلام بعد ذلك، وأحدث ما تذكره الكتب من تجديدها أنه كان في سنة 683هـ بأمر المظفر صاحب اليمن، والحالة التي عليها</p> |

| | |
|--|--|
| | <p>الأعلام اليوم تدل على أنها جددت بعد ذلك غير مرة وأنها لا ترجع إلى أكثر من بضع عشرات من السنين. (ص/204)</p> |
| | <p>4. أبو بكر (ر)</p> |
| <p>يظهر أبو بكر الصديق كصاحب وفاء وإخلاص كبير للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يعكس حرصه على أن يكون دائماً في خدمته واتباعه، سواء كان خلفه أو أمامه. كما يُبرز النص روح التضحية والحنان في العلاقة بينهما، حيث تظهر محبة أبو بكر للنبي واستعداده لتحمل المشقة في سبيله، مما يعكس عمق صداقتهما وأهمية أبو بكر في تاريخ الدعوة الإسلامية.</p> | <p>1. ويفطن محمد إلى أبي بكر يسير تارة خلفه وطوراً أمامه، فيعجب ويسأله في ذلك، فيجيبه صاحبه: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرّصد فأمشي بين يديك، ويتسم محمد وتفعم قلبه المسرة لإخلاص صاحبه ويسأله: يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ ويجيب أبو بكر في حماسة: نعم والذي بعثك بالحق! (ص/196)</p> |
| <p>في هذا النص، يظهر أبو بكر الصديق كرمز للزهد والتقوى، حيث يبرز أنه أنفق ماله بسخاء في سبيل الإسلام وأبدى رغبة في التخلي عن ملذات الدنيا. كما تُظهر شخصيته الخوف من الله والحرص على تحقيق العدالة بين الناس خلال خلافته، مما يعكس نزاهته وورعه كقائد للمسلمين.</p> | <p>2. كان محمد غنياً بتجارة خديجة ومالها الكثير، وكان أبو بكر غنياً بتجارته وإلف الناس إياه، وكان عمر غنياً بسعيه واتصال كده، فلما بعث الله رسوله هدى للناس ونوراً أنفق مال خديجة ولم يُبق منه على شيء، ولما آلت خلافة رسول الله إلى أبي بكر كان الزهد في الدنيا والرغبة عنها، وكان التقوى وخوف الله أن يُصيب ظلم رجلاً ممن ولي أمرهم. (ص/423)</p> |

| | |
|--|---|
| 5. عمر بن الخطاب (ر) | |
| <p>1. ولقد كثر عدد المسلمين بمكة قبل الهجرة، واعتزَّ الإسلام بحمزة بن عبد المطلب وبعمر بن الخطاب، وجعل عمر يدفع من أذى المشركين للمسلمين ما يستطيع دفعه، مع ذلك ظل المشركون على عداوتهم للنبي وأصحابه وإيذانهم إياهم، وظل المسلمون على تضامنهم وحبهم بعضهم لبعض في الله، وصبرهم على الأذى في سبيل الحق، وإيمانهم بأن النصر لهم ما صبروا، (ص/135-136)</p> | <p>يُصوِّر عمر بن الخطاب في النص كرمز للقوة والشجاعة في مواجهة أذى المشركين، حيث يدفع عن المسلمين ما استطاع بحزم وإصرار. كما يظهر دعمه للمسلمين كجزء من تضامنهم وإيمانهم المشترك، مما يبرز دوره الأساسي في تعزيز مكانة الإسلام في مكة قبل الهجرة.</p> |
| <p>2. وعلى عهد عمر امتدَّ الفتح الإسلامي وكثر الذين يشهدون الحج، وضاق الفضاء المحيط بالبيت بهم حين الصلاة؛ إذ كانوا يدخلون إليه من الأبواب القائمة بين الدُّور المُحدِّقة به، عند ذلك اشترى عمر دُورًا حول الكعبة وهدمها وأدخلها في حرمها وأحاطها بجدار قصير، (ص/138)</p> | <p>يُصوِّر عمر بن الخطاب هنا كرجل دولة حكيم وحازم، حيث وسَّع حدود الحرم المكي بما يضمن استيعاب أعداد المسلمين المتزايدة أثناء الصلاة والحج، موضحًا بمصالح شخصية لصالح الأمة الإسلامية. كما يظهر عثمان بن عفان مُستكملًا جهود عمر في توسيع الحرم، مما يعكس استمرارية الالتزام بخدمة الحرم الشريف وتلبية احتياجات المسلمين المتزايدة.</p> |

الشخصيات التاريخية في كتاب 'في منزل الوحي'

في كتب الرحلات إلى الحج، غالبًا ما يندمج الشخصيات التاريخية مع الأبعاد الدينية والسياسية، حيث ترتبط أفعالهم بالأحداث الروحية والتاريخية، وتربط المواقع المقدسة بالسياقات التاريخية الأوسع. في رحلات الحج، قد يُصوّر الشخصيات الدينية أيضًا كشخصيات تاريخية، وتعتمد تصوراتهم على السياق، سواء كانت مرتبطة بمواقع دينية معينة أو أحداث تاريخية، مما يتيح فهمًا دقيقاً لأدوارهم.

| ذكر الشخصيات التاريخية في الرواية | التوضيح |
|---|--|
| 1. أمانة بنت وهب | |
| <p>1. ثم أشار إلى قبر ذكر أنه قبر أمه أمانة، ولم يدهشني ما ذكره عن قبر أمانة مع علمي أنها تُوقّيت ودُفّنت بالأبواء بعد الذي ذكره أهل مكة عن هذه الآثار وقيمة سندها من التاريخ، فالقول: بوجود قبر أمانة في هذا المكان إنما كان يُقصّد به إلى الاستزادة مما يدفعه الحجاج أثناء زيارتهم هذه القبور للتبرك.</p> | <p>يُشار في النص إلى قبر أمانة بنت وهب، والدة النبي ﷺ، مع التشكيك في صحة هذا الادعاء التاريخي. يُلّمح الكاتب إلى أن الغاية من ذلك قد تكون استقطاب الحجاج وزيادة التبركات عند زيارة هذه القبور.</p> |
| <p>2. إذن لرأينا الصغير محمدًا يجلس مع أمه أمانة والبعير يسير بهما وبحاضنة الغلام أم أيمن قاصدًا يثرب بخطاه الهادئة البطيئة، وأمانة تقصُّ على ابنها نبأ أحوال أبيه من بني النجار بالبلد الذي إليه يقصدون، وتقص عليه كيف ارتحل أبوه إلى الشام في تجارته، وكيف عاد منها،</p> | <p>النص يُبرز أمانة بنت وهب كأم حانية ذات قلب رؤوف، تسعى لغرس صورة والد ابنها، عبد الله، في مخيلة النبي ﷺ وهو صغير. يظهر حبها العميق وأملها الكبير بأن يرى ابنها ينمو ليكون شبيهًا بوالده في الشهامة والكرم والمكانة بين قومه، مما يُضفي على الرواية بُعدًا إنسانيًا مؤثرًا.</p> |

| | |
|---|---|
| | <p>وكيف مرض ومات ودُفن عند أخواله، والصغير يُنصت مأخوذاً يدري ولا يدري، (ص/322)</p> |
| <p>2. أبو طالب</p> | |
| <p>يُصوّر أبو طالب كعم حنون وحامٍ للنبي ﷺ، يأخذه في رحلة إلى الشام ويجيبه عن تساؤلاته بحب وصبر. يظهر دوره كشخص مسؤول ومهتم بتعليم وتوجيه ابن أخيه في بداية حياته.</p> | <p>ثم لرأينا محمداً في الثانية عشرة من عمره يسير مع عمه أبي طالب في هذه الطريق التي كنا نسير فيها، لكنه يسير هذه المرة في قافلة ذاهبة في رحلة الصيف كالقافلة التي سار فيها أبوه، ولا يسير وحيداً بل معه عمه كما كان مع أمه، وتتخطى القافلة سرفاً، وتتخطى وادي فاطمة، وتُساحل البحر فتبلغ يثرب، ثم تتخطاها متخذة دروب البادية إلى الشام، وتحط القافلة رحالها هنا وهناك، ويسأل محمد حيثما سار وأينما نزل عما يحيط به، فيجيبه عمه حيناً، ويجيبه رفاقه في القافلة حيناً آخر، وأية وسيلة يقطع بها راكب الجمل طول الطريق كالتحدث وقصص الماضي والتندر بالأنباء؟! (ص/323)</p> |
| <p>3. أبو جهل</p> | |
| <p>تُظهر الفقرة أبو جهل كشخص قاسي وعدو لدعوة النبي محمد، حيث يهاجمه بالسب والإهانة، بينما</p> | <p>وكان أبو جهل رجلاً حديد الوجه واللسان، لا يفتأ ينكر على محمد دعوته</p> |

| | |
|--|--|
| <p>ويتَّهمه فيها، فلما لقيه في مجلسه ذاك آذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، ولم يكلمه محمد، بل انصرف عنه إلى بيته، (ص/411)</p> | |
| <p>4. حمزة بن عبد المطلب (ر)</p> | |
| <p>يُصوِّر حمزة بن عبد المطلب في هذا النص كرمز للشجاعة والبطولة، يتمتع بشخصية قوية ومحبوبة في قريش، يتميز بجسده الفتي وقوته البدنية.</p> | <p>1. وإن أرضعتها جميعاً تُؤبى جارية أبي لهب، وشبَّ محمد بهيئه الله لما أراد من رسالته، وشبَّ حمزة فتىً أبيّاً قوياً، رَضِيَ الخلق، وسيم الطلعة، مفتول العضل، محبّاً للقنص يخرج له في الفلاة ويرمي بقوسه، فإذا عاد منه لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، ثم لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلّم وتحدّث مع مَنْ فيه، وكانوا جميعاً يحبونه ويهابونه أن كان أعزَّ قريش وأشدّها شَكِمة. (ص/410-411)</p> |
| <p>يُظهر النص هنا حزن النبي محمد ﷺ العميق على استشهاد عمّه حمزة بن عبد المطلب، حيث وصفه بأنه لا يوجد من يبكي عليه. يظهر في النص أيضاً تعاطف معاذ بن عبد الأشهل مع النبي، حيث جمع نساء المدينة لبيكين على حمزة، مما جعل الجميع يبدؤون بالبكاء على حمزة قبل أي ميت آخر، مما يعكس المكانة الكبيرة</p> | <p>2. ولما أراد المسلمون دفن القتلى وقف النبي على جثمان حمزة، وجعلوا يجيئون بالقتلى واحداً بعد الآخر فيضعونهم إلى جانب حمزة فيصلي النبي عليهم، وكذلك صلى على حمزة سبعين مرة. وبكت نساء المدينة القتلى، وسمع رسول الله نساء بني عبد الأشهل يبكين قتلاهن، فقال</p> |

| | |
|--|--|
| <p>التي كان يتمتع بها حمزة في قلوب المسلمين.</p> | <p>متوجعًا: «لكن حمزة لا يَوَاكِي له.» فسمع ذلك معاذ بن عبد الأشهل فساقهم إلى باب رسول الله فبكين على حمزة، فدعا لهن وردهن، فلم تَبِكِ امرأة من الأنصار بعد ذلك اليوم على ميت إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها. (ص/414)</p> |
| <p>5. وحشي الحبشي (ر)</p> | |
| <p>وحشي كان قاتلاً محترفاً، وقد قتل حمزة بن عبد المطلب بناءً على وعد هند بنت عتبة بالثواب، حيث اغتاله في معركة أحد. ورغم وحشية فعلته، فإنه رَوَى لاحقاً بأن دافعه كان الحرص على نيل حريته، فقد قتل حمزة ليس بدافع من الكراهية بل طمعاً في العتق.</p> | <p>وكانت هند بنت عتبة أشد قريش كراهية له ورغبة في موته، لقد قتل في بدر أباه وأخاه، ونكّل بكثيرين من الأعرزة عليها، لكنها كانت تعلم أن قتله مواجهة ليس بالأمر الهين، ومَن ذا في قريش بل في بلاد العرب كلها يستطيع أن يواجهه؟! لذلك وَعَدَتْ وحشيًا الحبشي خيرًا كثيرًا إن هو اغتال حمزة، وكان وحشيٌّ مؤلَّى لجبير بن مُطْعِم، وكان حمزة قد قتل عم جبير ببدر، فلما عرف ما وَعَدَتْ هند مولاه قال له: إن قَتَلْتِ حمزة عم محمد فأنت عَتِيق. (ص/413)</p> |

| الشخصيات السياسية في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|---|
| تُصوّر الشخصيات السياسية في مذكرات الحج غالبًا بالنسبة لتأثيرها في الحكم أو الدبلوماسية، مما يبرز دورها في تشكيل تجربة الحج. وقد تعكس وجودهم أيضًا المناخ السياسي في تلك الفترة، مما يؤثر على إمكانية الوصول وتنظيم رحلة الحج. | |
| التوضيح | ذكر الشخصيات السياسية في الرواية |
| 1. أبرهة الأشرم | |
| <p>أبرهة حاكم اليمن قاد جيشًا بالفيل لهدم الكعبة بهدف صرف الناس إلى كنيسته بصنعاء، ولكنه هُزم بفعل مرض مفاجئ تفشى في جيشه قبل دخول مكة. هذا الحدث، المعروف في التاريخ الإسلامي بعام الفيل، يعد رمزًا لإحباط العدوان الإلهي على البيت الحرام.</p> | <p>فلما أصبح أبرهة وجد الجُدْرِيَّ تفشَّى بجيشه تفشياً أفزع الناس وأفزعه، فارتدَّ عن مكة، وما إنْ بَلَغَ اليمن حتى مات، ولعل هذا الذي أصاب أبرهة وجيشه هو الذي دعا إلى تسمية هذا الوادي باسم وادي النار، ووادي الحسرة أو مُحَسَّر؛ لأن نار المرض أصابت القوم فانقلبوا إلى قومهم في حسرة خاسنين. (ص/220)</p> |
| 2. حجاج بن يوسف الثقفي | |
| <p>الحجاج بن يوسف الثقفي كان شخصية جدلية في التاريخ الإسلامي، يُعرف بذكائه وقدراته الإدارية والعسكرية، لكنه ارتبط أيضًا بالقسوة والفتك والبطش. تميّز بنهجه الصارم في التعامل مع معارضيه، حتى وصفه البعض بأنه يتلذذ بمنظر الدماء، مما</p> | <p>قال صاحبي: «ويقيم بنو صخر بوادي صخيرة الذي نجتازه الآن، وهم بطن من ثقيف، ومنهم الحَجَّاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان، ومَن بقي اسمه علمًا على القسوة والفتك والتلذذ بمنظر الدماء، فقد كان يرى في كل</p> |

| | |
|---|--|
| <p>جعله رمزاً للسلطة القوية والمثيرة للجدل.</p> | <p>جماعة يتولى أمرهم رءوساً أينعت وحن قظافها، لا فرق عنده بين صحابي وتابعي وأعجمي أسلم ولماً يدخل الإيمان في قلبه» (ص/262)</p> |
| <p>3. عمر بن عبد العزيز</p> | |
| <p>عمر بن عبد العزيز كان خليفة راشداً ومثالاً للحاكم العادل المتواضع، إذ اشتهر بتقواه واهتمامه برعاية شؤون المسلمين. في قصة بناء الحجرة النبوية، يظهر حسّه الإيماني وحرصه على احترام القبور والمقدسات، مما يعكس تواضعه وورعه حتى في أدق التفاصيل المتعلقة بالمسجد النبوي.</p> | <p>وبقيت حجرة القبر على بساطتها إلى أن أمر الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة أن يزيد في المسجد وأن يضم حجرات أزواج النبي إليه، وكل ما قيل: إنه حدث قبل ذلك أن وُضعت على القبور الثلاثة حجارة مُسَمَّمة، وكانت في العهد الأول مُسَوَّاة بالأرض، وانقضَّ جدار من الحجرة حين أمر عمر بن عبد العزيز ببنائها، فأنكشف أحد القبور عن ساقٍ وركبة، فتولى عمر الفرع أن تكون ساق رسول الله وركبته، فلما تبين أنها ساق عمر وركبته زايله الفرع وهدأ رَوْعُهُ. (ص/424)</p> |
| <p>4. عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود</p> | |
| <p>ابن سعود كان قائداً بارزاً ومؤسساً للدولة السعودية الحديثة، وقد واجه تحديات كبيرة تمثلت في حروب خارجية وثورات داخلية. رغم إخلاصه لدعوته الإصلاحية، فإن التوترات مع بعض المخلصين</p> | <p>ولقد أبدى مثل ملاحظة الطبيب المصري بعض رجال الحكومة العربية السعودية حين ذكروا أن ابن السعود قد شُغل منذ فتح الحجاز بحروب خارجية، وثورات</p> |

| | |
|--|--|
| <p>المتشددين أعاقته قدرته على تحقيق إصلاح شامل، حيث استنزفت هذه الصراعات موارد الدولة وطاقاتها.</p> | <p>داخلية استنفدت الكثير من جهده ومن مال الدولة، ولولا ذلك لكان الإصلاح أشمل وأوضح.</p> |
| <p>5. محمد صالح القزاز</p> | |
| <p>السيد محمد صالح القزاز كان شخصية مرموقة وأمين أموال الدولة بالطائف، عُرف بحُسن مظهره وجاذبية حديثه. أبدى استعدادًا كريمًا لمرافقة الضيف في رحلته إلى الطائف، مشيرًا إلى معرفته الواسعة بكل ما يميز المدينة وما قد يثير اهتمام الزائر.</p> | <p>وانصرفت من عنده فمررت بالتكية المصرية، ثم عدت إلى دار مضيبي فتناولنا طعام الغداء، وأقمت أنتظر رفاق السفر إلى الطائف، وأقبل السيد محمد صالح القزاز أمين أموال الدولة بالطائف، وهو شاب وسيم حلو الحديث، أحدث مضيبي التعارف بيني وبينه، وذكر أنه سيصحبني في رحلتي إلى الطائف وسيدلُّني على كل ما فيها مما تصبو إليه نفسي، فهو بكل ما فيها خير.</p> |

| الشخصيات الفكرية والثقافية في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|---|---|
| تظهر الشخصيات الفكرية والثقافية في مذكرات الحج من خلال تأثيرهم في الفكر والفن والثقافة أثناء الرحلة. يمكن أن تسهم أفكارهم وأعمالهم في توسيع آفاق الكاتب وتعزيز تجربته الروحية والثقافية خلال الحج. | |
| التوضيح | ذكر الشخصيات الفكرية والثقافية في الرواية |
| 1. عبد القدوس الأنصاري | |
| <p>الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كان شخصية بارزة في المدينة المنورة، عُرف بمساهماته العلمية والأدبية، لا سيما من خلال كتابه "آثار المدينة المنورة"، الذي يُعد مرجعًا مهمًا في توثيق تاريخ ومعالم المدينة. كما كان أستاذًا للأدب العربي في مدرسة العلوم الشرعية، وقدم إرشادًا ودعمًا ثمينين للباحثين والزوار، مما يعكس اهتمامه بنشر المعرفة وخدمة الثقافة الإسلامية.</p> | <p>أكثرُ من التردد من بعد ذلك على المسجد وأحطت بكثير مما فيه خُبْرًا، ولقد أعاني على ذلك أني اتصلت منذ نزلت المدينة بالأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب كتاب «آثار المدينة المنورة»، وأستاذ الأدب العربي بمدرسة العلوم الشرعية، كما اتصلت بكثيرين كان لهم في إرشادي ومعاونتي فضل أذكره لهم وأشكره أجمل الشكر. (ص/341-342)</p> |
| 2. أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق | |
| <p>محمد بن عبد الله الأزرق، مؤرخ من القرن الثالث الهجري، كتب "أخبار مكة" كمرجع مهم لتاريخ مكة ومعالمها. أشار إلى قبر ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، لكنه لم يذكر وجود مسجد أو قبة عليه، مما</p> | <p>ومسجد ميمونة أفسح من مساجد مكة، وهو خير منها نظامًا وأجمل بناء، وجدرانه من الخارج تشهد بأن عمارته ليست بالغة في القدم؛ فقد حاولتُ أن أففَ على تاريخ بنائه</p> |

| | |
|---|---|
| <p>يشير إلى أن بناء المسجد جاء في عصور لاحقة مع انتشار التبرك بالقبور.</p> | <p>فلم أجد في الكتب القديمة شيئاً عنه، وكل ما رواه الأزرق في كتابه «أخبار مكة» عن قبر ميمونة قوله: «قال أبو الوليد: وقبر ميمونة بنت الحارث الهلالي زوج النبي ﷺ وهي خالة عبد الله بن عباس، على الثنية التي بين وادي سرف وبين أضاءة بني غفار، ماتت بسرف فدُفنت هنالك.» (ص/210)</p> |
| <p>3. عبد الله بن بورخارت</p> | |
| <p>الرحالة السويسري جون لويس بورخارت، المعروف بإسلامه واسمه الجديد "الحاج عبد الله"، زار البلاد العربية في أوائل القرن التاسع عشر (1815م). وصف مكة في كتابه "جولات في بلاد العرب" كمدينة ذات صيانة دائمة وتجديد يتم بتأن واحترام، مما يعكس تقديس المكان وهيئته.</p> | <p>ولقد زارها الرحالة السويسري «بورخارت» الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم الحاج عبد الله في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي (سنة 1815م) وكتب عنها طويلاً في مؤلفه «جولات في بلاد العرب»، ومراجعة ما كتبه تؤيد أنها كانت موضع تجديد دائم يتم في رفق وعلى هون، ولا تبدو فيه مظاهر الثورة التي لا تتفق ومهابة البلد الحرام ووقاره. (ص/97-98)</p> |
| <p>4. محمد بك لبيب البتانوني</p> | |
| <p>البتانوني، الذي وصف منزل النبي ﷺ في رحلته، قدّم تفاصيل عن تواضع عمارته مقارنة بما ورد عند الفاسي. أشار إلى أن المنزل كان بسيطاً، يتكون من غرف متعددة استخدمت للسكن، العبادة، والوحي، مع مكان مخصص لتخزين تجارة خديجة. هذه التفاصيل</p> | <p>فما وصفها به الفاسي في «شفاء الغرام» يختلف عن صفتها في رحلة البتانوني، فبينما كانت في عهد الفاسي على صفة المسجد وكانت لها عقود وأساطين إذا هي في رحلة البتانوني بالغة غاية البساطة، تنحدر عن الأرض</p> |

| | |
|---|--|
| <p>تعكس اختلاف التصورات بين المؤرخين حول عمارة البيت النبوي الشريف.</p> | <p>انحدر مولد النبي، وينحدر النازل إليها درجات عدة، فيواجهه عن يمينه بهو وغرفة فسيحة، وعن يساره باب يدخل الإنسان منه إلى ثلاث غرف، كانت إحداها سكنًا للنبي مع خديجة، وكانت الثانية سكنًا لبناتها، وغرفة ثالثة صغيرة يطلق الكُتّاب عليها اسم غرفة الوحي، وكانت فيما يذكرون مصلى النبي ومهبط الوحي عليه. (ص/174)</p> |
| <p>5. الحاج عبد الله فلي</p> | |
| <p>الحاج عبد الله فلي، المعروف أيضًا باسم سينت جون فلي، كان مستشرقًا ومستكشفًا بريطانيًا مهتمًا بشبه الجزيرة العربية وثقافتها. في حديثه، أشار إلى أن اللغة العربية الفصحى لا تزال مستخدمة في الجبال والبادية، مما يعكس اهتمامه العميق باللهجات واللغات المحلية.</p> | <p>بينما أنا بالتكية المصرية ظهر السبب الرابع عشر من مارس لقيتُ الحاج عبد الله فلي — أو سينت جون فلي كما تشاء — فبادلتُهُ الحديث في أمور بلاد العرب حاضرها وباديها، وأدّى بنا الحديث إلى لغة القوم بمكة وبُعد ما بينها وبين اللغة العربية الفصحى، وسألت الجوّالة البريطاني: أ يوجد في شبه الجزيرة عرب يتكلمون هذه اللغة الفصحى؟ قال فلي: «إنما يوجد هؤلاء في الجبال وفي البادية، وأنت إذا ذهبتَ إلى شدّاد في طريقك إلى الطائف عثرتَ ثمَّ على طليبتك» (ص/227)</p> |

تحليل سرد الشخصيات في كتاب 'في المنزل الوحي'

الكاتب محمد حسين هيكل، بوصفه الشخصية المحورية في كتاب 'في منزل الوحي'، يتجلى كمراقب دقيق ومفكر متأمل يسعى لاستكشاف الأبعاد التاريخية والثقافية والروحية للحج الإسلامي. يتنقل في سرده بين التجارب الشخصية والبحث التاريخي، مقدماً وصفاً معمقاً للأماكن المقدسة، تقاليدها، وشخصياتها. كما أنه يظهر اهتماماً خاصاً بتوثيق الجوانب المعمارية والتاريخية لكل موقع، مما يعكس شغفه بفهم الأثر العميق للحج في الإيمان الإسلامي والثقافة الإنسانية.

إضافة الشخصيات الدينية في سردية الكتاب يعزز من البعد الروحاني للنص، حيث يرتبط كل موقع بحكايات الشخصيات المرتبطة به مثل الأنبياء والصحابة. هذه الشخصيات ليست مجرد رموز دينية، بل تمثل قيماً إنسانية مثل التضحية، الإيمان، والقيادة، مما يخلق صلة حية بين الحاج والتاريخ الإسلامي. يعيد الكاتب الحياة إلى هذه القصص، ما يجعل الحج تجربة تأملية غنية، تساهم في تعميق إدراك القارئ للقيم الأخلاقية والروحية المرتبطة بهذه المواقع.

الشخصيات التاريخية التي يضيفها الكاتب تُضفي عمقاً إضافياً على السرد، حيث يربط بين الأحداث التاريخية والمواقع التي يزورها. تصوير شخصيات مثل أمينة بنت وهب وأبو طالب وحمزة بن عبد المطلب يقدم تداخلاً قوياً بين الجوانب الإنسانية والدينية في السيرة النبوية. هذا التداخل يبرز السياق التاريخي والإنساني للمواقع المقدسة، مما يجعل الحكاية أكثر واقعية وتأثيراً، ويضيف طابعاً زمنياً يساعد القارئ على فهم الظروف التي شكلت هذه التجربة.

الشخصيات الفكرية والثقافية، مثل عبد القدوس الأنصاري والمستشرقين كبورخارت وفليبي، تعكس تنوعاً معرفياً وثقافياً في النص. تساهم هذه الشخصيات في إغناء التجربة الفكرية للكاتب عبر المزج بين رؤى محلية وأجنبية حول الحج وثقافة الجزيرة العربية. هذا التنوع يخلق جسراً بين الماضي والحاضر، الداخلي والخارجي، ويبرز أهمية العلم والثقافة في فهم عمق الزمان والمكان، مما يجعل الحج تجربة روحية وثقافية متكاملة.

· خلاصة تحليل سرد الشخصيات في الكتاب

1. الكاتب محمد حسين هيكل يظهر كمراقب دقيق ومفكر متأمل يسعى لاستكشاف الأبعاد التاريخية والثقافية والروحية للحج.
2. يجمع الكاتب بين التجارب الشخصية والبحث التاريخي لتقديم وصف معمق للأماكن المقدسة وتقاليدها وشخصياتها.
3. الشخصيات الدينية في السرد تضيف بُعداً روحانياً وتعزز الصلة بين الحاج والتاريخ الإسلامي.
4. الشخصيات الدينية تمثل قيماً إنسانية مثل التضحية والإيمان والقيادة، مما يجعل التجربة أكثر تأملية وغنية.
5. الشخصيات التاريخية تربط بين المواقع المقدسة والأحداث والشخصيات المؤثرة في السيرة النبوية.
6. تصوير الشخصيات التاريخية يُبرز السياق الإنساني والديني، مما يجعل السرد أكثر تأثيراً وواقعية.
7. الشخصيات الفكرية والثقافية تضيف تنوعاً معرفياً، وتربط بين رؤى محلية وأجنبية حول الحج وثقافة الجزيرة العربية.
8. المزج بين الماضي والحاضر يعزز من فهم القارئ للزمان والمكان كجزء من تجربة الحج المتكاملة.

الفصل الثاني:

الخصائص الفنية في كتاب "في منزل الوحي"

الخصائص الفنية في أدب الرحلة

تحويل أحداث الرحلة إلى كتابة يفتح أمامنا أبواباً لفن نثري غني، يمتلئ بمختلف الألوان والحالات الإنسانية. سواء كان الهدف من الرحلة تسجيل الأوقات أو استكشاف معالم جديدة، يظهر أدب الرحلة كتجسيد للواقع بأسلوب فني متقن. يتميز بوصفه وتقييده للتفاصيل والتعبير عنها بأسلوب راق ولغة بليغة. يعتبر أدب الرحلة مصدرًا غنيًا بالمعلومات، تستند إلى المراقبة الشخصية وتتنوع بين التصوير والتقييد والتعبير والبلاغة.

مفهوم الوصف

الوصف من الناحية المعجمية "وصف الشيء بحليته ونعته"²²⁴ والوصف في اللغة "هو وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاها".²²⁵

يلعب الوصف دورًا مهمًا في جماليات الخطاب وأسلوبية اللغة من خلال تقديم صورة خارجية للموقف أو نقل الصفات الملموسة للمكان والأشياء. وهي تنطوي على استخدام الكلمات لتتنقل إلى ذهن القارئ تمثيلاً حياً للأصول والمكونات، مما يسمح له بتخيل المشهد. يوصف بأنه "رسم بالكلمات"، فهو يلتقط مشاهد حقيقية وخيالية، ويصور الأحياء أو الأشياء أو الأماكن من خلال وجهات نظر موضوعية أو ذاتية أو تأملية. الوصف جزء لا يتجزأ من المنطق الإنساني، ويخدم حاجة النفس إلى إدراك الوجود وفهمه، والذي يتحقق من خلال تمثيل الحقيقة من خلال التجارب الحسية.

وفي حين يرى بعض النقاد أن الوصف أسلوب مستقل ومجرد وظيفة تزيينية، منفصلة عن ارتباطه بالأعمال الأدبية، فقد أسند الروائيون دورًا مهمًا للوصف. وبعيدًا عن مجرد الزخرفة الجمالية، فإن الوصف، عند الروائيين، يقوم بوظيفة حاسمة تتمثل في الكشف عن الحالة النفسية للشخصيات،

²²⁴ عزام، محمد، شعربة الخطاب السردية، دار الطبع منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص/ 232.

²²⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة وصف، ط3، دار صادر، بيروت، 1665

والإشارة إلى شخصياتهم وأمزجتهم، وخلق وهم الواقعية داخل الأحداث السردية. وبهذه الطريقة، يتجاوز الوصف مجرد الجانب الزخرفي، ليصبح أداة حيوية للروائيين للتعمق في أعماق الشخصية والعاطفة في إبداعاتهم الأدبية.

وفي تعريف أحمد الهاشمي للوصف يقول: الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة هي:

الأول: أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزا له عما سواه.

الثاني: أن يكون ذو طلاوة ورونق.

الثالث: أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكفي بما كان مناسبا للحال.²²⁶

أما حنا الفاخوري، فقد عرف الوصف بأنه: "تمثيل للأشياء تمثيلا إيجابيا وهو رسم الصورة الأشياء بقلم الفن والحياة".²²⁷

هنا يسلط الباحث الضوء على الجوانب المختلفة للبلاغة التي تسهم في تجميل النص وتعزيز قيمته الأدبية. فهو يبرز كيف تتكامل عناصر البلاغة من علم المعاني والبيان والبديع لتقديم تجربة قرائية غنية ومعبرة.

²²⁶ الهاشمي أحمد، جواهر الأدب في أدبيات إنشاء لغة العرب د/ط، مطبعة السعادة، مصر 1965، ج 1، ص/326

²²⁷ الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1986، ص/41.

| الوصف باستخدام علم المعاني في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|---|
| علم المعاني يركز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويتجلى ذلك في النص من خلال التنوع في الأسلوب بين التقرير والاستفهام والشرط. | |
| التوضيح | ذكر استخدام علم المعاني في الرواية |
| هنا يستخدم الكاتب الاستفهام ليس للحصول على إجابة، بل للتعبير عن قلقه وحيثه حول قدرته على التكيف مع الظروف الصعبة في الحجاز. (الاستفهام للتعبير عن الحيرة والشكوك الداخلية) | 3. فما عسى أن تكون الحياة في بلاد العرب لرجل تقتضيه عادات الحياة ما لا يتيسر هناك؟ (ص/28) |
| الجملة مؤكدة بـ"ما كان" و"إلا"، مما يرسخ فكرة الإيمان بالقضاء والقدر. (التوكيد) | 4. فأنا ملومٌ فيه، فما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله، وكل نفس ذائقة الموت كتابًا مؤجَّلًا. (ص/30) |
| جملة قصيرة لكنها تحمل عمقًا في التعبير عن المثابرة. (الإيجاز) | 5. وها أنا ذا مع ذلك أضرب في الحياة وما أزال أجاهدها. (ص/30) |
| السؤال هنا يُقصد به إبراز قوة وجمال الكلمات، مما يحث القارئ على التفكير في أهميتها. (الاستفهام) | 6. وهل هناك أقوى من قولك: الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، الله أكبر، لا إله إلا الله؟! (ص/39) |
| هذا التقديم والتأخير يُعزز فكرة أن المتحدث في وضع محظوظ، ويُقارن بين تجربته في باريس ورحلته الروحية | 7. وتذكرت أن الأقلين من أوتوا مثل حظي فداولوا في أسابيع بين النّهل من وِرد باريس وعلمها ومسارحها ومتاحفها ومجتمعاتها |

| | |
|--|--|
| إلى مكة. (التقديم والتأخير) | الحافلة بأسباب الأنس. (ص/40) |
| أوجز الكاتب في بيان حال المسافرين وتفصيلهم في السفر. (الإيجاز) | 8. أقمنا نتحدث؛ أن لم نجد غير الحديث ما يسلينا في هذا السفر. (ص/41) |
| أطال الوصف لخلق صورة واضحة أمام القارئ. (الإطناب) | 9. لما نُودي لصلاة الظهر قبيل موعد الطعام ذهبت مع القوم إلى حيث يؤمهم فقيه منهم في صلاة الجماعة، وعجبت حين رأيتهم يتخطون بهو الدرجة الأولى... (ص/41) |
| تقديم التفاصيل الزخرفية للثوب يبرز الاهتمام بالمظهر قبل دلالاته الثقافية. (التقديم والتأخير) | 10. وكان يرتدي «جلابية» من السكروتة وعباءة من صوف دقيقٍ شَفَّ لدقته عمًا وراءه، وقد طُرِّزَ ما حول العنق والصدر منها بالقصب، وتدلَّت من حاشية الصدر «كراريت» مكسوَّة بالقصب كذلك. (ص/41) |
| بدأ بجملة إجمالية ثم شرح مظاهر التغير بتفصيل. (التفصيل بعد الإجمال) | 11. ثم نلتقي جميعًا على سطح الباخرة وقد تغير لباسنا، وتغيرت تحيتنا، وتغير حديثنا، جميعًا نلبس غير المخيط، ونحيي بالتلبية. (ص/42) |
| تقديم المسند إليه "متاع الأميرة" يفيد التخصيص والتوكيد. (التقديم والتأخير) | 12. متاع الأميرة لا يفتش لأنه متاع الأميرة، ومتاعنا لم يفتش لأننا ضيوف وزير المالية. (ص/51) |

| | |
|--|---|
| <p>كلمة "سواسية" لإبراز التساوي من جميع الجوانب. (الإطناب)</p> | <p>13. وهم جميعاً سواسية في اتجاههم، سواسية في إيمانهم، سواسية في تفكيرهم. (ص/53)</p> |
|--|---|

| الوصف باستخدام علم البيان في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|--|
| علم البيان يتعلق باستخدام الصور البلاغية كالاستعارة والكناية والتشبيه لإيضاح المعنى وتجميله. | |
| التوضيح | ذكر استخدام علم البيان في الرواية |
| هنا يشبّه القلق الذي يصفه بأنه أشبه بشيء يتطاير، مما يُبرز شدة الخوف الذي ينتابه. (الاستعارة) | 1. ما يطير معه اللب شعاعاً (ص/27) |
| صور القلوب وكأنها إناء يمكن أن يمتلئ، مما يعبر عن خشوعهم العميق. (الاستعارة) | 2. امتلأت من خشية الله قلوبهم (ص/33) |
| يشبه معاناة السفر والزهد بحياة الزاهد في صومعته، مما يبرز التحدي والشعور بالنبل. (التشبيه) | 3. وإني لأذكر من مخاطرات الصبا ومن جولاته بأوروبا وغير أوروبا أياماً قضيتها في مثل نسك الزاهد وخشونة صومعته. (ص/31) |
| هنا يتم مقارنة الاحترام الذي يظهره المسلمون وغير المسلمين للقرآن باستخدام "كإجلال"، مما يُبرز التقدير المشترك للنص المقدس. (التشبيه) | 4. وغير المسلمين يسمعون إلى أي الذكر الحكيم حين يقصد من ترتيله إلى حسن فهمه بإجلالٍ وإكبارٍ كإجلال المسلمين وإكبارهم. (ص/39) |
| الاستعارة هنا تربط بين السلام الداخلي للشخص وذكر اسم الله، مما يعكس السلام الداخلي الذي يشعر به الشخص. (الاستعارة) | 5. فطابت إلى سكينه القلب نفسي. (ص/40) |
| شبّه تصوّره الذهني بالشيء الحسي الذي يُنطق | 6. ها أنا ذا الآن تنطق شفاهي وأسمع بأذني |

| | |
|---|---|
| ما كان يتصوره ذهني. (ص/43) | ويُسمع، مما يعزز التصوير الحي. (التشبيه) |
| 7. يا رهبة الموقف وروعة جلاله! (ص/42) | استعارة الجلال والرهبة كصفات محسوسة تعبر عن الإحساس الروحي. (الاستعارة) |
| 8. لكن عجبي لم يمنعني من مشاركة القوم حين رأيهم اتخذوا من بار كوثر مصلياً وما لهم ألا يتخذوه وقد طهر أثناء رحلة الحج من أمهات الكبائر، وأمهات الصغائر، وفرش بالحصير الطاهر؟! (ص/41) | كناية عن الطهارة التي جعلت من البار مصلي، مع الإشارة الضمنية لتغيّر الحالة من مكان اللهو إلى العبادة. (الكناية) |
| 9. يجب أن ننسى كل شيء إلا أننا جند الله لئينا دعاءه. (ص/42-43) | مجاز في تصوير الحجاج كجند لبوا أمر الله للدلالة على الانضباط والطاعة. (المجاز) |
| 10. وتنفس الصبح عن جو صاف ونسيم عذب ويقظة للوجود مستبشرة ضاحكة. (ص/45) | تصوير الصبح بشخص يتنفس، مما يضفي حياة وبهجة على المشهد. (التشبيه) |
| 11. فإذا ضوء القمر يسعد الليل بلجته ويرسل تحية عذبة إلى صمت هذه الأودية قامت كثبان الرمل عن جانبيها. (ص/52) | يشبه ضوء القمر وهو يملأ الليل بالبحر في سكونه وامتلأته. (التشبيه) |
| 12. وكأنما انتقلت إلينا عدوى الصمت المحيط بنا فأمعنا في الصمت. (ص/52) | استعارة مكنية تصف الصمت وكأنه مرض معدٍ، مما يعكس تأثير الجو المحيط على النفس. (الاستعارة) |
| 13. تلبية الملايين وألوف الملايين مرتفعة إلى | كناية عن الإيمان والتسليم المطلق لله. (الكناية) |

| | |
|--|--|
| | بارئها في إيمان يدكُ الجبال. (ص/52) |
| مجاز عقلي يظهر العلاقة بين الرمال وعجز السيارة عن الحركة. (المجاز) | 14. وذلك حين تبتلع عجالاتها وتجعل دورانها عبثًا لا طائل وراءه. (ص/53) |
| شبه الأشعة بالرطوبة والندى ليوحي بالرقّة والراحة. | 15. ومن عليا السّموات أرسل القمر على هؤلاء السعداء بأداء الفريضة. (ص/53) |

| الوصف باستخدام علم البديع في كتاب 'في منزل الوحي' | |
|--|---|
| علم البديع يهتم بالزخرفة اللغوية من خلال السجع، الجناس، الطباق، والمقابلة. | |
| التوضيح | ذكر استخدام علم البديع في الرواية |
| المقابلة بين "يهونون" و"يصفون لي من عسره" تعكس التناقض بين آراء الناس وتعمق الصراع النفسي للكاتب. (المقابلة للتعبير عن التضاد) | 1. بين كان قوم يهونون عليّ أمر العيش بالحجاز كان آخرون يصفون لي من عسره وشدته... (ص/27) |
| هناك تقارب لفظي بين "الفريضة" و"الرحلة"، مما يعطي نغمة متناغمة. (الجناس) | 2. مشفوعًا سؤالهم بأصدق الرجاء أن أتم الفريضة والرحلة وأن أعود إليهم بخير ما يرجونه لي من صحة وعافية. (ص/33) |
| تضاد بين النعيم والبؤس، مما يعزز التناقض في مشاعر الإنسان تجاه الحياة. (الطباق) | 3. وهل الحياة بنعيمها وبؤسها إلا ذكرى؟ (ص/31) |
| توافق نهاية الجملتين يعطي وقعًا موسيقيًا جذابًا. (السجع) | 4. فليكن بعض إيماننا بالله أن نقبل على أداء واجبنا في الحياة مطمئنين غير هيّابين ولا وجلين. (ص/31) |
| المقارنة هنا بين الموسيقى التي تعزف والهتاف الحار الذي يعلو في الجو تبرز شدة الموقف. (المقابلة) | 5. فإذا جَمَعُ من ألوف الناس على رصيف المرسى لم يلبثوا حين سمعوا الموسيقى تصدح أن تعالي في الجو هتافهم للإسلام وللحج وللوطن هتافًا حارًا صادرًا من حبات القلوب ومن أعماق الأفئدة، |

| | |
|---|---|
| | (ص/39) |
| استخدام "طمأنينة العاطفة" و"طمأنينة القلب" يبرز فكرتين متضادتين، لكنهما تساهمان في نفس الموضوع العام للسلام والراحة. (الطباق) | 6. تداويت عن طمأنينة العاطفة بطمأنينة القلب (ص/40) |
| توافق الجمل في نهاياتها يجعل النص موسيقيًا وجذابًا. (السجع) | 7. وكان الليل قد اشتمل هذه الأرجاء جميعًا في صمته ورقة نسيمه. (ص/51) |
| جناس ناقص بين 'هدّنا' و'شاقنا' يعطي وقعًا موسيقيًا. (الجناس) | 8. ولكن أتى لي أن أنزل المكان والليل قد انتصف وقد هدّنا الجهد وشاقنا الوصول إلى مكة! (ص/55) |

تحليل الوصف باستخدام البلاغة في كتاب 'في منزل

في "في منزل الوحي"، يظهر استخدام علم المعاني بوضوح من خلال تنوع الأساليب البلاغية التي تعزز من عمق النص وتعبيره. يعتمد الكاتب على مجموعة من الأساليب التي تتوافق مع مقتضى الحال، مثل الاستفهام والتوكيد والإيجاز، مما يساهم في نقل مشاعر الشك، والحيرة، والإيمان. يتم توظيف هذه الأساليب لإبراز التباين بين التجربة الروحية للحج والتجارب الأخرى، وتحديدًا في كيفية تأثير هذه الرحلة على الشخص في أبعاده النفسية والثقافية. كما يُستخدم التقديم والتأخير لإبراز المعاني بشكل مؤثر، مع التركيز على التفاصيل التي تساعد في خلق صور ذهنية حية تساهم في إيصال الفكرة بشكل أعمق.

في "في منزل الوحي"، يُظهر الكاتب استخدامًا مبدعًا لعلم البيان من خلال توظيف الصور البلاغية كالاستعارة والتشبيه والكناية لإثراء النص وجعله أكثر حيوية وعمقًا. يعتمد الكاتب على الاستعارات لتجسيد المشاعر الداخلية، مثل تصوير القلق والشعور بالسلام الداخلي كأشياء محسوسة يمكن "التطير" أو "الامتلاء"، مما يعزز تجربة القارئ ويجعله يتفاعل مع النص على مستوى أعمق. كما يستخدم التشبيه لإظهار التوازي بين حالات مختلفة، مثل مقارنة احترام غير المسلمين للقرآن بإجلال

المسلمين له، أو تصوير الصباح والمساء بشكل حيوي، مما يخلق صورة ذهنية غنية. بالإضافة إلى ذلك، تبرز الكناية والمجاز لتوصيل مفاهيم مثل الطهارة والطاعة والإيمان بطريقة غير مباشرة، مما يضيف بعداً روحانياً وغنياً للنص. بهذه الطريقة، يجعل الكاتب من الكلمات أداة قوية لنقل التجربة الروحية بشكل حي ومؤثر.

في "في منزل الوحي"، يُظهر الكاتب براعة في استخدام علم البديع من خلال التلاعب بالألفاظ لإضفاء جمال موسيقي على النص وتعزيز المعاني. يعتمد الكاتب على المقابلة لخلق التناقضات بين الأفكار والمشاعر المختلفة، مثل التفاوت بين الآراء حول صعوبة الحياة في الحجاز أو مقارنة الهتاف الحار بالموسيقى، مما يعكس شدة المواقف والتجارب الروحية. كما يستخدم الجناس لإضفاء تناغم لفظي بين الكلمات المتشابهة، مثل "هدنا" و"شاقنا"، مما يضيف جمالية موسيقية على النص. من خلال الطباق، يبرز الكاتب التناقضات في الحياة البشرية، مثل التباين بين النعيم والبؤس، ليعزز شعور القارئ بالصراع الداخلي والتناقضات في المشاعر. السجع أيضاً يُستخدم بشكل فعال لخلق إيقاع متناغم بين الجمل، مما يجعل النص أكثر سلاسة وجاذبية. هذه الأساليب البلاغية تضيف عمقاً وجمالاً للنص وتساعد في نقل الأبعاد الروحية والتجريبية للحج.

خلاصة تحليل الوصف باستخدام البلاغة في الكتاب

1. استخدام الاستفهام، التوكيد والإيجاز لتعكس مشاعر الشك، الحيرة والإيمان.
2. توظيف الأساليب البلاغية لتمييز التجربة الروحية للحج عن التجارب الأخرى.
3. التركيز على التقديم والتأخير والتفاصيل لتكوين صور ذهنية حية.
4. استخدام الاستعارات والتشبيهات والكناية لإثراء النص وجعله أكثر حيوية وعمقاً.
5. تجسيد المشاعر الداخلية مثل القلق والطمأنينة كأشياء محسوسة لتعزيز التفاعل مع القارئ.
6. التلاعب بالألفاظ لإضفاء جمالية موسيقية على النص من خلال المقابلة.
7. استخدام الجناس لإضفاء تناغم لفظي بين الكلمات المتشابهة.
8. تعزيز التناقضات باستخدام الطباق، مثل التباين بين النعيم والبؤس.
9. استخدام السجع لخلق إيقاع متناغم بين الجمل، مما يجعل النص أكثر سلاسة وجاذبية.

التناس

مفهوم التناس

يمثل النص الأدبي تراكمية النصوص الأخرى، حيث يستفيد اللاحق من السابق عن طريق الأخذ من النصوص الأخرى فصل فيها النقد التناسي، بحيث يتكون النتاج الأدبي من الخبرات الطويلة التي عايشها المنتج عن طريق الاستفادة من التجارب الأخرى للشعراء والكتاب السابقين يستقي من بنات أفكارهم مادة ثرية ثم يضيفها إلى نتاجه الأدبي، وهذا يدل دلالة واضحة على أن التلاقح الفكري أمر جوهري في العمل الفني.²²⁸

التناس ليس أداة أدبية أو بلاغية، بل هو حقيقة تتعلق بالنصوص الأدبية - حقيقة أنها جميعها مترابطة بشكل وثيق. وينطبق هذا على جميع النصوص: الروايات، والأعمال الفلسفية، والمقالات الصحفية، والأفلام، والأغاني، واللوحات، وما إلى ذلك. ومن أجل فهم التناس، من الضروري فهم هذا التعريف الواسع لكلمة "نص". يتأثر كل نص بكل النصوص التي سبقته، إذ أثرت تلك النصوص في تفكير المؤلف واختياراته الجمالية.²²⁹

مصادر التناس

من مصادر التناس النص القرآني والحديث النبوي الشريف، إضافة إلى التناس مع التراث الإنساني كالأمثال والحكم، والقصص والأساطير والأخبار، والتناس الأدبي، خاصة مع الشعر، سواء تناس داخلي مع شعره هو، أو تناس خارجي مع نصوص أخرى.

²²⁸ قطيط، شيرين، بن سعدية، فاطمة، تقنيات السرد في رحلة ابن جبير، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير تحت إشراف الدكتورة سامية، عليوات، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة ألكلي محند أولحاج - البويرة، الجزائر، 2020، ص/74-73

²²⁹ "Intertextuality." *Literary Terms*, literaryterms.net/intertextuality/#google_vignette. Accessed on 9 Dec. 2023.

التناص الديني في كتاب "في منزل الوحي"

| التناص الديني في كتاب "في منزل الوحي" | |
|---|--|
| القرآن الكريم | |
| التوضيح | التناص من القرآن الكريم في الرواية |
| <p>الآية في هذا النص وفي هذا الفصل يعكس أهمية الاعتراف بمحدودية المعرفة البشرية أمام غيب المستقبل. فهي تعزز الفكرة المركزية التي يدور حولها النص، وهي أن الإنسان لا يمكنه التنبؤ بما سيحدث، مما يضيف عمقاً فلسفياً وروحياً للتأمل في رحلة الحياة وقراراتها.</p> | <p>1. وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ - لقمان: 34 (ص/25)</p> |
| <p>إضافة هذه الآية في هذا المكان تؤكد أن السعي بين الصفا والمروة شعيرة مقدسة مأمور بها في الحج والعمرة، مما يعمق فهم المؤمن لأهمية هذا الركن التعبدي. كما تُذكّر الحجاج والمعتمرين بأن أعمالهم تأتي ضمن هدي الله وشعائره، مما يزيد الطمأنينة والارتباط الروحي بهذه العبادة.</p> | <p>2. إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ - البقرة: 158 (ص/59)</p> |
| <p>إدراج الآيات القرآنية يبرز البعد الديني والروحي للسعي بين الصفا والمروة وعملية العطاء في مكة، مما يعمق ارتباط الشعائر بالهدي الإلهي. كما يربط ظاهرة التسوّل بإرث ديني وتاريخي يعزز الشعور بالرحمة والمسؤولية الأخلاقية تجاه سكان البلد</p> | <p>3. رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ - البقرة: 37 (ص/108)</p> |

| | |
|--|--|
| الحرام. | |
| <p>إدراج آية الكرسي يعكس جوهر التوحيد وعظمة الله في الكون، مما يضيف على النص عمقاً روحياً وتأملياً. توظيفها يدعو القارئ للتأمل في معانيها الوجودية وربط الإيمان بالفكر والتجربة الشخصية.</p> | <p>4. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ - البقرة: 255 (ص/146)</p> |
| <p>الآية القرآنية تؤكد مكانة بناء الكعبة كفعل طاعة خالص من إبراهيم وإسماعيل وشعيرة أساسية في الإسلام، مما يضيف أصالة ورمزية دينية على الحدث. أما الروايات المضافة، فتثري السياق لكنها تعكس التفاوت بين النص القرآني المقدس والتفاصيل التي تستند إلى روايات غير مؤكدة تاريخياً.</p> | <p>5. إدراج الآيات القرآنية يبرز البعد الديني والروحي للسعي بين الصفا والمروة وعملية العطاء في مكة، مما يعمق ارتباط الشعائر بالهدى الإلهي. كما يربط ظاهرة التسوّل بإرث ديني وتاريخي يعزز الشعور بالرحمة والمسؤولية الأخلاقية تجاه سكان البلد الحرام. - - البقرة: 127 (ص/149)</p> |
| الحديث النبوي | |
| التوضيح | التناص من الحديث النبوي في الرواية |
| <p>إضافة هذا الحديث في هذا المكان تعزز روح الإخاء والوحدة بين المسلمين، خاصة في أجواء الحج التي تجمعهم من مختلف بقاع الأرض. كما تدكّر المؤمنين بالقيم الإنسانية العليا في الإسلام، مثل الحب</p> | <p>1. لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه - متفق عليه</p> |

| | |
|---|---|
| <p>المتبادل والتآزر، مما يعمق شعورهم بالارتباط الروحي والاجتماعي أثناء أداء المناسك.</p> | |
| <p>الاقتراب من الحديث النبوي يعزز مفهوم الأخوة الإسلامية ويضفي بُعداً روحياً وأخلاقياً على الحديث عن الحج وشؤون المسلمين. يُظهر الحديث قيمة التلاحم والتراحم بين المسلمين، مما يتناغم مع تجربة الحج كحدث عالمي يجمع المسلمين من مختلف الأقطار على قيم الوحدة والمحبة، ويعمق الشعور بالترابط الإيماني والإنساني.</p> | <p>2. سمعنا جميعاً في خشوع وإنابة إلى قارئ يرتل القرآن ترتيلاً حسناً بصوت جميل، ثم تناول حديثنا الحج وشؤون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، عند ذلك ذكرت قول رسول الله: «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، فازداد شعوري بإخاء المسلمين في أقطار الأرض جميعاً عمقاً وقوةً، وجعلت أنصت إلى حديث المجتمعين معي بهذا السبيل المصري وأنا أشد ما أكون تعلقاً بهم ومودةً لهم. (ص/89)</p> |
| <p>الحديث النبوي «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» يُستخدم هنا للتأكيد على التناقض بين التعاليم الإسلامية التي تدعو إلى الإيثار والتلاحم الجماعي، وبين الأنانية السائدة بين المسلمين في العصر الحديث، حيث يركزون على مصالحهم الشخصية دون الاهتمام بالمجتمع الإسلامي.</p> | <p>3. الروح ينقص هذا النظام — لا ريب؛ الروح المستمد من الإيمان الكامل، أليس رسول الله ﷺ يقول: «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»؟ والكثرة من هؤلاء المصلين لا يفكر أحدهم في أخيه ولا يحب إلا نفسه، هو لم يحضر إلى مكة ولم يفرض الحج ولا يستوي مع الناس في صلاة الجماعة بالحرم؛ ليكون لإخوانه المؤمنين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. (ص/135-135)</p> |

التنصص الأدبي في كتاب "في منزل الوحي"

| التنصص الأدبي في كتاب "في منزل الوحي" | |
|--|--|
| جولات في بلاد العرب – بورخارت | |
| التوضيح | التنصص الأدبي في الرواية |
| <p>إدراج كتاب «جولات في بلاد العرب» لبورخارت في سرد الرحلة يُثري النص بإضافة وجهة نظر تاريخية واستشراقية توثق الحالة العمرانية والاجتماعية لمكة في القرن التاسع عشر. يعزز هذا الاقتباس فهم القارئ للفروقات الزمنية بين الماضي والحاضر، ويسلط الضوء على تطور المدينة من خلال مقارنة الانطباعات الشخصية بالمصادر الخارجية.</p> | <p>1. ولقد زارها الرحالة السويسري «بورخارت» الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم الحاج عبد الله في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي — سنة ١٨١٥ — وكتب عنها طويلاً في مؤلفه «جولات في بلاد العرب»، ومراجعة ما كتبه تؤيد أنها كانت موضع تجديد دائم يتم في رفق وعلى هون، ولا تبدو فيه مظاهر الثورة التي لا تتفق ومهابة البلد الحرام ووقاره، يقول «بورخارت» في وصفه ما ترجمته: الميدان العام الوحيد في قلب البلد هو مربع المسجد الفسيح، وليس ثمة أشجار أو حدائق تبهج النظر، وإنما تدب الحياة إلى مكة أثناء الحج بما يملأ الحوانيت الكثيرة المنتشرة في كل أنحاء من ألوان التجارة، وفيما خلا أربعة منازل أو خمسة يملكها الشريف.... (ص/98)</p> |

مرآة الحرمين

2. وبين قباء والكعبة أكثر من ثلاثمائة ميل؛ ولذلك يقول صاحب «مرآة الحرمين»: وفي المسجد موضع يقال: إنه طاقة الكشف يزوره الناس، ولا أدري كشف أي شيء.

الاقتباس من كتاب "مرآة الحرمين" يعكس محاولة الربط بين الوقائع التاريخية والتفسيرات الشعبية حول معالم المسجد النبوي، مثل "طاقة الكشف". يشير النص إلى التباين بين المسجد النبوي في زمن النبي ﷺ وعماراته التي تمت لاحقًا، مثل تلك التي قام بها الخليفة عثمان بن عفان، مما يربط بين الأحداث التاريخية والشرح الأدبي لعمارة المسجد، ويظهر التفاعل بين الموروثات الثقافية والرؤى المعمارية في مختلف العصور.

التناص التاريخي في كتاب "في منزل الوحي"

| التناص التاريخي في كتاب "في منزل الوحي" | |
|--|--|
| جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة | |
| التوضيح | التناص من الكتاب في الرواية |
| <p>إدراج كتاب "جزيرة العرب في القرن العشرين" في هذا النص يعزز البعد التوثيقي والتاريخي لرحلة الحج من خلال تسليط الضوء على حالة التعليم والثقافة في الحجاز في ذلك الوقت. كما يربط بين التجربة الشخصية للحاج والسياق الاجتماعي والتعليمي الأوسع، مما يثري النص بمزيد من العمق والتحليل التاريخي.</p> | <p>1. وهذا الذي يقول به علماء نجد هو ما يقول به أهل الحجاز ممّن سوى الشباب، ولا عجب في ذلك وقد بقي التعليم مهملاً في بلاد العرب إلى عصرنا الحاضر، يقول الشيخ حافظ في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين»: الأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب، وربما كانت أول محاولة لتثقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من جانب السيد محمد علي زين الرضا في الحجاز،..... (ص/96)</p> |
| آثار المدينة المنورة | |
| <p>الوصف التفصيلي للمحراب والمنبر في المدينة المنورة يتناغم مع السرد التاريخي الذي يقدمه المؤرخون حول تطور العمارة الإسلامية، مع التركيز على التفاصيل الجمالية والعمرانية التي تشهد على العناية الفائقة في بناء هذه الأماكن المقدسة. كما</p> | <p>2. ما وصف الروضة وما فيها فلم يتناوله صاحب «آثار المدينة المنورة» في اتساق كما فعل السويسري برخارت، بل تحدث عن بعض ما فيها فذكر المحراب النبوي وأنه في شرقي المنبر: «تزينه الآيات المرقومة</p> |

| | |
|---|---|
| <p>يُظهر الكتاب اتساقًا مع المصادر التاريخية الأخرى، مثل ذكر تاريخ بناء المحراب السلیماني والمنبر من قبل السلطان سليمان، مما يعزز أهمية هذه المعالم في السياق التاريخي والديني.</p> | <p>بماء الذهب، وقطع ملونة من الرخام، وناهيك بجمال العمودين بجوانبه. (ص/345)</p> |
|---|---|

تحليل عن التناسق في كتاب 'في منزل الوحي'

يتجلى التناسق في كتاب "في منزل الوحي" في عدة مستويات، حيث يدمج المؤلف بين النصوص الدينية والتاريخية والأدبية، مما يضيف عمقًا روحياً ومعرفياً لنصه. يُعتبر التناسق مع القرآن الكريم والحديث النبوي أحد أبرز عناصر هذا الكتاب، حيث يتبنى المؤلف بعض الآيات القرآنية مثل آية "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا" (البقرة: 127) التي تشير إلى رفع قواعد البيت الحرام من قبل إبراهيم وإسماعيل، ليقارنها بما يحدث في مكة من تسول ويُعطي المعنى الروحي للعطاء والمساعدة، مشيراً إلى عمق الارتباط الروحي بين الحجاج والمكان المقدس. كما يدمج الحديث النبوي "لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، مما يساهم في تعزيز الأبعاد الإنسانية والروحية في النص، ويُعزز فكرة أن العبادة لا تقتصر على الأفعال الفردية بل تشمل أيضاً التفاعل والتراحم بين المسلمين.

علاوة على ذلك، نجد أن التناسق التاريخي يظهر من خلال الإشارة إلى تطور بناء المسجد النبوي والتاريخ المعماري المرتبط به، إذ يُقارن بين بناء المسجد في زمن النبي ﷺ والبناء الذي جرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان. كما يستخدم المؤلف إشارات إلى "مرآة الحرمين" و"آثار المدينة المنورة"، مما يربط النصوص الأدبية والروائية حول مكة والمدينة بتاريخ هذه الأماكن المقدسة. هذه الطبقات النصية تعكس تداخل الأبعاد التاريخية والجغرافية والدينية، وتُظهر كيف أن المكان والزمان في الكتاب لا يُفصلان عن الحضور الروحي والتاريخي، مما يثري التناسق في الكتاب ويعزز من قيمته الأدبية والفكرية.

خلاصة تحليل عن التناص

1. التناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي، حيث يتبنى المؤلف آية "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا" (البقرة: 127) لربطها بالطقوس الدينية في مكة وعملية العطاء الروحي.
2. استخدام الحديث النبوي "لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" لتعزيز الأبعاد الإنسانية والروحية في النص، مما يربط العبادة بالتراحم بين المسلمين.
3. التناص التاريخي الذي يظهر من خلال الإشارة إلى تطور بناء المسجد النبوي، مقارنة بين بنائه في زمن النبي ﷺ وما حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان.
4. الإشارة إلى كتب تاريخية مثل "مرآة الحرمين" و"آثار المدينة المنورة"، مما يعزز الرابط بين النصوص الأدبية والتاريخية حول مكة والمدينة.
5. تداخل الأبعاد التاريخية والجغرافية والدينية في الكتاب، مما يعكس كيف أن المكان والزمان يرتبطان بالحضور الروحي والتاريخي.
6. هذه الطبقات النصية تُثري التناص في الكتاب، وتساهم في تعزيز قيمته الأدبية والفكرية من خلال الربط بين مختلف السياقات الثقافية والدينية.

خاتمة البحث

نتائج البحث

وقد توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها ما يأتي:

- أظهرت الدراسة أن الرحلات العربية، بمختلف أشكالها، لعبت دوراً محورياً في توثيق الحياة الاجتماعية والثقافية والتاريخية. كانت الرحلات وسيلة فعالة لنقل المعرفة، وتبادل الثقافات، ورصد التحولات التاريخية في المجتمعات المختلفة.
- تبين أن السفر كان دائماً يحظى بتقدير خاص في الثقافة العربية، سواء لأغراض دينية مثل الحج أو لاكتساب المعرفة والتجارة. ساهمت المواقف والدوافع الثقافية في تشكيل نظرة فريدة للسفر بوصفه تجربة ذات أبعاد روحية وإنسانية عميقة.
- كشف تتبع أدب الرحلات العربية عن تطور تدريجي في الموضوعات والأساليب، بدءاً من السرد التوثيقي إلى الأساليب الأدبية المتطورة. كما برزت موضوعات مثل المغامرة، الاكتشاف، والتأمل الروحي كعناصر رئيسية لهذا الأدب.
- أثبتت الدراسة أن الحجاز كان وما زال وجهة بارزة للمسافرين، ليس فقط لأهميته الجغرافية والتاريخية، ولكن أيضاً لأبعاده الدينية والثقافية. ارتبطت هذه الوجهة بثناء أدبي يعكس التجربة الروحية للمسافرين.
- ساهمت رحلات الحج بشكل كبير في تطوير أدب الرحلات، حيث قدمت سرديات تجمع بين الواقع الروحي والتأمل الإنساني. أثرت هذه السرديات في تشكيل أساليب أدبية جديدة أبرزت البعد الديني والوجداني.
- تتجلى القيمة الأدبية لأعمال حسين هيكل في عمق رؤيته وقدرته على دمج السرد الواقعي بأساليب أدبية مبتكرة. كان لأعماله تأثير ملحوظ في إثراء أدب الرحلات وإضافة أبعاد فكرية وفنية جديدة.
- أظهر التحليل المعمق لأعمال حسين هيكل أنه استخدم تقنيات سردية متقدمة، تناولت موضوعات متنوعة تراوحت بين التأمل الفلسفي والوصف الواقعي. جسدت أعماله تطوراً لافتاً في بنية أدب الرحلات وتفرداً في معالجة القضايا الإنسانية.

التوصيات والمقترحات

- يُوصى بإجراء دراسات مقارنة بين أدب الرحلات العربي ونظيره في الثقافات الأخرى، لاستكشاف التأثيرات المتبادلة والتميزات الأسلوبية.
- يجب التركيز على تحليل النصوص الحديثة التي تتناول الرحلات والسفر في العالم العربي، لا سيما في ظل العولمة والتحويلات الاجتماعية.
- يُوصى بجمع وإعادة نشر النصوص الكلاسيكية لأدب الرحلات، مع تحقيقها علمياً وإتاحتها للباحثين والقراء.
- يُقترح إنشاء قواعد بيانات رقمية للنصوص والخرائط المرافقة للرحلات التاريخية، مما يسهل فهم الأماكن والسياقات المرتبطة بها.
- يُوصى بتوسيع دراسة سرديات الحج، لما لها من قيمة دينية وأدبية، مع التركيز على التنوع الثقافي في تجارب الحجاج.
- يُقترح إدراج أدب الرحلات ضمن المناهج الدراسية في الجامعات، كجزء من الأدب العربي والإنسانيات.
- يمكن توسيع نطاق البحث الأدبي حول أدب الرحلات الحجازية من خلال دراسات الحداثة حول تقنيات السرد، مما يقدم استكشافاً متعدد الجوانب للعلاقة بين تجارب الحج وتعبيرها الأدبي.

بعض مجالات البحث الممكنة:

- نزعة القصصية في أدب الرحلات الحجازية
- تصوير أنا وآخر في كتب الرحلات الحجازية

المصادر والمراجع

المصادر

كتب محمد حسين هيكل

1. هيكل، محمد حسين، ثورة الأدب، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، مصر، 1948م.
2. هيكل، محمد حسين، عشرة أيام في السودان، المطبعة العصرية، مصر، 1927م.
3. هيكل، محمد حسين، في منزل الوحي، المكتبة العصرية، لبنان، 2006م.
4. هيكل، محمد حسين، مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1996م.
5. هيكل، محمد حسين، مذكرات في السياسة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م، ج/1.
6. هيكل، محمد حسين، ولدي، دار المعارف، القاهرة، 1931م.
7. هيكل، محمد حسين، شرق وغرب، دار الهلال، مصر، 1994م.

القرآن الكريم

كتب الحديث

1. مسند إمام أحمد
2. صحيح البخاري
3. صحيح ابن حبان
4. صحيح الترمذي والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني
5. صحيح مسلم
6. سنن أبي داود
7. سنن النسائي

الكتب العربية

1. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، 1987م، ج/2.
2. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992م.
3. ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.
4. المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، تقديم محمد السويدي، بيروت، الجزائر، 1989م.
5. اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

الموسوعات والمعاجم

1. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، 1993م، ج/2.
2. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، 1987م، ج/2.
3. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992م.
4. ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.
5. المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، تقديم محمد السويدي، بيروت، الجزائر، 1989م.
6. اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

المراجع

الكتب العربية

1. آل حمادي، عبدا الله بن أحمد بن حامد إشراف، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في الأدب تحت إشراف الأستاذ الدكتور / محمد صالح جمال بدوي.
2. أبو زيد، أحمد محمود، الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، الرياض، 2013م، ج/1.
3. أبو سعد، أحمد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد - بيروت، ط/1، 1961م.
4. أديب، محمد، شعرية الخطاب السردية، دار الطبع منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
5. البطشان، إبراهيم بن محمد/ فيصل بن أبي المكارم، ثمامة، مذكرات رحلة حج لأميرة بوبال، النواب: سكندر بغييم، دار نور للنشر، نيودلهي، الهند، 2014م، ط/2.
6. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، 2002م، ط/5، ج/5.
7. السعدي، عبد الحكيم عبد اللطيف، الرحلة في الإسلام؛ أنواعها وأدائها، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996م.
8. الشامي، صلاح الدين علي، الرحلة بين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.
9. الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، مكة، 2008م.
10. الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى، المختار من الرحلات التجارية إلى مكة والمدينة النبوية، دار الأندلس الخضراء، جدة، 2000م.
11. الشوابكة، نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
12. الشوابكة، نوال، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ط/1.

13. الضيف، شوقي، الرحلات، دارالمعارف - القاهرة، ط: 4.
14. قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2002م.
15. قطييط، شيرين، بن سعدية، فاطمة، تقنيات السرد في رحلة ابن جبير، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير تحت إشراف الدكتورة سامية، عليوات، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة، الجزائر، 2020م.
16. الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، دار خضر للطباعة والنشر - بيروت.
17. حموي، صبحي، أنطوان نعمة المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001م.
18. حسين، د. حسيني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس - بيروت - لبنان، ط: 2، 1983م.
19. حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب.
20. عبد الله بن حمد الحقييل، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين رؤية تاريخية وأدبية، مكتبة التوبة - الرياض، 2007م.
21. عبد الله بن حمد الحقييل، رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين، مكتبة الرشد، الرياض، 2012م.
22. عبد الله بن حمد الحقييل، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية، 2008م.
23. عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998م.
24. عبد العزيز الدسوقي، القصة المصرية بعد ثورة على إلى وحتى ١٩١٩، المجلة العلوم، مارس 1966م، السنة الحادية عشرة، العدد الثالث. بيروت، لبنان.
25. عزدين المناصرة، نقلاً عن مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011م.
26. عدي، عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، علم الكتب الحديث، الأردن، 2011م.
27. عزام، محمد، شعرية الخطاب السردية، دار الطبع منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.

28. قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2022م.
29. كنعان، شلوميت ريمون، التخيل القصصي - الشعرية المعاصرة، ترجمة حسن حمامة، دار الثقافة الدار البيضاء، الأولى، 1995م.
30. محمد صالح، بشرى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط/1، 1944م.
31. محمد طاهر الصديقي الفتني، مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، وتكملة مجمع بحار الأنوار، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند، 1967م، ج 1.
32. محمد رجب البيومي، محمد حسين هيكل الأديب السياسي المؤرخ ورائد الكتابة، دار القلم، دمشق، 2001م، ط/1.
33. محمد لبيب البتونوي، الرحلة الحجازية، ص/21، مطبعة الجمالية، مصر، 1909م.
34. محمد وضاح رشيد الحسيني، الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، لکناؤ، 2016م.
35. ميساء سليمان إبراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، 2011م.
36. نصر، أحمد عبد الرحيم، التراث الشعبي في أدب الرحلات، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج، الدوحة، 1995م.
37. نصار، د. حسين، أدب الرحلة، مكتبة لبنان، 1991م.
38. نصار، حسين، أدب الرحلة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1991م.
39. نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
40. نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ط/1.
41. هبة مجدي، المهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
42. وادي، طه، محمد حسين هيكل: حياته وتراثه الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م.
43. وادي، طه (1996م)، هيكل رائد الرواية السيرة والتراث، ط 2. القاهرة: دار النشر للجامعات.

المجلات والجرائد

1. أحمد بت، فردوس، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة ، الكتاب الخامس، ج/2، كانون الأول .
2. أحمد بت، فردوس، أهمية ادب الرحلات من الناحية العلمية والتعليمية، مجلة اللغة، المجلد الثالث، العدد/1، يناير – مارس، 2017م.
3. نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية 1952م.
4. روبينه ناز والدكتور مؤيد فاضل ، أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره ، مجلة الإيضاح، عدد 34 - يونيو 2017م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة بيشاور.

الكتب الأعجمية

1. Antosa, Silvia, Fogli di Anglistica: Rivista di Studi Inglesi, anno II n. 3-4, 2008, pp. 55-66, 2008.
2. Armstrong, Karen. Islam: A Short History, P/11, Random House Publishing Group, 2000.
3. Esposito, John L, The Oxford History of Islam, P: 4-5, Oxford; New York: Oxford University Press, 1999.
4. Farouk M. Taufik, History of Al-Hijaz (1520-1632), A Thesis Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Portland State University, 1973.
5. J. Burkhardt, Travels in Arabia, p. 1, London: Golborn and Bentley, 1829.
6. Newman, D. (2019). Arabic Travel Writing. In D. Nandini, & T. Youngs (Eds.), The Cambridge history of travel writing. Cambridge University Press.
7. Nessa, Syeda Siratun, A Study on the Works of Muhammad Husayn Haykal with Special Reference To His Egyptian Social Novel Zaynab, A Thesis Submitted to Gauhati University for the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic, 2016.
8. Richard van Leeuwen, Hajj Narratives as a Discursive Tradition, from the book 'Narrating the Pilgrimage to Mecca', 2023.

9. Shair, I.M., Prof., Dept. of Geography., University of Riyadh, Saudi Arabia and Karan, P.P., Prof., Dept. of Geography., University of Kentucky, Lexington, Geography of the Islamic Pilgrimage, Gee Journal 3.6 599-608/1979.
10. Wolfe, Michael, One Thousand Roads to Mecca, Grove Press, New York, ISBN 978-0-8021-3599-5, 1997, Page/71-72.
11. X, Malcolm. "The Autobiography of Malcolm X: As Told to Alex Haley." Alex Haley, Attallah Shabazz, Paperback, Reissue edition, Ballantine Books, November 1992.

المواقع إنترنت العربية

1. آمال سامي، كيف أشرفت روح أنيس منصور برحلة إلى الله؟، موقع مصراوي، الإثنين 21 أكتوبر 2019م، تاريخ الوصول 30 مايو 2024م. https://www.masrawy.com/islameyat/others-منصور-برحلة-إلى-الله/1656403/21/10/2019/happen_today/details
2. أدب الرحلات. (2023، يونيو 4). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 18:54، 27 مايو 2024 من https://ar.wikipedia.org/wiki/أدب_الرحلات
3. Babmizr (باب مصر) (14 فبراير، 2018). مراجعة كتاب | «الطريق إلى مكة».. مذكرات كاتب يهودي, Retrieved 01:54pm, July 24, 2024, from <https://www.babmsr.com> كتاب-الطريق-إلى-مكة-مذكرات-ك
4. حجازي، أيمن ياسين، دراسة عن رحلة الصديق إلى البيت العتيق، أبوظبي، 10-5-2006، موقع المسالك، . تاريخ الوصول، 15 أغسطس 2024 من <http://www.almasalik.com/locationPassage.do?passageId=13856>
5. حمدان، عبد الرحيم حمدان، أدب الرحلة إلى الديار الحجازية المقدسة، 21 فبراير 2021، تم الاسترجاع في 28 مايو 2024، <https://www.diwanalarab.com/أدب-الرحلة-إلى-الديار-الحجازية-المقدسة>
6. ربهام عبد الناصر، تراث الحجاز القديم بالصور، 10 أكتوبر 2022، <https://www.almrsl.com/post/806932/>، تم الوصول إليه في 6 يوليو 2023.

7. ريتشارد فرانسيس برتون. (2023، سبتمبر 14). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 01:08، 12 يونيو 2024. Wikipedia contributors. (2024, May 1). Richard Francis Burton. In Wikipedia, 2024 The Free Encyclopedia. Retrieved 01:11, June 12, 2024, from https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Richard_Francis_Burton&oldid=1221643326
8. القاسمي، رضي الرحمن، الرحلة وأدبها في اللغة العربية دراسة تاريخية، April Retrieved 2013 August 3, 2023, from http://darululoom-deoband.com/arabic/articles/tmp/1571542541%2013-Dirasat-6-7_1434_8.htm
9. الزلياني، محمد، "باريس ردت إليّ طعام الحياة"... رحلات محمد حسين هيكل إلى أوروبا، موقع رصيف 22، نُشر في 19 أبريل 2022، وتم استرجاعها في 24 أكتوبر 2024، [1087400/https://raseef22.net/article-1087400/https://raseef22.net/article-1087400/https://raseef22.net/article-1087400/](https://raseef22.net/article-1087400/https://raseef22.net/article-1087400/https://raseef22.net/article-1087400/https://raseef22.net/article-1087400/) اريس-ردت-إلي-طعام-الحياة-رحلات-محمد-حسين-هيكل-إلى-أوروبا
10. محمد صديق خان. (2023، سبتمبر 20). ويكيبيديا. تاريخ الوصول 18:27، 15 أغسطس 2024 من https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82_%D8%AE%D8%A7%D9%86&oldid=64690038

المواقع إنترنت الأعجمية

1. "Intertextuality." Literary Terms, literaryterms.net/intertextuality/#google_vignette. Accessed on 9 Dec. 2023
2. Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Al-Ṭā'if". Encyclopedia Britannica, 18 Feb. 2011, <https://www.britannica.com/place/Al-Taif>. Accessed 3 July 2023.
3. Kerala Media Academy, Muhammed Koya C. H, 31 August 2024, <http://keralamediaacademy.org/archives/?q=content/muhammed-koya-c-h>
4. Pesce, Angelo. (1984). Taif : the summer capital of Saudi Arabia. Jeddah: Immel. ISBN 0-907151-27-2. OCLC 498664227

5. Wikipedia contributors. (2023, June 26). Jeddah. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved 17:22, July 3, 2023, from <https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Jeddah&oldid=1162040981>
6. Wikipedia contributors. (2023, May 20). Yanbu. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved 17:23, July 3, 2023, from <https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Yanbu&oldid=1155854218>
7. Wikipedia contributors. "C. H. Mohammed Koya." Wikipedia, The Free Encyclopedia. Wikipedia, The Free Encyclopedia, 12 Aug. 2024. Web. 30 Aug. 2024.
8. Wikipedia contributors. "Malcolm X." Wikipedia, The Free Encyclopedia. Wikipedia, The Free Encyclopedia, 30 Jul. 2024. Web. 31 Jul. 2024.

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled 'HEJAZ TRAVELOGUES IN THE MODERN ERA: AN ANALYTICAL STUDY ON THE BOOK IN THE HOUSE OF REVELATION BY MUHAMMAD HUSSEIN HEIKAL' submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language & literature is a bonafide study and research work done by Ashik Shajahan under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any degree/ diploma in any university.

Dr. Mansoor Ameen K

Assistant Professor and Research Supervisor,
Department of Arabic, MES Mampad College

Place: Mampad

Date: 31 July 2025

DECLARATION

I hereby declare that this thesis entitled 'HEJAZ TRAVELOGUES IN THE MODERN ERA: AN ANALYTICAL STUDY ON THE BOOK IN THE HOUSE OF REVELATION BY MUHAMMAD HUSSEIN HEIKAL' has been written by me under the supervision of Dr. Mansoor Ameen K, Assistant Professor and Research Supervisor, Department of Arabic, MES Mampad College in fulfilment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language and literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any Degree/ Diploma in any university.

Ashik Shajahan

Place: Mampad

Date: 31 July 2025

**HEJAZ TRAVELOGUES IN THE MODERN ERA:
AN ANALYTICAL STUDY ON THE BOOK 'IN THE
HOUSE OF REVELATION' BY MUHAMMAD HUSSEIN
HEIKAL**

Thesis submitted to the University of Calicut in partial fulfilment of requirements for the award of the

degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

(Revised Copy)

By

ASHIK SHAJAHAN

Under the supervision of

Dr. MANSOOR AMEEN K

Assistant Professor and Research Supervisor,
Department of Arabic, MES Mampad College



**Department of Arabic
MES Mampad College (Autonomous)
UNIVERSITY OF CALICUT**

2025